المسألة الغابية في الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية
منطقة سيدي بلعباس نموذجا

د. حجازي مصطفى،
جامـــعة معســكـر.

تمهيد:

خلال الفترة الاستعمارية، شكل تاريخ الغابات الجزائرية واحدة من أكثر الفصول المثيرة للمجتمع الريفي، فتجريد الفلاحين من أراضيهم الخصبة، تطبيق النظام الغابي بصرامة مع حرب مستمرة موجهة بالخصوص ضد الشعب، كانت فرصة للاستغلال المفرط وسوء المعاملة ضد الأشخاص الذين لا وسيلة لهم للدفاع ، محرومين من سبل العيش المستدامة.

تحليل التقارير المطولة حول هذه المسالة، تعطي فكرة عن الأبعاد الحقيقية للصراع المستمر الذي فرضته الإدارة الاستعمارية على سكان المناطق الجبلية، ويمكن النظر في قانون الغابات وتطبيقه وإلقاء بعض الضوء على هذا التاريخ الدراماتيكي الطويل، وخصوصا أن الأبحاث في هذا المجال لا تزال نادرة جدا. **(SARI. D.1977:61)**

تحتل الغابات الجزائرية تقريبا كافة قمم الجبال و قمم الأطلس أو المنحدرات الرطبة لجبال الأطلس الصحراوي ، فالمساحة المغروسة حوالي 03 مليون هكتار ، منها 02 مليون هكتار أشجار نفضية feuillus و مليون هكتار من الصنوبريات، فبالهضاب خاصة المنطقة الحدودية مع تونس نجد الصنوبر الحلبي و المساحة المشجرة تقدر بـ 250.000 هكتار ، نسبة التشجير 15.3■، أما النوع السائد بالقبائل هو السنديان الفليني ، المساحة المشجرة 670.000 هكتار والنسبة تقدر بـ31.4■، في ناحية الهضاب القسنطيني والأوراس ، الأنواع السائدة هي

الأرز و الصنوبر الحلبي ، المساحة المشجرة 618000هكتار ، النسبة 15.1■ ، بنواحي الجزائر العاصمة ،الأنواع السائدة هي الصنوبر الحلبي والسنديان الأخضر المساحة المشجرة 429000 هكتار ، النسبة 19.4■ . بالمنطقة الغربية حتى الحدود المغربية ، النوع السائد العفصية، المساحة المشجرة 785000 هكتار النسبة 19.2■ و أخيرا بالأطلس الصحراوي (مقاطعة وهران و الجزائر) النوع السائد العرعار الفنيقي، المساحة المشجرة 323000 هكتار ، النسبة 06.3■ و عليه تظهر هذه الأرقام أن مقاطعة قسنطينة تمثل 50■ من المساحة المشجرة . **(Behaghel . A.1870:23)**

إن الاستطلاعات التي أجريت لمساحات الغابات قبل 31 ديسمبر 1862م تمنح مقاطعة قسنطينة 1.100.000 هكتار، وهران 440.000 هكتار ، العاصمة 260.000 هكتار. فمنذ الغزو الفرنسي للجزائر فقد قطاع الغابات الأرض لصالح الزراعة ، فمن جهة الزيادة في عدد السكان، تطلب دائما تطور مستمر في الأراضي القادرة على إنتاج الأغذية ومن جهة أخرى فإن المستعمرين هم قبل كل شيء مزارعين ، حولوا جهودهم نحو زراعة الحبوب ، الأشجار المثمرة والثروة الحيوانية ، فتراجعت مساحات الغابات كثيرا و لم تعوض. **(Bégné C.1957: 82)**

لا تعود عملية إزالة الغابات إلى فترة التوسع الاستيطاني، لكن أيضا إلى فترة الغزو، حيث يرتبط التدمير بالعمليات العسكرية خاصة بعد بناء الحصون والقواعد ، لقد كان هناك إفراط طول الفترة الأولى من الغزو الاستعماري في استخدام المواد الخشبية كما نتج عن جمع الفلين تبديد حقيقي للتراث واستغلت غابات الأرز استغلالا كثيفا. **(SARI. D.1977:123)**

1 -<u>الغابات بمقاطعة وهران</u> :

تنقسم مقاطعة وهران إلى ثلاثة مناطق غابية التي تتبع تقريبا الخطوط الوطنية للجبال ، الأولى على طول الساحل ، الثانية حتى واد يسر مرورا بشمال معسكر وسيدي بلعباس، و الثالثة من وهران حتى الحدود الغربية مرورا بتيارت، سعيدة، الضاية و سبدو حيث تساير الهضاب العليا في جنوب معسكر، سيدي بلعباس وتلمسان.

* المنطقة الأولى : نجد بها قليل من العليق تصل على الأكثر 04 أمتار طولا قربها من البحر، وتعلق التأثيرات المناخية العمل لفترات طويلة للرعي والحرائق، هذه المناطق يمكن أن تكفي لحاجيات الوقود ، و تعتبر هذه المنطقة احتياطا غابيا لضمان الاستهلاك لأمن الوقود، أما الباقي يستصلح لزراعة الحبوب.

* المنطقة الثانية : تشكل منطقة انتقال بين الأولى و الثالثة ، حيث تحتوي على كتل مشجرة ، و تختص في الزراعة الصناعية مثل أشجار الزيتون بالمنحدرات . **(C.A.O.M 5O/1)**

* المنطقة الثالثة : نجد بها غابات واسعة توفر خشبا يستغل في الحين ، تمثل هذه الغابات قاعدة التل الجزائري ، حيث تغطي سلسلة الجبال من المغرب مرورا بسبدو والضاية، تيارت، ثنية الحد ، بوغار،سطيف و تصل إلى سكيكدة ، عنابة ،القل، فهي غابات متصلة ببعضها البعض دون انقطاع ، وضعيتها البعيدة عن الساحل بمقاطعة وهران تجعل استغلالها صعبا و تقريبا غير منتج بسبب نقص طرق المواصلات لكنها تملك موارد كبيرة غير أنها لا توفر عائدات هامة لسببين :

أولا : بعد المراكز السكانية.

ثانيا: الغياب الكامل لطرق المواصلات. هذا ما يؤدي إلى ارتفاع مصاريف النقل فيفضل المستهلك استعمال الخشب المستورد من الخارج ، و بالتالي لم تصل المنتجات الغابية في 1853م إلى 500 فرنك لكنها

ارتفعت في سنة 1854م إلى حوالي 1500 فرنك و في 1855م تجاوزت 8000 فرنك. (Bégné C.1957: 82)

نلاحظ بالمناطق الجنوبية وخاصة بمعسكر وتلمسان تشبث الأهالي بالمناطق المشجرة واعتبارها ممتلكاتهم أبا عن جد دون امتلاكهم وثائق تثبت ذلك، أما بمنطقة سيدي بلعباس فقد اتهم الاستعمار الأهالي بالاستعمال المفرط للخشب كوقود أو في البناء أيضا بالرعي المفرط للقطيع في انتظار إصدار قوانين لإبعادهم عنها.

الجدول التالي يوضح إحصائيات لغابات مقاطعة وهران:

الغابات	الموقع	المدى التقريبي/ه	أنواع الأشجار الرئيسية
غابة مولاي إسماعيل	40 كلم شرق وهران	12239	زيتون،سنديان أخضر،عرعار
غابة مولاي سي صالح	30 كلم غرب وهران	2128	سنديان الفليني، ضرو ،الكرمس سنديان، صنوبر حلبي
شعبة اللحم	60 كلم جنوب غرب وهران	2000	ضرو، سنديان أخضر، زيتون
واد المالح	60كلم جنوب غرب وهران	300	-
أولاد زاير	30كلم شرق عين تموشنت	5260	سنديان أخضر، ضرو، زيتون
جبل خارkhar	18 كلم شمال شرق وهران	778	-

طمارين	10 كلم شمال سيق	665	-

المصدر: C.A.O.M 50/1 : Statistique forestière de la province d'Oran

أما الجدول التالي فيوضح مساحة الغابات بالغرب الجزائري: **(C.A.O.M 5O/1)**

مقاطعة وهران	20365 هكتار
مقاطعة مستغانم	39775 هكتار
مقاطعة معسكر	118500 هكتار
مقاطعة تلمسان	68000 هكتار
مقاطعة سيدي بلعباس	**120.000 هكتار**
المجموع	266.640 هكتار

2 - التصنيف الغابي بسيدي بلعباس وفق قوانين الإدارة الاستعمارية:

تمتلك منطقة سيدي بلعباس حوالي 94.500 هكتار من الأراضي المشجرة و التي تنقسم إلى سبعة (07) كتل أساسية :

أ - غابة قطارنية Guetarnia:

تقع على بعد 40 كلم غرب شرق سيدي بلعباس تتميز بمنحدرات سريعة بمنطقة مجعدة بكهوف ، وبصفة عامة فهي غابة ذات نوعية جيدة صالحة لكل الزراعات، تتكون من الصنوبر الحلبي والعفصية (نوع من الأشجار للتزيين ، من الفصيلة الصنوبرية) أي 7/ 10 من الصنوبر الحلبي و3/ 10 من العرعار، أما الأشجار بصفة عامة فتعلو بـ 06 أمتار فقطرها يقدر بين10 إلى 75 سم ، تصادف أحيانا بعض أشجار الصنوبر يصل علوها إلى 10 أمتار و قطرها 40 سم ، و تعاني من

الحرائق المتكررة خاصة غابات الصنوبر. تغطى المنحدرات بأشجار ميتة يصل قطرها إلى 90سم ما يبين أن الأشجار يمكن أن تصل إلى حجم كاف للاستعمال في البناء.(**C.A.O.M 5O/1**)

استطاعت بعض الأشجار مقاومة الحرائق كما أن بذورها تكفي لإنتاج شتلات طبيعية، يمكن أن نجد بهذه الغابة بعض أشجار الزيتون المعزولة من أقدم الغابات المتبقية ، و هذه الغابة يمكن أن توفر محاريث وأعمدة. تجعل بعض المشاكل داخل الغابة كالطبيعة المنعرجة ، الحراسة بها شاقة وصعبة ، حيث تتطلب عدد كبير من الموظفين. إن رسم حدود هذه الغابة والحراسة الدقيقة لها هما العلاج الوحيد الذي تطالب به غابة قطارنية فإذا تمت حمايتها والحفاظ عليها سوف تعد بمستقبل زاهر.(**Ageron.C.2005:104**).

ب - غابة أولاد سليمان : Ouled Slimane :

تقع على بعد 25 كلم شرق سيدي بلعباس بمساحة تقدر ب 20.000 هكتار و تتكون من سنديان الأخضر، الضرو بعض أشجار الصنوبر والزيتون ، أما الأراضي من النوع الجيد فهي عميقة نوعا ما في السهول مثل المنحدرات أين يميل المنحدر نحو واد مكرة ، و لعبت هذه الغابة دورا هاما في توفير الحطب فكانت موردا هاما لمنطقة سيدي بلعباس و للمراكز الأوربية الأخرى ، وحددت مناطق معينة للرعي حيث اعتبرت من أهم المسائل الخطيرة التي أججت الصراع بين الأهالي والإدارة الاستعمارية ، و حتى يغزو الاستيطان الأوربي الأراضي الخصبة الغير مشجرة التي تخضع لقبيلة أولاد سليمان أبعد الكثير من الأهالي إلى الجبال لأنها تشكل صعوبات حقيقية خاصة و أن الأهالي تعودوا على العيش في وسط الغابة فحاولت السلطات الاستعمارية أن تضع حاجزا أمام الأهالي سواء من أجل التوطين أو الرعي .

ج- غابة تنيرة Tanira :

تقع على بعد 30 كلم جنوب سيدي بلعباس ، تعتبر الخط الفاصل بين حوض واد مكرة وواد تنيرة، يتميز سطحها بالوعورة ومجعد بعدة أودية ، أما التربة فهي صلصالية و تشمل أشجار متكونة أساسا من الصنوبر الحلبي، كما تتميز بموقع جغرافي هام حيث تقطعها في طولها طريق سيدي بلعباس الضاية ، قام المستوطنون بجنوب الغابة وبالضبط عند واد تنيرة بالبحث عن الخشب والمراعي وعملوا على إبعاد الأهالي عن المناطق المحددة للأوربيين. (C.A.O.M 5O/ 1)

د- غابة سيدي علي بن يوب :

تتكون من منطقتين منفصلتين عن بعضها البعض:

* المنطقة الأولى : تقع على بعد 20 كلم جنوب غرب سيدي بلعباس على حوالي 2000 هكتار تقريبا ، بها سهل بأرض جافة مليئة بالجبال ، و تتكون من سنديان أخضر و بعض أشجار الزيتون الكبيرة السن ، حيث سلبت أحسن الأراضي من الأهالي ومنحت للاستيطان الأوربي.

* المنطقة الثانية : تقع على بعد 40 كلم جنوب غرب سيدي بلعباس بها كتلا من الصنوبر، البلوط الأخضر والسنديان الأخضر، يمكن أن نجد بالمنطقة الثانية أعمدة خشبية لحاجيات مختلفة ، لكن بعد سيدي بلعباس و صعوبة نقلها رفع من تكاليفها ، فتراجع استغلالها ، رغم مواردها ذات الأهمية بالنسبة لمنطقة سيدي علي بن يوب .

هـ- غابة جبل مولاي سليسن :

تقع على بعد 50 كلم جنوب غرب سيدي بلعباس من سيدي علي بن يوب و غابة الضاية مساحتها 15000 هكتار تحتوي على العرعار، الضرو، السنديان الأخضر ، أما الأرض فذات طبيعة كلسيه وطينية من النوعية الجيدة ، كما نجد بها مجموعة من الوديان والسهول كلها مزروعة، و كتل من أشجار العرعار مختلط ببعض أشجار الصنوبر ، هذه الطبيعة سمحت لسكان المنطقة الإقامة بها في الأوقات الحارة

الصيفية مع قطيع الأغنام أين يجد المأكل التي يجدها في الأراضي القاحلة في فصل الشتاء .(C.A.O.M 5O/ 1)

و- غابة واد مسولن : Oued M'soullen :

تقع بالقرب من سلسلة -الكاف- في النقطة المسماة -سيدي يحي- تحت هضاب الضاية على بعد 50 كلم جنوب شرق سيدي بلعباس ، يمتد سهل من حوالي 3000 هكتار التي نجدها في ظروف متشابهة لجبل سليسن.

ن- غابة الضاية :

تقع على بعد 60 كلم جنوب سيدي بلعباس يغطي منحدر الكاف ، و يمتد فوق الهضاب العليا حتى 50 كلم شمال جبل المسمى جبل -بقرة- و يقع في حدود الهضاب العليا قبل الوصول الشط (petit désert). وتحتوي غابة الضاية على كمية هامة من خشب التدفئة وخشب البناء، أما الصنوبر خاصة فيمكن أن يوفر خشب من النوعية الجيدة الموجه للبناء، مقارنة بالنسبة للغابات الأخرى التي وحتى إن وفرت خشب البناء إلا أنه قليل ومشوه. خلال إنشاء مدينة سيدي بلعباس استخدم خشب هذه الغابة على نطاق واسع بسبب جوارها للمدينة ، فغابة الضاية تملك سمعة كبيرة في المنطقة و تمتد كتل واسعة مشجرة تلحق في الشرق بغابة -فغال- Foughal التابعة لمعسكر وغرب الضاية نجد غابة l'Ouargla التابعة لمنطقة تلمسان. (C.A.O.M 5O/ 1)

الجدول التالي يلخص طبيعة الغابات بمنطقة سيدي بلعباس :

أسماء الغابات	الموقع	المدى التقريبي	أنواع الأشجار الرئيسية
غابة قطارنية	40 كلم شرق سيدي بلعباس	10.000 هـ	صنوبر،عرعار

غابة أولاد سليمان	25 كلم شرق سيدي بلعباس	22.000 هـ	سنديان أخضر، عرعار، ضرو
غابة تنيرة	30 كلم جنوب شرق سيدي بلعباس	15.000 هـ	صنوبر
غابة سيدي علي بن يوب	25 كلم جنوب غرب سيدي بلعباس	3000 هـ	عرعار، ضرو
واد مسولن	40 كلم جنوب شرق سيدي بلعباس	3000 هـ	صنوبر، عرعار، سنديان أخضر، ضرو
جبل مولاي سليسن	40 كلم جنوب غرب سيدي بلعباس	15.000 هـ	صنوبر، عرعار، سنديان أخضر، ضرو
غابة الضاية	60 كلم جنوب سيدي بلعباس	26.000 هـ	صنوبر، سنديان أخضر

المصدر: CAOM : 50/1

ابتداء من عام 1890م بدأت عملية التوسع على حساب الغابات لصالح الأوربيين، يتعلق الأمر بالسيطرة على أراضي جديدة، ففي الفترة الممتدة من 1890 إلى 1892م كلفت لجان باقتراح أراضي مشجرة لإرضاء مصالح المستوطنين ، كما أنها تعين أيضا المناطق من السهول والتلال أي تقريبا 25.000 هكتار منها ¾ تقع في الغرب الجزائري خاصة غابات قائد بلعربي،تنيرة، مرين بسيدي بلعباس. بسرعة منحت هذه المناطق للمحاصيل، أفضل حماية للتربة وضمان للتوازن الطبيعي حيث تلت مراكز الاستيطان خاصة تنيرة، مولاي سليسن، تلاغ، مزاورو

وتيغاليمات. فسمحت الغابة الواسعة للضاية التي يتمركز بها الصنوبر الأخضر حتى أبواب سيدي بلعباس، المجال في أماكن كثيرة لمحاصيل مزدهرة، لكن للأسف امتد التدمير بهذه الغابة إلى غاية الاحتفال بالذكرى المئوية للاستعمار 1930. **(SARI. D.1977:121)**

3 -**وظائفها** :

تتميز الغابة بوظائف متعددة ، فمن خلال ملفات senatus consulte فلغابة توفر العتاد الضروري لبناء الأكواخ ، لكل كوخ 02 إلى 06 أعمدة (rekeis) ، هذه الأعمدة متوسط مدة صلاحيتها من سنين إلى ثلاث سنوات اعتمادا على الأنواع المستخدمة و يمكن أن يستعملوا حتى لمدة 10 سنوات إذا كانوا من أشجار الزيتون ، 20 عمودا صغيرا على الجوانب (djenanette) متوسط المدة من سنتين إلى ثلاث سنوات : 02 إلى 03 عمود -قونتاس- gantas متوسط المدة من سنتين إلى ثلاث سنوات ، 04 إلى 06 قونتاس صغير متوسط المدة 07 إلى 08 سنوات أخيرا 80 إلى 200 تالة chevrons متوسط المدة سنتين إلى ثلاث سنوات. **(Boudy. P.1952: :232)**.

من ناحية أخرى ، توفر الغابات خشب الخيم الذي يستعملونه البدو الرحل ، تغطى الأكواخ من الديس Diss أو محاطة بسياج من الخشب أما للفلاح فتوفر له الخشب الضروري لطهي الأطعمة أو التدفئة ، و تضطر بعض القبائل لتقديم ضريبة سنوية لعدد من أحمال الخشب ، أما بعض القبائل الغنية بالخشب فتصنع وتبيع الفحم ، ويصنعون بأيديهم وسائل أخرى ، توفرها الغابة من خلال الخشب الضروري كالمحاريث البدائية، الأثاث ومكابس لاستخراج الزيت من الزيتون . **(Ageron.C.2005:105)**

تستخدم الغابات كدعم لحياة سكان المناطق الجبلية في الحياة اليومية في صنع الملاعق والأطباق الكبيرة التي تستخدم في الكسكس ،

كما تستخدم ثمار الغابة لتغذية قبائل التل و يتم بيع البلوط مثل الشعير المجففة والمسحوقـة فتعطي دقيقا يخلط مع الشعير أو القمح فتعوض الغابات العجز في الحبوب بالمناطق الجبلية . كما يملك سكـان الغابات قطعـان كبيرة ، لها حقـوق الرعي هذه الحقوق التقليدية معترف بها منذ تواجد الإدارة التركية بالجزائر.**(Lapie.G et Maige.A.1914:83)**

يمكن تقسيم الغابات بمنطقة سيدي بلعباس إلى صنفين مختلفين حسب الإنتاج والاستعمال.

الصنف الأول : تتألف من الضرو، سنديان أخضر، أشجار الزيتون البرية .

الصنف الثاني :أشجار ذات السيقان الطويلة ، الصنوبر الحلبي ، سنديان أخضر.

يمتد الخيس و العليق في هذه المنطقة على امتداد 200.000 هكتار و هي محيطة بالمراكز العسكرية ومراكز السكان للاحتياجات اليومية للخبازين والتدفئة ، ويقدر سعر القنطار لهذا النوع من الخشب بسيدي بلعباس 01 فرنك و 25 سنتيم تقريبا ، هذه الموارد الضخمة و بعد تطبيق قرار الحاكم العام في 02 أفريل 1846 م وهجرة الأهالي استغلتها السلطات الاستعمارية لتوفير حاجيات الجيش والاستيطان) . **Ageron.C.2005:106)**

هذه المحطات الاستغلالية لكل ناحية ، موضحة في الجدول التالي :

مناطق	البعد	أنواع	الطول	سعر التكلفة $م^3$	ملاحظة

الاستغلال	عن سيدي بلعباس	الخشب المستغلة للزراعة		اليد العاملة العسكرية والنقل المدني	اليد العاملة والنقل المدني	
واد تنيرة	20كلم	الصنوبر الحلبي	03إلى04 م	15 فرنك	45 فرنك	هذا الجزء يوفر مادة صغيرة وتحفظ لعدة سنوات
واد تغاليمات	40 كلم	الصنوبر الحلبي	04 إلى08 م	40 فرنك	60 فرنك	الخشب المنتج في هذه الناحية من النوع الجيد لكن كميته محدودة
واد تلاغ والمنحدرات الشمالية للكاف	52 كلم	الصنوبر الحلبي	04إلى09 م	54 فرنك	70 فرنك	هذه الناحية تنتج أهم أنواع الخشب لمختلف المصالح تأثرت كثيرا بفضل
الضاية	68 كلم	الصنوبر الحلبي سندسان أخضر	04إلى10 م 02 إلى 04م	55 فرنك 70 فرنك	85 فرنك 120 فرنك	

						الحرائق لكنها توفر موارد كافية للحاجيات من خشب البناء للمصالح العمومية والاستيطان

المصدر: CAOM : 50/1

4-قانون الغابات و إجراءاته القمعية :

لقد أوجدت السلطات الاستعمارية قانونا تنظيميا خاص بالأهالي الجزائريين عرف بقانون الغابات la loi forestière بحجة حماية الغابات من (عبث الأهالي) رغم معرفة السلطات الفرنسية بأهمية الغابات في الحياة اليومية للأهالي، خاصة عندما جردوا من أراضيهم الخصبة مما جعلهم يفرون إلى الأراضي الجبلية والصحراوية و على أطراف الغابات التي استخدمت كمصدر رزق ، فأبدت السلطات الاستعمارية انزعاجها من استغلال الأهالي للغابات، فقررت أن تطبق قانون الغابات السائد في فرنسا على غابات الجزائر. رغم أن القانون الفرنسي وضع لمناطق قليلة الكثافة السكانية وبالتالي لا يمكن تطبيقه في الجزائر، كما اتبعت هذا القانون بمجموعة نصوص من المراسيم والقرارات والقوانين لا تختلف عن بعضها البعض فيما يتعلق بتشديد العقوبات على كل مخالف . (Noushi.A.1959.527

اندلعت خلال صيف 1873 م حرائق جديدة والتهمت 75.313 هكتار، ويرجع ذلك حسب السلطات الاستعمارية إلى عدم اليقظة، ووضع الحاكم العام -شنزي- Chanzy الجزائر في حالة الاستنفار القصوى، ونددت الصحافة بذلك: -روح المتوحشين المتعصبين الذين يدمرون بانتظام ثروة هائلة لجلب الخراب إلى المستعمرة-. و قد خلصت لجنة عليا حول الحرائق في اجتمـاع بعنابة بعد التحقيق أنه لا توجد مؤامرة، بل سلسلة من الأسباب الطارئة، أهمها الممارسات التقليدية للأهالي بإشعال النار في الأعشاب والخشب لخلق مراعي جديدة وتحسين الأراضي الزراعية، ورغم العدد الكبير من منفـذي هذه العمليات فقد حكم عليهم بالإعدام وآخرون بالأعمال الشاقة طول حياتهم . **(Ageron.C.2005:111)**

و عليه عملت السلطات الاستعمارية جاهدة على إبعاد الأهالي عن استغلال غاباتهم ، فقد اتخذت إجراءات قاسية في هذا المجال من طرف السلطة العسكرية ضد الاستفادة من الخشب الميت أو الرعي أو حتى الهجرات الدورية للقبائل العربية الجنوبية إليها ، فغابة القطارنية منع الأهالي من استغلال الغابة من أجل صنع قطع البناء المختلفة كأعمدة الخيم و المحاريث . في المقابل قدرت الكمية المتوسطة للاستهلاك الاستعماري الخاص بالوقود بسيدي بلعباس بـ15000 قنطار تقريبا منها 3000 م^3 خشب التدفئة و900 قنطار من الفحم ، ويستهلك الجيش 8000 قنطار أي 1500 م^3 يوفرها المقاول حيث يزود من طرف المستوطنين ، أما الاستهلاك الخاص بالضاية فاعتبر ضئيل قدرت الكمية السنوية بـ 250م^3 .

قدر استهلاك الوقود بمنطقة سيدي بلعباس سنويا 4850 م^3 من خشب التدفئة ، و900 قنطار من الفحم أما التموين فكان نصفه من الأهالي والنصف الآخر من الأوربيين بعد أن استوطنوا المنطقة، كما

استهلك الأهالي ما قدره تقريبا بـ 7000 عمود أما سعرها فهـو 50 فرنك للمائة.(Ageron.C.2005:108)

في مذكرة بتاريخ 24 جويلية 1854م أكد وزير الحرب نيته على قمع الجرائم الغابية ، خاصة الحرائق مع التطبيق الصارم للإجراءات وإقامة إجراءات جديدة مثل مسؤولية القبائل في هذا المجال .

أما المساحات التي مستها الحرائق فكانت واسعة ما يوضحه الجدول التالي:

السنة	المساحة/ هكتار	السنة	المساحة/ هكتار
1873-1876	50.000	1906-1915	29.782
1876-1885	37.740	1916-1925	59.097
1886-1895	48.656	1926-1935	23.734
1896-1905	38.037	1936-1946	36.854

المصدر: **Charles. R. Ageron : Op.Cit page 72.**

لا يمكن أن يعزى تدمير هذه المساحات إلى السكان، في الواقع تشير التقارير إلا أن 23■ فقط هي نتيجة لأسباب مقصودة(مصلحة أو ضغينة)، تراجع رزق الفلاح وارتفاع الغرامة جعله لا يستطيع تحملها، بالإضافة إلى المنع الدوري ست سنوات متتالية بعد كل حريق. تستعمل الإدارة الاستعمارية مبدأ المسؤولية الجماعية كسلاح قوي تهدف منه في المقام الأول تقويض أسس كل مقاومة ممكنة ومحتملة للفلاحين خصوصا سكان الجبال بالإضافة أن الحريق أصبح مصدرا هاما من الضرائب للإدارة الاستعمارية(Ageron.C.2005:111 .)

من خلال مرسوم 07 أوت 1867م خصصت الحكومة الفرنسية مجانا لأصحاب الامتيازات أجزاء الغابات المتضررة من الحرائق منذ 1863م ، كما تلقى جميع المتعاملين مجانا امتيازات كتمثيل للمصروفات السابقة، ثلث الغابات التي لم تتعرض للحرق، أما الثلثين الآخرين، فبيعت بثمن جذاب تراوح بين 225 و 325 فرنك للهكتار الواحد، حسب العمر والكثافة وتدفع أقساط سنوية لمدة عشرين سنة. **(Ageron.C.2000:109)**

كلف السيد -شرير- Cherrire رئيس مصلحة الغابات بوهران دراسة هذه المسألة وإبداء رأيه في الإجراءات الجديدة و المتمثلة في إقامة شريط عازل حول الكتل المشجرة مع تثبيت الأهالي في ملكيات أراضي قريبة من الغابات، حيث تكون تحت مسؤوليتهم .

في نوفمبر 1850 م أقر مجلس الحكومة مجموعة من المواد القمعية ضد الأهالي تنص على :

المادة 19: كل حريق في الغابة يتسبب فيه أحد الأهالي الذي أشعل أو نقل النار خلافا لأحكام المادة 148 من قانون الغابات تتحمله القبيلة وتكون مسؤولة عن العقوبة.

الحاكم العام هو القاضي الوحيد في حالات المسؤوليات.

المادة 29: أي شخص يشعل النار دون إذن مسبق في الخشب، الغابات أو الأشواك المتواجدة في ملكيته يعاقب بغرامة مالية قدرها بين 20 و100 فرنك .

-أي شخص يقوم بإشعال النار دون إذن مسبق في العشب أو النباتات في أراضي ملك له على مسافة 200 متر من الأخشاب أو أشواك الغابات أو 100 متر من قش أو تبن حسب الحالات يعرض للغرامات المذكورة في المادة 148 لقانون الغابات أو المادة 10 لقانون 06 أكتوبر 1791 للشرطة

الريفية . إذا توسع الحريق في الملكية تكون الغرامة من 50 إلى 500 فرنك وفق المادة 458 من قانون العقوبات.

في كل الحالات يمكن أن تسلط عقوبات السجن ضد الأهالي مدتها بين 06 أيام إلى 06 أشهر.

المادة 31: العقوبات الموجودة في المادة 29 تتضاعف في حالة تكرير الجرم طبقا للمادة 200 من قانون الغابات و المادة 04 لقانون 06 أكتوبر 1791م. عند إشعال الحريق في أرض قبيلة من طرف سكانها الأهالي ، يعلن الحاكم أن كل القبيلة مسؤولة وبالتالي تعاقب بغرامة مالية تفرض عن طريق العدالة **(BIB AOM/30795/1895).**

اعتبرت هذه المواد في مجملها رادعة خاصة عند تحميل قبائل المنطقة أي مسؤولية بمجرد إشعال النيران دون ترخيص ولو على مسافة بعيدة ، فنية الاستعمار من خلال ذلك هو حل تلك العلاقة الحميمة الموجودة منذ القدم بين الغابة و السكان المجاورين.

كما لا يعتبر سكان الغابات مسؤولين فقط عن حرائق الغابات، لكن يجب أن يشاركوا أيضا في مجال حماية ومراقبة الغابات في فصل الصيف لمنع انتشار الحرائق، وبالتالي العودة إلى ممارسات القرون الوسطى. لقد تأثر الشعب كثيرا بهذه القوانين، أكثر من قانون الأهالي وهو انعكاس لنظام استعماري يزداد سوءا، ليس فقط بالريف بل حتى في المدن ، فقد أصبح الإداري المسؤول الحقيقي فمرسوم 29 أوت 1874 ألغى مجلس حقوق المسلمين، و خفض تدريجيا عدد القضاة كما هاجمت الصحافة الاستعمارية القضاة المسلمين. في سنة 1903م صدر قانون للغابات لم يأت بالجديد سوى بعض التغيرات القليلة، حيث أكد على القوانين السابقة مع تغير طفيف هو التخفيض من الغرامات، ومع ذلك المادة 127 تطالب سكان الغابات بالمشاركة في حراسة الغابات من 01 جويلية إلى 01 نوفمبر من كل سنة، كما حددت المادة 120 غرامة مالية بين 50

فرنك و 200 فرنك للهكتار بالنسبة لجرائم الحراثة. (1977:69 SARI. D.)

بعد تشكيل مناطق واسعة جدا، عزمت مصلحة الغابات وتحت ذريعة الحفاظ على التربة والمياه لاحتياجات الاستعمار، على قمع السكان بمناطق الغابات، ليس فقط من أجل تطبيق القانون لكن أيضا من اجل تعميم نظام الاستغلال لفئة معينة من الفلاحين ، كما يحظر قانون 17 جويلية 1874 م جميع أنواع الرعي مدة ست سنوات داخل الغابات المحترقة، للحد من عمليات الحرق للاستعمال الرعوي، كما أمرت السلطات الاستعمارية بفرض حظر على حرق الحشائش اليابسة والشجيرات، و تقرر ابتداءا من 01 جويلية إلى 01 نوفمبر أنه لا يمكن لأحد إشعال النار داخل أو على بعد 200 متر من الغابات والأحراج ، كما حددت لائحة إدارية عامة استخدام النار داخل الأكواخ ووضع المخيمات على الأراضي الحرجية. أخيرا لمكافحة الحرائق فرضت خدمات ضرورية كمراكز الحراسة، جولات من جميع الأنواع على الأهالي، و عليه سوف يكرس هذا القانون الغير الملائم تماما والضار على اقتصاد الأهالي إلى غاية الأيام الأخيرة للاستعمار رمزا للهيمنة الفرنسية. (Ageron.C.2005:113)

بلغت المحاضر الرسمية ضد الأهالي سنة 1881م 7883 ، في 1885م 11101، 1887 م 14753 و في 1888 م 15585 ، أم في الفترة الممتدة بين 1883م إلى 1889م بلغ 96750 محضر ، أما الغرامة المالية فقد بلغت 1.265 مليون فرنك في سنة 1886م و 1.321 مليون فرنك في 1888 و 1.658 مليون فرنك في سنة 1890م، وبالتالي فهي مبالغ هامة تدخل في إطار العقوبات الجماعية وتمثل 10 مرات الضرائب السنوية. لقد ازداد الضغط يوما بعد يوم وذلك من خلال زيادة المحاضر الرسمية التي انتقلت من 35921 في سنة 1907 إلى 46446 سنة

1920 وذلك بالتوازي مع ارتفاع عدد حراس الغابات إلى 902 سنة 1914 مقابل 515 سنة 1890. **(SARI. D. 1977:76)**

تقرر في قانون الغابات الجزائري توفير عمال ثانويين لاحترام القوانين ، فهي الحلول الوحيدة بالمنطقة لضمان وحماية الغابات. أما عدد الحراس المتوفر حتى يتمكن من حراسة المراكز الكبرى بمقاطعة وهران فهو كالتالي :

- وهران : 02 حراس فرنسيين 07 من الأهالي
- مستغانم : 01 حارس عريف 01 حارس فرنسي 03 من الأهالي
- معسكر : 01 حارس عريف 03 حراس فرنسيين 08 من الأهالي
- **سيدي بلعباس:01 حارس عريف 02 حراس فرنسيين 03 من الأهالي**
- تلمسان : 01 حارس عريف 02 حراس فرنسيين 09 من الأهالي

أما بمنطقة سيدي بلعباس فتكون الموظفون من عريف ، المعين بالضاية وثلاث حراس من الأهالي وحارس فرنسي و حارسين من الأهالي بغابة تنيرة وحارسين فرنسيين بسيدي علي بن يوب **(C.A.O.M 5O/1)**

بمبادرة من الجنرال Osmont قرر الجنرال Chanzy بأن يعهد للجيش حماية الغابات لوقت محدد، وقد درس مجلس الحكومة هذه المسألة في 21 أكتوبر 1875م وقدم الجنرال -شنزي- هذا العرض كضرورة لتجميع الجهود لمصلحة الغابات، لكنه أشار إلى أن السكان الأصليين في كثير من الأحيان ضحايا الجهل، فيما يخص الغابات أين يمنع رعي الماشية أو قطع الأخشاب.**(Ageron.C.2005:113)**

كما كشف تحقيق دقيق آخر عن الأسباب المتعددة للحرائق حيث سجل العديد من الإهمال، إهمال العمال الأسبان في صنع الفحم، ممارسات الأهالي الذين سعوا لإزالة النحل من خلاياه، شرارات من القاطرات. ووفقا لمسؤولي الغابات فإن الأهالي أصبحوا أغنياء من خلال

جمعهم للحلفاء، فحصلوا على قطيع جديد من الماشية وشكلوا مراعي جديدة بإشعال النيران.(Ageron.C.2005:115)

لقد تضاعفت العقوبات وامتدت إلى العديد من المناطق سواء في الشرق أو الغرب، فمعالجة 26 جنحة للبلدية المختلطة الضاية ، تلخص بمفردها تطبيق نظام الغابات، وعليه فبعد حريق أكتوبر 1876 بغابة الضاية فرضت على مجموعة من الدواوير غرامة مالية قدرها 41968.13 فرنك. ظهرت حرائق أخرى سنة 1877، 1878 و 1879 حيث لم يتمكن السكان المعاقبين من دفع 27.978.75 فرنك، فمنحهم قرار 20 جانفي 1880 إعفاء بـ 6.945.69 فرنك ، واعتبر قائد مقاطعة وهران أن هؤلاء السكان ونتيجة الانخفاض الكبير في موادهم التجارية والزراعية أصبحوا في وضع غير مريح. (SARI. D. 1977:63)

تهدف الإجراءات التي فرضها الاستعمار والقوانين التي سنها إلى الحفاظ على المصلحة الاقتصادية للاستعمار بغابات منطقة سيدي بلعباس ، فقد ارتبط جزء كبير من الاقتصاد الفرنسي بغابات الجزائر واستنزفت هذه الثروات لفترة طويلة ، فعرضت الآلاف من المناقصات لاستنزافها و صدرت موادها الأولية إلى المصانع الفرنسية ، فمثلا قام محافظ الغابات لوهران بعرض مناقصة بسيدي بلعباس يوم 28 جوان 1883م لحصد الحلفاء والديس و الدوم. و الجدول التالي يوضح ذلك :

المفتشية	المنطقة	أسماء الغابات	تعيين الحصد ص	الوضعية		محتوى/ هكتار	
				دوار	بلدية	الغابات	المجموع
غابات حكومية							

سيدي بلعباس	سيدي بلعباس	تنيرة	كل الغابة	ماسر	البلدية المختلطة مكرة	8305	8305
سيدي بلعباس	سيدي بلعباس	سيدي يوب وحاسي دحو	الغابتين	ماسر	البلدية المختلطة مكرة	1482689	2171
سيدي بلعباس	سيدي بلعباس	ماسر وسيدي علي بن يوب	الغابتين	تافيلاس	المختلطة لبوخنيفيس	2100902	3002
سيدي بلعباس	سيدي بلعباس	ماسر وسيدي علي بن يوب	الغابتين	تافيلاس	المختلطة لبوخنيفيس	2100902	3002
غابات بلدية							
سيدي بلعباس	سيدي بلعباس	حمار مراز	كل الغابة	تلموني	المختلطة لمكرة	577	577
سيدي بلعباس	سيدي بلعباس	خليج الزبوج	كل الغابة	تافيلاس	المختلطة لبوخنيفيس	1404	1404

المصدر: CAOM : 5O/1 : adjudication du droit de récolte de l'alfa, du diss et du palmier nain dans les lois de l'état et des communes

عرفت الجزائر حرائق هامة منذ سنة 1865م وهي الأكثر كارثية التي مست الجزائر الفرنسية، اعتبرت سنة 1881 سنة جافة وقاتلة للماشية حيث لم تعرف السنوات الثلاث من قبل حرائق هامة (المساحات المحترقة في 1878 : 8156 هكتار، 1879م : 17663 هكتار ، 1880م : 20881 هكتار).

كانت المواد القابلة للاشتعال وفيرة للغاية وتأثر 169.056 هكتار من أراضي الغابات منها 91500 هكتار مستها النيران . بلغ مقدار الضرر من خلال تصريحات الضحايا 9.936.000 فرنك ووفقا لدائرة الغابات بلغت 9.042.440 فرنك ، و لأول مرة تم تطبيق الحبس الجماعي في مجال الحرائق ، فقد صدر 100 حكم مست 99 مجمع للأهالي، 53 غرامة مالية جماعية 46 عزل جماعي. فالهدف ليس فقط معاقبة السكــان الأصليين ولكن أيضا محــاولة السلطـــات الاستعمارية توفير وسيلة لدفع الأموال لملاك الغابات عن الخســائر التي أصابتهم. **(Ageron.C.2005:117 et118)**

الجدول التالي يوضح عدد الحرائق التي عرفتها الغابات من 1881 إلى 1890:

السنة	عدد الحرائق
1881	244
1882	130
1883	148
1884	147
1885	285
1886	288
1887	395

311	1888
309	1889
202	1890



منحنى بياني يبرز تطور عدد الحرائق في الغابات من 1881 إلى 1890

في الفترة الممتدة بين 1875 إلى 1880 معدل المساحات المحترقة بلغت كل سنة 24000 هكتار أما بين 1881-1886 ارتفعت إلى 41000 هكتار ثم إلى 48500 هكتار بين 1887 إلى 1892 وإلى 54900 هكتار بين 1893-1897. لم تعد ترى الحكومة في فعالية القمع الجماعي، كما لم تعد تؤمن حتى في سوء نية الأهالي لأن في 100 حريق ، 12 فقط نسبت لهم، مقابل 60 لحوادث أو اللامبالاة ، و28 المتبقية لأسباب غير معروفة.فكانت معدلات الغرامات لا تصدق: فأول جريمة رعي الأغنام تغرم بـ 02 فرنك للخروف و 04 فرنكات للعنزة، الجريمة الثانية تتضاعف وتضاف على الأولى ثم تأتي رسوم العدالة إذا لم يكن الدفع فوري.(**Ageron.C.2005:125**)

بعد عشر سنوات من التطبيق الصارم لقانون الغابات ، كانت أولى بوادر التغيير في الرأي، فمصلحة الغابات التي تعتقد أنها مسؤولة عن

تدمير أي شجرة ، تظن نفسها غير مسؤولة عن محنة هذا الشعب ، وكانت تفكر دائما في أمن ومصلحة الاستعمار، ما أدى إلى تكوين جيش من المتسولين واليائسين الحاقدين على الاستعمار غير مبالين بالاستعمار وقوانينه.(**Ageron.C.2005:128**)

تسارعت عمليات إزالة الغابات نتيجة لاستهلاك الفحم والخشب وحرائق الغابات ، سمح للرعاة بإعادة تكوين المراعي فانتشرت المفاحم المخالفة للقانون في أعماق الغابات في وقت أصبح قمع الجرائم الغابية أقل حدة. لقد توسعت الحرائق بصورة كبيرة في عام 1916م و خاصة في 1917م بسبب نقص عدد عمال خدمة الغابات. (**Gilbert.M. (2010:322**

عرفت الغابات خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وضعية حرجة فابتداءا من سنة 1939 كان تموين البلد من البنزين والغاز ضعيف، و لهذا تعرضت جميع الغابات لقطع مكثف وحتى النطاقات التي يصعب الوصول إليها أو التي لم يتم استغلالها من قبل، لقد كان تدمير حقيقي كما يتضح من إحصاءات الإنتاج من 1939م إلى 1946م:

المواد	الكمية
خشب	1.555.500 م^{3}
قصدير	11.608 ستير (م^{3})
حطب	7.031.300 ستير (م^{3})
فحم	6.000.000 ستير (م^{3})
قشرة الدباغ	134.400 قنطار
فلين	1.800.000 قنطار

الإنتاج الغابي 1939-1946.

إذا قارنا هذا الإنتاج بالفترات العادية يوضح أن الكمية المنتجة في الفترة 1939-1946 تفوق الفترات العادية بسبع مرات أكثر، وعليه تضررت تضررا بالغا، وتعرضت لنزيف وينبغي أن تترك في راحة لعدة سنوات ومحمية بعناية ، هذا النزيف لم يتوقف عند هذا الحد فقد خضعت الغابات لآخر اختبار هو القصف المكثف بالنابالم خلال فترة طويلة من حرب التحرير.

أما الفترة الممتدة بين 1954-1962 فقد تعرضت مختلف النطاقات الغابية، بما في ذلك التي كانت بمنأى عن الاستخدام المفرط أثناء الحرب العالمية الثانية للقصف مرارا، فالإحصائيات الرسمية للمساحات المحترقة من 1956 إلى 1961 تقدر بين 60.000 هكتار و 200.000 هكتار ورغم ذلك فهي أقل من الحقيقة.و حتى يتحقق التجدد الطبيعي لابد من توفر ظروف محددة ومعينة فالفترة الممتدة بين أزمتين تكون تساوي أو أكثر من 20 سنة ومع ذلك فإن هذا الشرط الضروري ليس كافيا، فيجب أن تبقى النطاقات المحترقة بعيدا عن القطعان خلال السنوات الأولى للحرائق، حتى تنمو النباتات الأولى بانتظام ، هذين الشرطين غير مجتمعين في الواقع بين الاستغلال المفرط من 1939 إلى 1946 والقصف المكثف بالنابالم من 1954 إلى 1962، فالمدة كانت قصيرة جدا ومع ذلك لا يمكن للتجديد أن ينجح إلا في المناطق البعيدة عن السكان و الثورة الحيوانية.

(SARI. D.1977:125

خلال الفترة الاستعمارية تعرض المزارع الجزائري لعملية سلب واسعة النطاق وممنهجة أسفرت على فقدان كل الأراضي

الغنية تقريبا لجميع الفلاحين الصغار. من جهة أخرى وقعت عمليات تشريد المالكين وغير المالكين مع فقدان حقوقهم التقليدية في الرعي بالمراعي والغابات الشاسعة، و في نهاية المطاف فقدان وسائل العيش نتيجة لتدابير التجميع والطرد إلى الأراضي الغير الصالحة لزراعة المحاصيل. كل هذا أدى إلى إنشاء خزان من اليد العاملة الرخيصة جدا التي يبحث عنها في مجال توسيع الكروم، لكن غير مستخدمة على نحو متزايد نتيجة التوسع في المحاصيل السنوية الميكانيكية، في حين أن عملية السلب تزداد وتترافق في نهاية المطاف إلى تعطيل الزراعـة التقليدية ، أدى في بداية القرن العشرين إلى هجرة مستمرة للمحرومين والخماسة نحو التجمعات التي تم تطويرها بشكل مصطنع ، وخلق التفرقة العرقية والاجتماعية يمكن ملاحظتها في كل من مورفولوجية وهيكل العديد من المناطق الحضرية.

قائمة المصادر و المراجع

الأرشيف

- C.A.O.M 5O/1 : Statistique forestière de la province d'Oran.
- C.A.O.M 5O/1: Renseignement sommaires sur les forêts de la province
d'Oran du 30 aout 1854
- C .A.O.M 5O/1: A/S des forêts du cantonnement de Sidi Bel Abbés .
- BIB AOM/30795/1895 : le messager de l'ouest du 04-01-1895 N 97.

المراجع:

- Ageron ، R، Charle.2000: les Algériens musulmans et la France 1871-1919، Alger : EDIF Tome I.
- Ageron ، R ، Charles. 2005.Les Algériens musulmans et la France, 1871-1919, Paris: Edition Bouchene. Tome 1.

- Behaghel ، A. 1870 L'Algérie, conquête et colonisation ، Paris: Ed E. Dentu.
- Bégné ، Camille.1957. L'économie agricole de l'Algérie: Edition du millénaire .
- Boudy ، P.1952. Guide forestier en Afrique du nord. Paris: Ed la maison rustique.
- Lapie ، G et Maige، A.1914. Flore forestière de l'Algerie، Paris: Ed E. Orlhac.□
- Meynier (Gilbert). L'Algérie révélée2010, Alger: Edition el maarifa .
- Noushi ، André. 195. Notes sur la vie traditionnelle des populations forestières Algérienne. annales de géographie. volume 68 numéro 370.
- Sari ، Djilali .1977. la dépossession des fellahs 1830-1962, Alger : Edition SNED.

نشاط الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي أثناء الثورة التحريرية
رابطة الطلاب الجزائريين في المشرق العربي – أنموذجا–

د. خلوفي بغداد،
قسم العلوم الإنسانية،
المركز الجامعي بالبيض.

مقدمة :

لا شك أن الطلبة الجزائريين في دول المشرق العربي قد قاموا بنشاطات كثيرة ومتنوعة أثناء الثورة التحريرية – 1954/ 1962– غير أنني سأركز في هذا المقال على نشاطهم في المجال التنظيمي.

وتجدر الإشارة إلى أن الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي لم يشعروا بالحاجة إلى تنظيم أنفسهم داخل هيئات وتنظيمات طلابية إلا بعد اندلاع الثورة التحريرية ولم تكن لهم سابقة لذلك قبل هذا التاريخ وهذا بالرغم من تواجدهم بأعداد لا بأس بها في تلك الدول منذ بداية الخمسينات.

وبسبب بعد المسافة ولأسباب مختلفة ومتعددة أخرى سيتم التطرق إليها أجلت انضمام هؤلاء الطلاب إلى الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بعد تأسيسه مباشرة سنة 1955م، فقد أسس الطلبة الجزائريون بالمشرق العربي ابتداء من سنة 1956م رابطات طلابية خاصة بهم في كل من مصر وسوريا والعراق والكويت، ثم قاموا بدمج مختلف هذه الرابطات في سنة 1958م في جمعية طلابية واحدة هي رابطة الطلاب الجزائريين في المشرق العربي التي ظلت تؤطرهم حتى انضمامهم إلى الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في سنة 1960م، وهي الرابطة التي سأتناولها في هذه الدراسة بشيء من التفصيل.

1-تأسيس الرابطة:

في الوقت الذي كان فيه النشاط الطلابي في الجزائر وفرنسا حثيثا يتلمس طريقه لجمع شمل الطلاب الجزائريين حيثما كانوا في اتحاد وطني واحد، ويبحث عن وسائل تعبئتهم والتفافهم حول الثورة، كان الطلبة الجزائريون بالمشرق العربي ينحون نفس المنحى وينشدون نفس الهدف، ولتحقيق ذلك أسس الطلبة الجزائريون بسوريا في شهر مارس سنة 1955م لجنة الطلبة الجزائريين (هلال،ع، 1986، 96)، وفي شهر مارس 1956م حسب شهادة الشريف سيسبان (سيسبان، ش، مقابلة شخصية، 2005) برئاسة الطالب شريف سيسبان -الذي كان الطالب الجزائري الوحيد في جامعة دمشق آنذاك-، ولعل ما ذهب إليه عمار هلال من أن السنة الأولى للجنة تميزت بعدم التنظيم والإهمال المالي والإداري (هلال، ع، 1986، 96) هو الذي جعل الشريف سيسبان يعتبر أن الانطلاقة الفعلية للجنة كان في سنة 1956.

وتكونت تلك اللجنة من الأعضاء : بلقاسم نعيمي نائبا للرئيس، محمد العربي عبد السلام مكلفا بالإعلام، رياحي علي مسؤولاً عن المالية والعربي طرقان، وكل هؤلاء كانوا طلبة في دار المعلمين بدمشق في ذلك الوقت.(سيسبان، ش، مقابلة شخصية، 2005)

وفي مصر، قام الطلبة الجزائريون بانتخاب لجنة تحضيرية لرابطة الطلبة الجزائريين بمصر خلال اجتماع عام بتاريخ 14 أوت 1956 بدار الطلاب الفلسطينيين بالقاهرة، وكان أعضاء هذه اللجنة هم: المنور مروش، أبو زيان التلمساني، ابن قاسي عبد القادر، البشير عمر، عبد الصمد مهري، عبد القادر قريش، وعبد القادر نور. وقد قامت هذه اللجنة ببعث رسالة إلى جريدة الأهرام المصرية تبين فيها دوافع إنشاء هذه اللجنة وأسماء أعضائها، وكانت هذه اللجنة عبارة عن نواة لرابطة الطلبة الجزائريين بمصر التي تأسست على أنقاضها في نفس السنة وبنفس الأعضاء، كما

تأسست بالكويت وبالعراق في سنة 1956 رابطات للطلبة الجزائريين في هذين البلدين أيضا، رغم أن العمل من أجل ذلك كان قد بدأ في السنة السابقة. (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح،م، علبة311) و(هلال، ع، 1968، 95).

وكان الدافع من تأسيس هذه الرابطات واللجان الطلابية في المشرق العربي، هو شعور الطلبة الجزائريين في الشهور الأولى من اندلاع الثورة التحريرية بغياب هيئة طلابية جزائرية تجمع شملهم وتوحد أفكارهم وجهودهم للتصدي للمشاكل التي يتخبطون فيها والصعوبات التي تواجههم سواء منها المادية أو المعنوية التي كانت تعترض سبيلهم في الجامعة وخارجها. بالإضافة إلى ضرورة إيجاد قنوات نظامية وشرعية يمكن من خلالها خدمة الثورة عن طريق التعريف بها وبنضال الشعب الجزائري ومساندته بشتى الطرق والوسائل الممكنة.

ومن خلال رابطاتهم الطلابية المحلية أدرك الطلبة الجزائريون حجم المسؤولية الوطنية الملقاة على عاتقهم، ومن ثم لم يقتصر دورهم على الدراسة والتفوق فيها فحسب، بل تعدى ذلك ليشمل ميادين أوسع ومجالات أكبر كانت كلها في خدمة الثورة الجزائرية. حيث كان الطلبة يتتبعون بكل اهتمام أحداث الثورة التحريرية وتطوراتها في الداخل والخارج، ويتفاعلون معها ويقومون بواجبهم نحوها دون تقصير أو إهمال وهذا منذ اندلاعها.

غير أن نشاط الطلبة الجزائريين بدول المشرق العربي كان مجزأ، يفتقر إلى الرؤية الموحدة والمجهود الجماعي، فقد كانت كل رابطة طلابية تقوم بنشاطاتها وإسهاماتها نحو الطلبة والثورة الجزائرية بمعزل عن الرابطات الأخرى، وهذا ما أثر على المردود العام والنتائج المأمولة من نشاط تلك الرابطات لأن إمكانيات الطلبة الجزائريين في كل دولة من دول المشرق

العربي كانت ضعيفة إلى حد كبير، كما أن أعدادهم كانت قليلة وموزعة بطريقة غير متكافئة. (مهري، م، ب.ت: 87)

لذلك فقد ظهرت واتضحت أهمية إيجاد تنظيم طلابي شامل وعام لكل الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي، حتى يتم توحيد الإمكانيات والجهود قصد إعطاء دعم أكبر وصدى أوسع للثورة وتنسيق الأعمال والنشاطات المحققة لذلك الهدف. (مهري، م، ب.ت: 86)

وقد اهتدى هؤلاء الطلاب إلى فكرة جمع الرابطات الطلابية لكل من العراق والكويت ومصر وسوريا في منظمة واحدة. ولتحقيق هذه الوحدة قام الطلاب الجزائريون بدمشق بالدعوة إلى عقد مؤتمر طلابي يجمع ممثلين عن كل تلك الرابطات، ووجهوا دعوات بذلك شارحين فيها هذه الفكرة وأهميتها. فلقيت هذه الخطوة القبول والترحيب من جميع الرابطات الطلابية، وانعقد بالفعل أول اجتماع طلابي لمناقشة الفكرة وإثرائها والإسراع في إخراجها إلى الوجود بدمشق في صيف سنة 1956م، وحضر إلى الاجتماع ممثلون عن كل من رابطة الكويت والعراق وسوريا وغاب عنه ممثلو رابطة مصر بسبب الصعوبات المالية، مما أدى إلى فشل عملية التجسيد العملي لفكرة المنظمة الواحدة وهذا رغم تحمس المجتمعين إلى ذلك ورغبتهم الشديدة في تحقيقها في أقرب الآجال. ومن أجل ذلك اضطر الطلبة في صيف سنة 1957م إلى عقد اجتماع ثان بهدف إنشاء المنظمة الطلابية المنشودة، وكان هذا الاجتماع قد انعقد بمبادرة من لجنة الطلبة الجزائريين بسوريا أيضا، وكما في الاجتماع الأول حضر ممثلو رابطات الكويت،العراق وسوريا بينما تخلف لنفس الأسباب ممثلو رابطة مصر، وبالتالي فقد أخفق هذا الاجتماع أيضا في تحقيق ما عقد من أجله، إلا أنه وعكس الاجتماع الأول، فقد خرج هذا الأخير بتوصيات هامة تمحورت حول ضرورة تنسيق أعمال الطلاب الجزائريين جميعا بالمشرق العربي في الميادين الخاصة بهم والعامة المتعلقة بوطنهم وشعبهم، وعلى

ضرورة تكريس طاقاتهم في كل الميادين للمعركة المصيرية التي يخوضها الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، وأوصى المجتمعون لجنة الطلبة الجزائريين بسوريا بأن تواصل جهودها حتى تحقيق فكرة الوحدة الطلابية بين جميع طلبة الجزائر بالمشرق العربي. (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح، م، علبة 311)

وبالفعل فقد واصلت لجنة الطلبة الجزائريين بسوريا محاولاتها من أجل تجسيد فكرة توحيد الرابطات الطلابية، وتكللت مجهوداتها واتصالاتها مع مختلف الرابطات بالاتفاق على عقد مؤتمر جامع لكل الرابطات الطلابية بالمشرق العربي بدمشق. وفي يوم 02 جويلية 1958م عقد أعضاء الرابطات الثلاث لكل من مصر وسوريا والكويت اجتماعا تحضيريا للمؤتمر المزمع عقده مع بداية السنة الجامعية القادمة، وتطرق ممثلو الطلاب المجتمعون إلى شؤون الطلبة المختلفة ووضعيتهم المادية وعلاقتهم بالجبهة وبالاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وأخيرا ضربوا موعدا في 01 سبتمبر 1958م لعقد مؤتمرهم ولمناقشة كل هذه المواضيع في إطاره. (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح، م، علبة 311)

وفي الفاتح من سبتمبر 1958م الموعد المحدد، اجتمع بدمشق شمل وفود كل الرابطات الطلابية بالمشرق العربي، حيث مثل رابطة الطلبة الجزائريين بمصر بشير كعسيس، علي مفتاحي ومحمد صالح جون، وعن لجنة الطلبة الجزائريين بسوريا حضر عبد العزيز سعد، الأزرق بن عللو ومحمد مهري، ومثل رابطة الكويت محمد عرباجي، عبد العزيز يعقوبي وعبد العزيز مشوي، وبسبب تخلف وفد رابطة العراق، فقد تقرر استدعاء طالبين من طلبة العراق الموجودين بدمشق لحضور جلسات المؤتمر كمراقبين فقط وهما الأخضر فرحات والربيع أيوب. (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح،م، علبة 311)

ودرس المؤتمرون وناقشوا كل مشاكل الطلاب الجزائريين والظروف المادية الصعبة التي يزاولون فيها دراستهم سواء داخل الجامعة أو خارجها، ثم ناقشوا مسألة تكوين اتحاد عام للطلاب الجزائريين في المشرق العربي، واتفقوا بعد مشاورات واقتراحات متعددة من طرف مختلف الوفود على إنشاء هذا الاتحاد على أساس فيدرالي لأن هذا النوع من النظام يتلاءم ووضع الطلاب الجغرافي والمادي واستقر رأيهم على تسمية هذا الاتحاد باسم -رابطة الطلاب الجزائريين في المشرق العربي-. وتتألف هذه الرابطة من الفروع الإقليمية للطلبة، على أن يكون الأعضاء الذين يمثلون هذه الفروع في الرابطة بنسب متساوية. وقام المؤتمرون بوضع مشروع القانون الأساسي للرابطة، وتركوا عملية إثراء هذا المشروع والعمل النهائي للجان المنتخبة عن الفروع. (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح،م، علبة 311)

وتضمن مشروع القانون الأساسي للرابطة تكوين منظمة طلابية تجمع كل الطلاب الجزائريين في المشرق العربي، وتضم فروع الإقليم السوري وفروع الإقليم المصري وفرعي الكويت والعراق. ويكون مركز الرابطة بالقاهرة نظرا لاعتبارها عاصمة الجمهورية العربية المتحدة، ولوجود مركز جبهة التحرير الوطني بها، وكذلك لتركز النشاط الطلابي بها ولضرورة إيجاد مركز دائم من الناحية القانونية للرابطة. أما الاجتماعات الدورية لمجلس الرابطة فتعقد بدمشق نظرا لموقعها الجغرافي الذي يتوسط جميع الدول التي تتواجد بها فروع للرابطة، مما يسهل حضور ومواظبة أعضاء الرابطة في اجتماعاتها. (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح،م، علبة 311) كما تم في هذا المؤتمر إنشاء مجلس إداري للرابطة يتكون من اثني عشر عضوا بنسبة ثلاثة أعضاء لكل فرع. ويشترط في عضو المجلس الإداري أن يكون جامعيا باستثناء عضو فرع الكويت، واقترح المؤتمرون إنشاء لجنة مركزية للرابطة بالقاهرة من بين أعضاء المجلس الإداري للرابطة، تتكون هذه

اللجنة من أمين عام وكاتب وأمين للصندوق. (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح، م، علبة 311) وأوصى المؤتمر في الأخير بإنشاء لجنة تنفيذية تحضيرية مؤقتة حتى موعد إجراء الانتخابات بالفروع، وتتمثل مهمة هذه اللجنة في الإشراف على تنفيذ كل القرارات والتوصيات التي خرج بها المؤتمر. وتتألف هذه اللجنة من : عبد العزيز سعد، محمد بوعروج والأزرق بن عللو عن الإقليم السوري، بشير كعسيس، علي مفتاحي ومحمد صالح جون عن الإقليم المصري، عبد العزيز يعقوبي، محمد عرباجي وعبد العزيز مشوي عن الكويت، أما عن الكيفية التي يتم بها تمثيل الفروع بالرابطة، فإن كل فرع يقوم بانتخاب ثلاثة من بين أعضائه ليمثلوه في المجلس الإداري للرابطة والذي بدوره يقوم بانتخاب الأمين العام من بين الأعضاء الذين يشكلون اللجنة التنفيذية في فرع القاهرة. وتم تحديد تاريخ 25 أكتوبر 1958 موعدا لإجراء الانتخابات في جميع الفروع. (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح، م، علبة 311)

وبعد أن أنهيت إجراءات انتخاب الأعضاء في الفروع في التاريخ المحدد وتم اختيار الممثلين الثلاثة من كل فرع في المجلس الإداري للرابطة، عقد المجلس الإداري للرابطة أول اجتماع رسمي له بحضور أعضائه المنتخبين في 25 فبراير1959 رغم أن هذا الاجتماع تقرر عقده في 10 نوفمبر 1958، حيث مثل مصر علي مفتاحي، محمد بلعيد وسعد الدين الأحمدي، وعن سوريا حضر عبد العزيز سعد وعبد الرحمان شطيطح، وعن الكويت محمد عرباجي وعبد العزيز يعقوبي وعن العراق محمد صالح شيرون، وقد غاب عن الجلسة قدوري الهاشمي من سوريا ومهيدي الغوثي من الكويت، وفيها تم التنصيب النهائي والرسمي لهياكل الرابطة المتمثلة في مجلسها الإداري، الذي قام هو الآخر بتعيين أعضاء اللجنة المركزية. (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح، م، علبة 311)

وفي هذه الجلسة كذلك درس المجتمعون علاقة الرابطة بالاتحاد العام للطلبة وشروط الانضمام إليه. والحقيقة أن الرابطة خلال الفترة القصيرة التي عاشتها من سبتمبر1958 إلى جويلية 1959، كان العمل الأهم والأبرز الذي قامت به هو اتصالها الدائم مع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بواسطة المراسلات (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح، م، علبة 311) أو عن طريق مبعوثي الاتحاد قصد إذابة الجليد الذي ميز العلاقة بينهما، والوصول إلى اتفاق يتم بموجبه لم شمل الطلبة المسلمين الجزائريين في مختلف أنحاء العالم في تنظيم واحد. (مهري، م، ب.ت: 89)

والواقع أن تأسيس رابطة الطلاب الجزائريين في المشرق العربي، والرابطات الطلابية المحلية للطلبة الجزائريين هناك لم يلق أية معارضة من حكومات تلك الدول، بل بالعكس، فقد قدمت الدول العربية تسهيلات كبيرة للطلبة الجزائريين في سبيل إنشاء رابطاتهم وجمعياتهم، وذلك لعلمها بأن هدف الطلبة الجزائريين كان خدمة الثورة التحريرية وإسماع صوتها. ويؤكد الشريف سيسبان مؤسس لجنة الطلبة الجزائريين بسوريا والناشط في الحركة الطلابية في المشرق العربي بأن حكومة سوريا لم تطلب منهم حتى تقديم أوراق الاعتماد الرسمية لتنظيماتهم وتركتهم يعقدون اجتماعاتهم وينشطون بكل حرية ودون مراقبة. (سيسبان، ش، مقابلة شخصية، 2005)

وكانت منطقة المشرق العربي في ذلك الوقت تعيش مخاضا سياسيا وفكريا تحرريا تتزعمه تيارات وأحزاب بعثية وناصرية وحتى تنظيمات طلابية، تدعم كلها كفاح الشعوب وخاصة الشعوب العربية، ومن الطبيعي أن تساند وتدعم تلك الأحزاب والتنظيمات الطلبة الجزائريين في نضالهم، وقدمت لهم مختلف أشكال المساعدة خاصة المعنوية في تأسيس رابطاتهم الطلابية. إلا أنه ورغم تلك المساعدات، يؤكد منور مروش، - بأن الطلبة الجزائريين لم يكونوا منضمين إلى أي من تلك التنظيمات،

باستثناء بعض الحالات المعزولة، وإن كانوا قد تفاعلوا معها في كثير من الأحيان وتجاوبوا في الأفكار والأهداف-. (مروش، م، 2004: 155-165)

وكانت جبهة التحرير الوطني على رأس من قدم يد العون والمساعدة للطلبة الجزائريين في دول المشرق العربي، رغم أنها كانت تعيش في سنواتها الأولى أوضاعا صعبة. ورغم أن الطلبة الجزائريين أسسوا رابطات طلابية محلية منفصلة عن الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، إلا أن ممثلي مكاتب جبهة التحرير بتلك الدول لم يمنعوا ذلك، بل على العكس قاموا بتقديم ما استطاعوا من مساعدات وتسهيلات لاعتقادهم الراسخ بصدق نوايا الطلبة الجزائريين في المشرق العربي في خدمة الثورة منذ اندلاعها، وأن إنشاءهم لتلك الرابطات كان لخدمة ذلك الغرض. ولم تتدخل جبهة التحرير(الحكومة المؤقتة) في أمور الطلبة التنظيمية إلا في سنة 1959م، تحقيقا لوحدة الهياكل والتنظيمات الوطنية قصد مواجهة التطورات القادمة للثورة.

2- برنامج الرابطة:

يتضح برنامج رابطة الطلاب الجزائريين في المشرق العربي من خلال الأهداف التي سطرتها في مشروع قانونها الأساسي المنبثق عن جلسات مؤتمر طلابها المنعقد بدمشق ما بين 01 و11 سبتمبر 1958م.

ويمكن أن نقسم برنامج الرابطة إلى ثلاثة محاور أساسية هي:

1 - العمل على تسيير شؤون الطلبة المادية وتحسين ظروفهم الدراسية والاجتماعية في مختلف الأقطار العربية، وذلك عن طريق السعي لدى حكومات هذه الدول من أجل قبول أكبر عدد ممكن من الطلاب بجامعاتها ومعاهدها العليا، والحصول منها مباشرة وعن طريق جامعة الدول العربية على المنح الدراسية، والعمل على الرفع من المستوى المادي والمعنوي للطالب الجزائري، وحل كل المشاكل التي تعترضه من إيواء

وإطعام وندرة الكتب وغيرها من الأمور المساعدة على الدراسة وذلك بالتنسيق مع مكاتب جبهة التحرير الوطني في الدول العربية. (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح، م، علبة 311)

2 - توثيق الصلات بين الطلبة الجزائريين في كل الأقطار العربية عن طريق توحيد نشاطاتهم والاشتراك في حل مشاكلهم بصفة جماعية، وتعزيز الروابط بينهم وبين المنظمات الطلابية والشبانية العربية من جهة،(Harbi,M, et Meynier,G, 2004 : 715) ومع المنظمات الطلابية والشبانية العالمية من جهة أخرى، (مروش، م، 2004: ص.ص 155-165) والعمل على تقوية وحدة طلاب المغرب العربي كخطوة أولى في سبيل تحقيق وحدة كل الطلاب العرب. (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح، م، علبة 311)

3 - بالإضافة إلى البرنامج الخاص بالطلاب، تعمل الرابطة على تحقيق برنامج وطني أوسع أيضا، حيث تسعى وتعمل بكل الوسائل والإمكانيات المتوفرة للدعاية للثورة الجزائرية والتعريف بها في دول المشرق العربي سواء على الصعيد الرسمي أو داخل الأوساط الشعبية، وذلك بتسطير برنامج عمل وتحديد الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك، كإعداد النشرات المسموعة والمطبوعات والأحاديث والندوات، فضلا عن المشاركة في الاحتفالات والمهرجانات الشعبية وإحياء المناسبات والأمجاد الوطنية، إلى جانب اختيار الطلبة المتطوعين للعمل المباشر في الثورة التحريرية سواء بالميدان أو بهياكل جبهة التحرير الوطني. (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح، م، علبة 311)

والملاحظ أن هذا البرنامج كان طموحا، وخاصة ما تعلق بالمحور الخاص بالدعاية للثورة التحريرية والتعريف بها وحتى الانخراط فيها، وهذا ليس بالأمر المستغرب فقد قام الطلبة الجزائريون في المشرق العربي باحتضان الثورة منذ اندلاعها، حيث عقد الطلبة الجزائريون بمصر بعد

الإعلان عن اندلاع الثورة مباشرة اجتماعا لدعم الكفاح المسلح، ووجهوا بيانا حول هذا الموضوع أذيع في صوت العرب من القاهرة، تبعته مواضيع كثيرة في نفس الاتجاه بعد ذلك، وهو ما يبين أن الاتجاه الوطني لدى الطلبة الجزائريين في المشرق العربي قد ظهر مبكرا وأن الظروف التي كانوا يعيشونها قد ساعدتهم على هذا التوجه لأن الدول العربية كانت قد احتضنت الثورة التحريرية وقدمت لها الدعم المادي والمعنوي اللازم منذ اندلاعها.

3-علاقة الرابطة بالاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين:

لم يشهد المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين المنعقد ما بين 08 و14 جويلية 1955م بباريس حضور أي ممثل عن الطلبة الجزائريين في المشرق العربي. ويرجع بلعيد عبد السلام ذلك إلى بعد المسافة وعدم وجود اتصالات مع الطلبة الجزائريين في المشرق العربي آنذاك.(بلعيد، ع، 1990: 14-16) بينما يرى بعض الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي كأبو القاسم سعد الله بأنه كانت هناك نظرة تمييزية نحو هؤلاء تمتد جذورها إلى الصراع الحزبي بين جمعية العلماء المسلمين وحركة الانتصار، التي كانت تعتبر طلبة المشرق تابعين للجمعية بحكم أنهم قدموا إلى المشرق ضمن بعثاتها. (سعد الله، أ، مقابلة شخصية، 2004)

ومهما يكن السبب فقد أثر ذلك في نفوس الطلبة الجزائريين في المشرق العربي، الذين اعتبروا ذلك إقصاء لهم وبالتالي رفضوا أن ينضموا إلى اتحاد لم يستشاروا في تأسيسه ولا في وضع قوانينه، وانصرفوا إلى تكوين رابطات طلابية محلية في كل دولة من دول المشرق العربي التي كانوا يتواجدون بها.

كما أن الاتحاد لم يول اهتماما بالطلبة الجزائريين في المشرق العربي خلال السنوات الأولى من تأسيسه، وذلك لانشغاله بفتح الفروع في الجزائر وفرنسا وتونس والمغرب، ونظرا للعمل الذي كان يقوم به للتعريف بنفسه

داخل الأوساط الطلابية الفرنسية والعالمية والدعاية للثورة الجزائرية. بالإضافة إلى ما لحق أعضاءه وقادته من اضطهاد ومتابعات من طرف السلطات الفرنسية بعد الإضراب العام عن الدروس وتعرضه للحل من جراء ذلك الإضراب، واضطراره إلى تغيير مقره إلى خارج باريس، وتكريسه بعد ذلك كل طاقاته في لم شمل جموع الطلبة الذين تفرقوا في مختلف أنحاء العالم وإعادة هيكلتهم عن طريق فتح فروع جديدة في كل دولة من الدول التي استقبلت عددا معينا من الطلبة الجزائريين.

كل ذلك كان له -من دون شك- أثره في عدم اهتمام الاتحاد وتفرغه لدراسة قضية الطلبة الجزائريين في المشرق العربي، إلا أن ذلك لم يمنعه من محاولة الاتصال بهم منذ سنة 1956م، حيث وفي هذا العام قام الاتحاد بالاتصال بمختلف الرابطات الطلابية للطلبة الجزائريين في المشرق العربي في محاولة منه لتوحيد الصفوف ولم الشمل، داعيا إياهم إلى جعل رابطاتهم فروعا للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وأرسل إليهم بطاقات العضوية والاشتراك. إلا أن الطلبة الجزائريين في المشرق العربي لم يستجيبوا لذلك النداء رغم حرصهم الشديد على الانضمام إلى الاتحاد، مفضلين التكتل ضمن هيئة طلابية واحدة يستطيعون من خلالها التفاوض من موقع قوة مع الاتحاد، وقد أسسوا لذلك رابطة الطلاب الجزائريين في المشرق العربي في سبتمبر 1958. (هلال، ع، 1986: 173)

وفي المؤتمر التأسيسي للرابطة المنعقد ما بين 01 و11 سبتمبر 1958م بدمشق، ناقش الطلبة مسألة الانضمام إلى الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وبعد مناقشات ثرية وطويلة استعرضت فيها جميع وجهات النظر، تقرر قبول مبدأ الانضمام إلى الاتحاد مع اعتبار الشروط التالية:

1 - أن يعيد الاتحاد تكوينه على أساس فيدرالي وذلك بسبب اختلاف الظروف التي تواجه الطلبة باختلاف البيئات التي يدرسون بها، الأمر الذي يقتضي بأن يكون لكل ناحية من يمثلها في اللجنة المديرة

للاتحاد، وحتى يتمكن الممثلون لمختلف النواحي من دراسة ومعالجة المشاكل على بينة ودراية وخبرة بالأوضاع، ويتيح في الوقت نفسه لكل فيدرالية نوعا من الحرية والاستقلال في الحركة والعمل. واقترح المجتمعون إنشاء خمس فيدراليات هي: فيدرالية أوروبا، فيدرالية الجزائر، فيدرالية المشرق وفيدرالية المغرب (تونس والمغرب).

2 - أن يعاد النظر في بعض مواد وبنود القانون الأساسي للاتحاد حتى تتلاءم مع النظام الفيدرالي المقترح. (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح، م، علبة 311)

بالإضافة إلى هذين الاقتراحين، فإن الطلبة الجزائريين في المشرق العربي يرفضون الانضمام إلى اتحاد لم يستشاروا في تكوينه ولم يكن لهم من يمثلهم في مؤتمره التأسيسي. (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح، م، علبة 311)

وقد كلف المؤتمر التأسيسي لجنة تقوم بتحرير وبعث رسالة إلى الاتحاد حول هذه القرارات، وقامت اللجنة ببعث تلك الرسالة إلى الاتحاد فور انتهاء جلسات المؤتمر التأسيسي للرابطة، وضحت فيها شروط انضمام الطلبة الجزائريين في المشرق العربي إلى الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين تحقيقا للوحدة الطلابية التي هي السبيل الذي يمكنهم من تأدية رسالتهم الثقافية والوطنية. (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح، م، علبة 311)

وفي رسالة أخرى بعثها فرع رابطة الطلبة الجزائريين بالقاهرة إلى أعضاء فرع رابطة الطلبة الجزائريين بالعراق بمناسبة إرسال الاتحاد العام لعلي عبد اللاوي- ممثلا عنه – إلى المشرق، والذي مر بمصر والتقى بممثلي

الرابطة بالقاهرة وفاتحهم في أمر الانضمام إلى الاتحاد، يمكن من خلالها معرفة موقف الرابطة من هذا الموضوع أيضا، إذ أن طلبة مصر أجابوه حسب الرسالة أنه لا يمكنهم أن يتخذوا قرارا انفراديا حول هذه المسألة لأنهم يعتبرون فرعا من فروع الرابطة فقط، وأن قرارا بهذه الأهمية يجب أن يتخذه المؤتمر. لذلك فإن طلبة مصر يناشدون في هذه الرسالة طلبة العراق بأن يكون لهم نفس الموقف مع عبد اللاوي الذي حتما سيفاتحهم في هذا الأمر عند وصوله إلى بغداد، وذلك حفاظا على وحدة طلبة المشرق إلى حين انعقاد المؤتمر في 25/ 02/ 1959 . (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح، م، علبة 311)

وعندما اجتمع طلبة الرابطة في أول جلسة لهم بدمشق في 25 / 02 / 1959، طرح موضوع الانضمام إلى الاتحاد للبحث خاصة بعد التطورات الجديدة التي حدثت بعد أن أرسل الاتحاد مبعوثين عنه (طالب شعيب وعلي عبد اللاوي وجمال حوحو) لتحقيق هذه الغاية. (مركز الأرشيف الوطني، أ،ح،م، علبة 311) وفي هذه الجلسة أعطى السيد علي مفتاحي - الأمين العام للرابطة – توضيحات حول الرسالة التي بعثت إلى الاتحاد، وأعلمهم أن هذا الأخير لم يجب عنها لحد الآن، فقام المؤتمرون ببعث رسالة ثانية للاتحاد معلنين فيها تمسكهم بالشروط التي تمت صياغتها بالرسالة الأولى والتزامهم بهذا الموقف. (مروش، م، 2004: 155-165)

وفي نفس السنة قام مسعود آيت شعلال – رئيس الاتحاد – بجولة في دول المشرق العربي قاصدا إلى إنهاء موضوع انضمام طلبة المشرق إلى

الاتحاد وتوحيد الصفوف، حيث اتصل بممثلي الرابطة وحاول إقناعهم إلا أنه فشل في مسعاه أيضا .

وبعد فشل كل هذه المساعي والجهود، تدخل أعضاء من الحكومة المؤقتة طالبين من السيد توفيق المدني – الذي كان وزيرا للثقافة بالحكومة المؤقتة ومشرفا على شؤون الطلاب – وضع حد لهذا الخلاف، فاستطاع بحنكته ودبلوماسيته إقناع طلبة المشرق بحل رابطتهم وإحلال فروع الاتحاد محلها، (مدني، ت، 1988: 487) فقبلوا اقتراحه بعدما أعطاهم وعودا بأن الحكومة المؤقتة تتعهد على لسان وزيرها للثقافة بأن تعقد للطلبة الجزائريين كافة مؤتمرا جامعا خلال عام 1960م يحضره ممثلون شرعيون من كل مكان يتواجد فيه طلبة جزائريون . (مهري، م، ب.ت: 90).

وهكذا وبعد كل هذه الجولات والمفاوضات التي دامت حوالي سنتين، تم توحيد الحركة الطلابية الجزائرية عبر جميع أنحاء العالم التي أصبحت منضوية كلها تحت لواء الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وكان المؤتمر الرابع الذي انعقد بتونس في شهر جويلية 1960 بالفعل مؤتمرا حاسما لبداية وتأكيد هذه الوحدة، فقد حضره ممثلون عن طلبة جامعات المشرق العربي (مصر، سوريا، الكويت والعراق) بالإضافة إلى ممثلي كل فروع الاتحاد عبر العالم.(سيسبان، ش، مقابلة شخصية، 2005) و(مهري، م، مقابلة شخصية، 2005) و Harbi, M et (Meynier, G, 2004 :712)

على أنه يجب التأكيد على أن الخلاف بين الطلبة الجزائريين بدول المشرق العربي والاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وان كان خلافا في

الأفكار والقناعات وحتى في مسائل الهوية والثوابت، وفي الجوانب التنظيمية خصوصا، فانه لم يكن أبدا خلافا حول الوطنية، إذ كان كل طرف أثناء فترة الانشقاق ظل يبذل قصارى جهده خدمة للثورة التحريرية، ولم يؤثر الخلاف على المجهود والنشاط الثوري لكلا الجناحين، بل كان في كثير من الأحيان باعثا ومحفزا له خاصة لدى الطلبة الجزائريين بالمشرق الذين كانوا يريدون إثبات وجودهم وقدراتهم . (سعد الله، أ، 1982: 50)

خاتمة :

وفي ختام هذه الدراسة تمكنت من الخروج ببعض الملاحظات أجملها فيما يلي :

- أن الطلبة الجزائريين بدول المشرق العربي لم يكن لهم تنظيم طلابي خاص بهم قبل اندلاع الثورة التحريرية وان كانوا قد نشطوا في إطار لجان وتنظيمات وجمعيات مغاربية عديدة، كلجنة تحرير المغرب العربي وجبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية وجمعية طلبة شمال إفريقيا واللجنة العليا للدفاع عن الجزائر وجمعية الجالية الجزائرية في مصر، وجمعية تحرير المغرب العربي بدمشق وبيروت.
- فرضت ظروف الثورة التحريرية على هؤلاء الطلبة إنشاء تنظيم طلابي جزائري تمثل في رابطة الطلاب الجزائريين في المشرق العربي يستطيعون استخدامها كقناة لخدمة أمورهم الدراسية وتقديم الدعم للثورة.

- كانت أهداف هذه الرابطة طموحة تبين مدى حماسة الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي للنضال وتقديم النفس والنفيس خدمة لقضية شعبهم.
- شكل إنشاؤهم هذه الرابطة نقطة خلاف مع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين المعترف به من طرف جبهة التحرير الوطني والتنظيمات الطلابية العالمية كممثل لكل الطلبة الجزائريين.
- تم في الأخير تجاوز هذا الخلاف وتوحيد الحركة الطلابية الجزائرية تحت لواء تنظيم واحد هو الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وتحولت فروع الرابطة الى فروع لهذا الاتحاد.

المصادر والمراجع :

1 -بلعيد، عبد السلام. (ماي 1990).- تفاصيل معركة الميم والصراع بين الوطنيين والشيوعيين-. مجلة الوحدة،، عدد 464. ص ص 14-16

2 -مقابلة مع السيد سعد الله، أبو القاسم، الجزائر بتاريخ 27 / 12/ 2004.

3 - مقابلة مع السيد سيسبان، شريف، الجزائر بتاريخ 02/ 04/ 2005.

4 -مقابلة مع السيد مهري، محمد، الجزائر بتاريخ 02/ 04/ 2005.

5 -مدني، توفيق، (1988). حياة كفاح – مذكرات – ج3، (مع ركاب الثورة الجزائرية). ط2. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

6 -مركز الأرشيف الوطني، أرشيف الحكومة المؤقتة. علبة 311.

- رسالة من اللجنة التحضيرية لرابطة الطلبة الجزائريين بمصر الى السيد المحترم سكرتير جريدة الأهرام بالقاهرة بتاريخ 15/ 08/ 1956.

- محضر جلسات مؤتمر الطلاب الجزائريين في المشرق العربي بدمشق من 01/ 09/ 1958 الى 15/ 09/ 1958.
- التقرير الأدبي للجنة الطلاب الجزائريين بسوريا لسنة 1957/ 1958 بتاريخ 15/ 12/ 1958.
- رسالة من رابطة الطلبة الجزائريين في المشرق العربي الى حضرة السيد رئيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بتاريخ 19/ 12/ 1958.
- الجلسة الأولى لرابطة الطلاب الجزائريين في المشرق العربي بدمشق في 25/ 02/ 1959.
- مشروع القانون الأساسي لرابطة الطلبة الجزائريين في المشرق العربي.
- رسالة من فرع رابطة الطلبة الجزائريين بالقاهرة الى أعضاء رابطة الطلبة الجزائريين بالعراق بتاريخ 14/ 02/ 1959.

7 -مروش، منور، (2004). المناضلون المغاربة في القاهرة والكفاح المسلح في الجزائر، جيش التحرير المغربي (1948-1955). الجزائر: طبع مؤسسة محمد بوضياف.

8 -مهري، محمد، (ب.ت). ومضات من دروب الكفاح - مذكرات-. الجزائر: مؤسسة الشروق للإعلام والنشر.

9 -سعد الله، أبو القاسم، (1982). منطلقات فكرية. تونس: الدار العربية للكتاب.

10 - هلال، عمار، (1986)، نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954. الجزائر: لافوميك.

12 –Harbi Mohamed et Meynier Gilbert. (2004). le FLN , documents et histoire (1954-1962).Alger : Casbah.

الخطاب السياسي في كاريكاتور -أيوب- بجريدة الخبر
دراسة في واقع وإفرازات الثورات العربية

أ. بلحاج حسنية،
قسم علم الاجتماع،
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،
جامعة معسكر.

مقدمـــة عامـــة:

يعتبر الكاريكاتور في حد ذاته صورة تندرج ضمن إطار النوع الثابت وهو موضوع دراستنا هذه التي سنركز من خلالها حول هذا النوع من الفنون الذي يقال عنه الكثير في الآونة الأخيرة، لتناوله العديد من القضايا السياسية ومواضيع أخرى لها علاقة بالجانب الديني المقدس، مما أثار الكثير من الانتقادات وجعله حديث العام والخاص.

هو إذن الكاريكاتور الذي يجمع الكثيرون على أنه فن يعتمد على رسوم تبالغ في تحريف الملامح الطبيعية لشخص ما أو جسم ما أو حيوان ما بهدف السخرية والتهكم والنقد الاجتماعي والسياسي، فهذا النوع من الرسومات ارتبط ارتباطا وثيقا بالسخرية مما جعل الكثيرين يطلقون عليه تسمية الفن الساخر، والملاحظ أنه رغم الصعوبات التي واجهته إلا أنه تمكن من كسب ثقة الجماهير لارتكازه على قاعدة النقد واهتمامه بالقضايا الاجتماعية، ليصبح لسانا ناطقا باسم الشعب ومعبرا عن مختلف انشغالاته واهتماماته.

فقد ساعدت الصحافة المكتوبة الكاريكاتير بشكل كبير بعدما تبنته وضمته إلى صفحاتها وخصصت له فضاء ومساحة معتبرة يعالج من خلالها مسائل كثيرة لها علاقة بالواقع الاجتماعي، الأمر الذي مكنه من تحقيق جماهيرية ومتابعة كبيرة بعدما أقبل عليه القراء كنوع جديد من الرسائل والمواد الإعلامية، فأعداد كبيرة من العناوين الصحفية

المنتشرة عبر مختلف أصقاع العالم تدرج اليوم رسوما كاريكاتورية ضمن صفحاتها لتزايد الطلب عليها بفعل لغتها السهلة البسيطة وكذا الواضحة، وحتى وإن لم تكن الصورة بلغة القارئ وضمن سياقه الثقافي قد يكون من الممكن فهمها لأنها كفيلة بالتعبير عن نفسها، فالجميع يعلم أن الكاريكاتور نوعان صامت وناطق - المصحوب بتعليق- وغالبية الدارسين والباحثين في هذا الحقل يجمعون أن اللغة لا يمكن أن تكون مقياسا لفهم هذا النوع من الرسوم إنما عاملا مساعدا على فك بعض الرموز والشفرات التي يحملها بين ثناياه، وأكثر الأنواع شيوعا اليوم هو الصامت من حيث أن رسامين كثر يعتبرونه بمثابة حماية لهم، خاصة في حال ما إذا تناولوا قضايا حساسة لها علاقة بالبعد السياسي مما يدفعهم إلى الاستنجاد به لتفادي المتابعات القضائية وما قد ينجر عنها من تبعات، هو إذن الكاريكاتور الذي يعتبر شريانا حيويا في العديد من العناوين الإخبارية التي تسعى إلى إظهاره سواء في افتتاحياتها أو في آخر صفحة لها بقصد جلب انتباه القارئ، وهو ما تحقق بالفعل بدليل ما يعرفه مسار هذا النوع من الرسوم في الآونة الأخيرة، فهناك جرائد خاصة بإدراجه لوحده فقط دون أي مقالات أخرى وجماهيره كثيرة مثلما هو حال العديد من الدول الأوروبية والجزائر أيضا كانت لها تجربة في السياق ذاته لكنها سرعان ما أوقفتها لارتباط مواضيع كثيرة منه بالبعد السياسي، فهو يسير وفق مبدأ ضرورة وحتمية تعرية الواقع بكل معطياته وكشفه للعيان، الأمر الذي مكنه من الصمود ليصبح مدرسة تمكنت من هيكلة وبناء قاعدة شعبية متينة فعلى الرغم من الهزات التي يتعرض لها في كل مرة لأسباب مختلفة إلا أنه ما انفك يطالعنا بالجديد وتطورات قد لا نجدها في العديد من المقلات أو الرسائل الإعلامية، فبقدر وجود أطراف ترفضه وأخرى تتحفظ عليه إلا أن هناك جهات أخرى ترحب به ليقينها

بأهميته ودوره في إحداث التغيير والتعبير عن مشاكل الشارع، ببساطة لأن هناك بعض ممارسيه الذين يحسبون عليه يستغلونه لتصفية حساباتهم وخدمة مصالح أطراف معينة وهو ما يتنافى وأخلاقيات هذا النوع من الرسوم الذي وجد أصلا من أجل الشعب، ليكون له وليس عليه، لذلك تجد الكثيرين يذمونه ويعتبرونه مجرد فضاء للفوضى والسخرية وإثارة القلاقل السوسيو سياسية، خاصة عندما يكون الأمر ذا صلة بالمقدسات، وعليه فالكاريكاتور حسب ممارسيه ومتتبعيه رسالة وأمانة لا ينبغي المتاجرة بها وبيع الذمة في سبيل مصلحة خاصة، إنما ينبغي لجميع الأطراف الارتقاء به وجعله مستقلا عن أي نوع من الصراع، فهدفه كشف الواقع بجذافيره من دون زيادة أو نقصان، لأنه في حال ما إذا حصل ذلك كان انتهاكا في حق هذا النوع من الفنون.

فعلى الرغم من تزايد أعداد منتقدي الرسم الكاريكاتوري، هناك جماهير عريضة ترحب به وتثمن مسعاه الرامي إلى نقل مشاغل الشعوب واهتماماتها وترى أنه مرآة عاكسة لكل ما يعرفه المجتمع من متناقضات وسلبيات، فهي ترى أنه برهن على مقدرته القصوى في تبني آلام الأفراد وإيصالها إلى المعني بمصداقية ودقة متناهية بعيدا عن النوع الثاني منه الذي يعتمد على الجانب التجاري تحت غطاء المصلحة العامة، فالكاريكاتور يعبر عن القضايا في شكله العلني بأسلوب تهكمي وساخر لكن من وراءه خطابات ورموز مشفرة قد لا يفهمها الكثيرون، الأمر الذي يستدعي معرفة مسبقة لمجريات الواقع وتغييراته من حيث أنها كفيلة بكشف خطابه الضمني.

كل هذه المعطيات السوسيولوجية تحيلنا للحديث عن المسار الذي يعرفه الكاريكاتور اليوم خاصة مع ما يعرف بالربيع العربي والاستجابة التي يلقاها من طرف الجماهير في ظل تزايد الطلب على مواضيعه التي أصبحت مادة دسمة تطرح مختلف القضايا والمشاكل

بأسلوب ساخر لكنه هادف في نفس الوقت، ناهيك عن الخطاب السياسي الذي يحمله والذي يؤكد الكثيرون على فعاليته وقيمته في حال ما إذا قورن بنفس الخطاب المفرج عنه من طرف السلطة الحاكمة، هي كلها مؤشرات تعكس طبيعة التطور الذي يعرفه هذا الفن في خضم ما هو حاصل في الفترة الراهنة من تقلبات وأحداث التي استثمر فيها بدوره وأيقن أن معالجتها هو السبيل نحو التفوق والتألق وهو ما حدث بالفعل، بدليل أنه يسجل حضورا قويا ويعرف إقبالا كبيرا، خاصة بعدما أصبحت هناك برامج تلفزيونية تعنى فقط بهذا النوع من المواضيع لقدرته على طرح قضايا متعددة بكل جرأة ودقة، فهو بذلك يكون قد تمكن من تعرية الواقع وترجمته بأسلوبه الخاص والمتميز، وعليه فكل من كان يعتبره وإلى وقت ليس بالبعيد مجرد خطوط مبالغة وسخرية، اقتنع بمدى فاعليته ودوره في إحداث الحراك الاجتماعي من حيث أنه يعتبر قوة ضغط وتأثير وفي الواجهة على خلفية قاعدة المصداقية والموضوعية التي رسمها لنفسه من دون الإشارة إلى المحسوبين إليه وعليه الذين يبقى هدفهم المتاجرة به خدمة لأغراض معينة حسب ما أشار إليه الكثيرون في مقامات عديدة وهو الأمر الذي يقاس على قضية الرسوم المسيئة إلى الرسول الكريم مثلما سبقت الإشارة إليه.

تأسيسا لما سبق وبعودتنا إلى المجتمع الجزائري وواقع هذه الظاهرة السوسيولوجية فيه نجدها حاضرة وبقوة من خلال ما يعكسه الميدان، إذ أن جماهير كثيرة تتابعه وتترقب طبيعة مواضيعه بشغف كبير، مما يحيلنا إلى معطى مهم، مفاده أن هناك نوعا من الثقافة الخاصة بهذا النوع من الرسائل التي تمكنت وبحسبهم من الوقوف على الجرح بمسايرتها للتقلبات الحاصلة في المجتمع وعكسها وفق أسلوب مميز وهادف في نفس الوقت، وعليه فإن هذا النوع من المواضيع أو الدراسات يكتسي أهمية بالغة وخاصة لكونه بسيط وسهل لكن

يكتنفه نوع من الغموض والسر لنوعية الخطاب الذي يروج له، وهو أمر ليس باستطاعة أي كان فهمه، بمعنى أن جميع الشرائح الاجتماعية والفئات العمرية بإمكانها متابعة الكاريكاتور والاطلاع عليه لكن قد يصعب عليها فك شفراته وفهم ألغازه التي تحتاج إلى قاعدة تتمثل في الأساس في قراءة ما وراء تلك الخطوط، ناهيك عن معرفة مسبقة بالقضية المطروحة، وعليه فأهمية هذا الرسم تكمن في أنه متعة وخطاب في نفس الوقت وعلى قارئه امتلاك قدرة خاصة على التحليل لاستيعابه، لأن السواد الأعظم ممن يجهلون قيمته ينظرون إليه من فوق على أنه في الدرك الأسفل وهذا من المغالطات العلمية وأيضا من الأحكام المسبقة في حقه، لأنه ذو قيمة مجتمعية وهو اليوم ضرورة ملحة، لأن الدول المتقدمة والقوية تحسب له ألف حساب وتضعه في الصدارة ليقينها بأن له وزنه وضغطه وكذا فعاليته مثلما هو الشأن في ذلك لدولة فرنسا التي توليه أهمية كبيرة وهناك صحف متخصصة فيه دون سواه من المواد الإعلامية، ويكفي أنه كان حاضرا ومتربعا على عرش الحملة الانتخابية لرئاسيات فرنسا في عام 2012، ووصل به الأمر إلى حد توجيه سلوك الناخبين من خلال ما بثته العديد من القنوات الفرنسية التي غطت الحدث آنذاك، وهناك أيضا مواقع الكترونية مخصصة له أيضا تعنى بقضايا الساعة، تطرحها في قالب ساخر لكن من وراءه خطابات عديدة.

وهو المسعى الذي أيدته العديد من الدول العربية التي تحاول أن تكون بحال البلدان الأوروبية المتقدمة لكنها بالرغم من كل ذلك تبقى تجاربها جد محتشمة لأن هذا الخطاب فيها لم يرق بعد إلى المستوى المطلوب لاقتصاره على مواضيع لا تخدمه، تتوقف فقط عند ما هو فني أو ثقافي أو اجتماعي لكن بأخف ضرر، مغيبة بذلك أكثر القضايا حساسية التي تصنع مجد الكاريكاتور واستمراريته، والجزائر من بين الدول التي

يعرف فيها هذا النوع من الصور تواجدا كبيرا بدليل الصحف التي تخصص له فضاء ضمن صفحاتها وتسعى جاهدة لجعله يساير الواقع بكل ما يحمله من معطيات، سواء بالنسبة للجرائد الناطقة بالعربية أو الفرنسية، وله جماهيره التي تطالعه يوميا كما لو أنه أصبح يمثل الجريدة في حد ذاتها، فالجزائر من خلال دستور 23 فيفري 1989 فتحت المجال أمام التعددية الإعلامية التي خدمت وبشكل كبير الكاريكاتور وجعلته يخرج عن صمته معبرا عن الواقع بكل جرأة وحماس، فمنذ ذلك التاريخ فتحت آفاق واعدة أمامه وسعى لأن يكون في الصدارة من خلال إماطته اللثام عن متناقضات عديدة، بدليل تأسيس أو إنشاء عناوين صحفية تناولت الرسم الكاريكاتوري دون سواه من الرسائل الإعلامية، الأمر الذي حظي بقبول كبير وترحيب لم يكن متوقعا من قبل، فلهذه الدراسة أهميتها العلمية من حيث أنها تسعى لتغيير كل ما قيل عن الكاريكاتور وعن الاتهامات التي تعرض إليها من طرف أوساط متعددة، وأيضا لإعطائه قيمته وسط باقي المواضيع السوسيولوجية التي ما تزال تنظر إليه على أنه عنصر دخيل، وهي رؤية غير صحيحة لأن علم الاجتماع لا يصنف المواضيع ولا يمنحها درجات إنما الطرح والمضمون هو من يفرض نفسه وهو سيد الموقف، كل هذا يحيلنا إلى نقطة مهمة مفادها أنه يعتبر في الفترة الراهنة من مواضيع الساعة كونه كفيل بإحداث حراك اجتماعي على خلفية تعريفه بمشاكل المجتمع وثقة الجماهير فيه من خلال ما ترجمه الواقع الذي أكد أنه معادلة جد مهمة في توعية المجتمع وتحسيسه بمختلف قضاياه وشؤونه.

فدراستنا ستجمع بين ما هو نظري وتطبيقي لشرح دلالة هذا الفن وخطابه السياسي الكامن والصريح في نفس الوقت من خلال ما يسمى بالربيع العربي والثورات التي عرفتها العديد من الدول العربية

كتونس، مصر وليبيا، اليمن وكذا سوريا منذ ما يقارب الثلاث سنوات التي كان الكاريكاتور حاضرا في خضمها وسعى لنقلها وتعريتها بأسلوبه الخاص.

فالهدف إذن سيتمحور أساسا حول الخطاب السياسي الذي حمله كاريكاتور أيوب بجريدة الخبر من خلال ما عرفته العديد من المجتمعات العربية -الثورات العربية-، فهو كان حاضرا وبقوة خلال تلك الفترة وحاول بأسلوبه عكس طبيعة ما حدث، لنجده -حاضرا غائبا-، بمعنى أنه لم يجعل الحدث المذكور ضمن أولوياته، فبقدر اهتمامه بالقضية إلا أنه لم يعطها أكثر من حجمها بل كنا نجده من حين إلى آخر يهتم بقضايا الشارع واهتماماته وعليه حاول -أيوب- أن يرسم لنفسه إستراتيجية في الطرح، أي أنه لم يرد أن يكون منحازا.

فالإشكالية الأساسية التي ستعنى بها دراستنا ستكون متمحورة حول الخطاب السياسي في رسومات -أيوب- بجريدة الخبر على وقع ما عرفته المجتمعات العربية جراء المخلفات والانعكاسات التي انجرت عن الحدث المذكور والحرب النفسية التي دخلت فيها الدول المعنية بهذا الفعل الثوري، ليتطور المشكل ويأخذ أبعادا خطيرة بعدما وصلت الأمور لحد الصراعات السياسية بين مختلف الأحزاب والتكتلات، مما جعل ذلك حدثا دوليا شد إليه اهتمام وانتباه كل شعوب العالم التي بقيت تترقب كل جديد إزاء الوضع المذكور، فالظرف إياه عرف امتدادا وتطورا غير مسبوق في تاريخ الشعوب المعنية التي ما تزال لحد الساعة تعرف جملة من المتناقضات والتطورات الخطيرة، بما يعني أنها حالة لا استقرار وتوتر كبير.

كل هذا التقديم والمعطيات جاءت لاستظهار أمر غاية في الأهمية والدقة مفاده أن الكاريكاتور في تلك الفترة كان حاضرا وبقوة وسعى

لتغطية الحدث بأسلوب وإستراتيجية خاصة، وهو النهج الذي اتبعه -أيوب- رسام جريدة الخبر الجزائرية من خلال رسوماته، التي سعى من خلالها إلى تعرية الوضع وترجمته لجموع المتتبعين والجماهير بقيت ترصد وتترقب باهتمام كل جديد، في الوقت الذي أظهر فيه هذا النوع من الرسائل فعاليته في قضايا كثيرة ومواقف عديدة، والملفت للانتباه من هذا كله أن الدول الأوروبية القوية تعتبره اليوم قوة ضغط كبيرة بإمكانها إحداث التغيير بحكم أن مواضيعه أكثر نفاذا وسرعة وسط الجماهير، والجزائر من الدول التي يعرف فيها الكاريكاتور تطورا ملحوظا وانبعاثا لم يتوقع الخبراء أن يصل إلى المستوى الذي هو عليه الآن، فمواضيعه متنوعة ومتعددة منها ما هو سياسي، اجتماعي، ثقافي، اقتصادي وحتى رياضي.

فالجزائر من الدول التي فتحت المجال أمام حرية الإعلام بعد إقرار عهد التعددية الحزبية مع دستور 23 فيفري 1989 الذي قاد مباشرة إلى التعددية الإعلامية لتكون الخبر أول مولود في ذاك العهد مثلما سبقت الإشارة إليه، وهو الأمر الذي استفادت منه الرسوم الكاريكاتورية بشكل كبير فبعدما كانت تقتصر على ما هو اجتماعي وبدرجة أقل أصبحت تعالج مواضيع كثيرة كانت وفي فترة سابقة من الطابوهات، وعليه فالكاريكاتوري أخذ على عاتقه مسؤولية استقراء الواقع، تعريته وترجمته في شكل كتلة واحدة متجانسة ومعبرة عن أمور تشغل الشارع، فهو في ظل المعطيات المطروحة على أرض الواقع يتحدى المتناقضات ويسعى لأن يكون في الواجهة وفي جبهة واحدة مع المواطن من خلال تبنيه لانشغالاته واهتماماته.

فـ -أيوب- واحد من الأسماء التي لها قيمتها وحضورها في الساحة الجزائرية، يحترمه الكثيرون لأنه صمد ولسنوات طويلة في الميدان، محاولا نقل معاناة المواطن في صيغة سخرية ودلالة معا، فهو كان على

رأس عدد من الصحف الساخرة التي ظهرت في البلاد سابقا، فطبيعة مواضيعه ودقتها والطريقة التي يرسم بها على خلاف غيره من الرسامين جلب إليه اهتمام العديد من القراء، بالإضافة إلى طرحه المختلف للموضوع الذي يكون وفق معرفة مسبقة به، الأمر الذي أكسبه ثقة جماهير كبيرة من مختلف الفئات العمرية والشرائح الاجتماعية.

فهذا النوع من الرسومات وبحسب ما نقله التاريخ كان يثير مخاوف الجهات السياسية التي سعت لتضييق الخناق عليه لإدراكها أنه يشكل خطرا كبيرا عليها من منطلق المواضيع والقضايا التي كان يطرحها، فهو لم يصطنعها أو يفبركها ، إنما نقلها من رحم المجتمع فهو لم يترك قضية إلا وعبر عنها، متحديا بذلك كل الضغوط والممارسات التي فرضت عليه، فهي كانت قد عرفت لدى المصريين القدماء والآشوريين وكذا اليونانيين، فأقدم صور كاريكاتورية حفظها التاريخ تلك التي سجلها المصريون القدماء على قطع من الفخار والأحجار الصلبة وشملت رسوما لحيوانات مختلفة تم إبرازها بشكل ساخر، عمل على رسمها العاملون في تشييد مقابر وادي الملوك بدير المدينة ويرجع تاريخها إلى عام 1250 قبل الميلاد ولم تعرف الغاية التي توخاها صاحبها من وراء رسمها، فهناك من قال أنها كانت إشارة غير صريحة عن العلاقة التي كانت غير متوازنة ومتوترة بين الحاكم والمحكوم، مما دفع بالنحاتين إلى تجسيدها في شكل ساخر، خفي المعنى.

أما بالنسبة لليونان فقد عرفوا هم أيضا هذا النوع من الفنون، فقد أشارت العديد من الكتب أن مصورا يونانيا يدعى -بوزون- صور بعض المشهورين من أهل زمانه في شكل يبعث على السخرية، مما استدعى عقابه في العديد من المرات من دون أن يمتنع عن متابعة رسوماته، كما أن -بوبالوس- و-أتنيس- وهما من أشهر نحاتي

التماثيل في اليونان صنعا تمثالا للشاعر -ايبوناكس- وكان التمثال أشد دمامة لدرجة أنه كان يثير ضحك كل من كان يشاهده وينظر إليه، فاغتاظ الشاعر منهما وهاجمهما بقصيدة لاذعة لم يحتملاها فانتحرا، فكل هذه الأمور والمعطيات الواردة في تاريخ هذا الفن تعطينا صورة واضحة عن قيمته وعن الدور الكبير الذي لعبه في تبليغ رسائله وخطاباته، فرغم التضييق إلى أنه حاول البحث عن ثغرة صغيرة ليبرز من خلالها ويكون في الواجهة، بمعنى أنه حقق هذه المكاسب اليوم بعد نضال طويل ومسيرة حملت جملة من الصعوبات، فقد كان هدف رواده التعبير عن آلام الشعوب بأسلوب يحميهم وهي إستراتيجية فرضتها الظروف السابقة، لكنه اليوم أكثر جرأة وتجده حاضرا في المواقف الصعبة والمصيرية التي قد تعجز أي وسيلة أخرى في التعبير عنها، لأن رأس المال الكبير والحقيقي لهؤلاء الفنانين هي الشعوب التي منحتهم ثقتها وعولت على ما يقدمونه لأجل نصرتهم وتحقيق مكاسب كثيرة لدى أعداد كبيرة من المغلوب على أمرهم على خلفية العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وهو الموضوع الذي كان ولا يزال لحد الساعة موضع اهتمام كاريكاتوريين كثر ، مثلما حملته رسومات -جورج كروك شانك- و-جيمس جيلاري- و-توماس رولاندسون- التي انتقدت مختلف طبقات المجتمع الانجليزي، مركزة حول السياسة والحكومة بأسلوب ساخر ولاذع في نفس الوقت.

فالجزائر واحدة من الدول التي يعرف فيها هذا الفن ديناميكية كبيرة ومسارا غير مسبوق، بحكم المواضيع التي أصبح يعالجها والتي تلقى إقبالا جماهيريا كبيرا عبر مختلف العناوين الصحفية، فبعد مرحلة الحزب الواحد التي كان فيها الكاريكاتور يقتصر فقط على ما هو اجتماعي، انتقل مع التعددية السياسية للخوض في مسائل متعددة، منها ما هو سياسي، اجتماعي، ثقافي ورياضي وحتى اقتصادي،

والكثير من الدول العربية تشيد بتجربة الجزائر في هذا السياق من حيث أنه مفتوح على كل المواضيع ويسعى قدر المستطاع لمسايرة قضايا الساعة ليضع الجماهير أمام الحدث، وفي العديد من المرات تكون له أسبقية تناول قضية ما قد لا تكون موجودة في مقال صحفي، والمثير للانتباه من كل هذا أن له قاعدة جماهيرية لا يستهان بها، على الرغم من أنه حديث النشأة في حال ما إذا قسنا نجاحه بالمدى الزمني، ما يوضح أن هذا لا يعتبر مقياسا حقيقيا للحديث عن تطور مسألة ما، إنما ما يعزز ذلك هو طبيعة ما يمكن أن يطرح من معطيات فهي كفيلة بصناعة نجاح ما وفي ظرف زمني وجيز، وهذا هو حال الكاريكاتور بالجزائر الذي حقق ما لم تحققه دول شقيقة منذ سنوات مثلما هو حال التجربة المصرية، التي كثيرا ما تقتصر موضوعاتها الكاريكاتورية على ما هو اجتماعي وفي العديد من المرات على ما هو فني مثلما أشار إليه المختصون بهذا الخصوص، فحديثنا عن واقع هذا الفن في الجزائر يدفعنا لا محالة للتنويه إلى ما تعرفه الفترة الأخيرة من نقاط إيجابية حققها هذا الحقل، لخروجه من قوقعته ورسمه لخريطة تعبير مدروسة تسعى لجعل اهتمامات الشارع ضمن أولوياتها، و-أيوب- رسام جريدة الخبر واحد من الأسماء التي لها شعبية كبيرة في الجزائر بدليل ما أكدته رسالة الماجستير التي كنا قد أعددناها في هذا السياق، فقد أشارت المعطيات التي استقيناها من خلال الدراسة أنه الأكثر طلبا وحضورا، لأنه ينغمس في المجتمع بكل تفاصيله، لا يحرف، لا يحور ولا يزيف الواقع، إنما قضايا العباد هي صلب اهتماماته وسر تفوقه، رغم أن هناك أسماء أخرى تشاركه هذا الفضاء، لكن حضورها يقتصر على مواضيع دون سواها على عكس -أيوب- الذي تجده حاضرا على الدوام وفي مختلف الزوايا، مسايرة منه للحدث وليكون عند حسن ظن متتبعيه به.

وعليه فكاريكاتور -أيوب- في خضم الحدث الذي نحن بصدد معالجته حمل خطابا سياسيا واضحا، رغم أسلوب الرسم الفكاهي والصيغة التي تناول بها الموضوع محاولا إعطاء صورة جلية عن حقيقة ما حدث للشعوب والأنظمة العربية، والأهم من كل ذلك أن الرسام سعى لإيصال الفكرة إلى أكبر عدد ممكن من متتبعيه بطريقة بسيطة وواضحة لا يكتنفها أي غموض، ما سهل على القارئ استيعابها وفهم معانيها، فكل الدراسات المتعلقة بهذا النوع من الصور وهي الثابتة ينطوي على جملة من المعاني والدلالات المعبرة والهادفة.

وعليه يمكن الإشارة إلى بعض الأسئلة الفرعية المرتبطة بالإشكالية:

1 - هل تمكن الخطاب السياسي المتضمن في رسومات -أيوب- على خلفية الفعل الثوري من الوصول إلى المتتبعين والمهتمين؟

2 - هل استطاع -أيوب- من خلال رسوماته الوقوف على حقيقة الوضع وشرح تفاصيله بكل دقة؟

3 - هل ساهم هذا الخطاب في توضيح الرؤية وتعرية الواقع من خلال ما جرى في البلدان العربية؟

تماشيا والإشكالية المطروحة يمكن للفرضيات أن تأخذ مسارا متباينا من حيث المعطيات المتضمنة في واحد من المواضيع المتشعبة، وعليه يمكن إدراج الآتي:

1 - تضمن كاريكاتور -أيوب- في خضم الثورات العربية خطابا سياسيا ضمنيا للتعبير عن فترة توتر بأسلوب فكاهي هادف.

2 - كاريكاتور-أيوب-محاولة هادفة لتشريح طبيعة ما أفرزته الثورات.

3 - رسومات -أيوب- في خضم الحدث الكروي مجرد فكاهة وسخرية، للترفيه عن القارئ وتغيير معطيات مشحونة بالتوتر بأخرى أكثر انفراجا.

أما بالنسبة للمنهج، فقد اعتمدنا التحليل السيميولوجي من حيث أنه الأكثر ملائمة لمواضيع من هذا الصنف -النوع- فطبيعة الطرح هي من فرضت ذلك، فالتحليل السيميولوجي للصورة، يهتم بالكشف عن المعنى الحقيقي للرسائل، بالإضافة إلى المعاني الخفية الغائبة عن ذهن القارئ، وعليه فهو يسعى إلى الرفع من القيمة الجمالية والاتصالية للصورة وزيادة الملاحظة وبعد النظر وعمق التفكير كذلك واكتساب المعارف وتوسيعها، لأجل كل هذا ستتبنى هذه المقاربة السوسيولوجية الطريقة التي اعتمدتها -مارتين جولي- -Martine Joly- في تحليل الصورة من حيث أنها جلية، واضحة وبسيطة، فهي أشارت إلى المستويات التالية: 1- الرسالة التشكيلية، 2- الرسالة الأيقونية، 3- الرسالة اللسانية.

فالتحليل السيميولوجي اقترن في بداياته الأولى بالطب، بدليل أنه كان يهتم بدراسة أعراض المرض، ليدخل فيما بعد ميدان اللسانيات، مركزا حول الإشارات والرموز في كنف أو حضن الحياة الاجتماعية.
(Dictionnaire Hachette Multimédia Encyclopédique,2001,sur CD-ROM)

وقد وظفه عالم اللسانيات -فرديناند دي سوسير- F. De Saussure - في الكشف عن طبيعة الدلائل les signes وبحسبه فإن الدليل le signe هو عنصر دال، يتركب من جزأين لا يفترقان، هما الدال le signifiant والمدلولle signifié وهما يرتبطان بعلاقة اعتباطية، إذ لا توجد علاقة شبه بينهما. فكلمة vache أي بقرة، لا تشبه البقرة في الواقع، فالباحث في المجال السيميائي يسعى للبحث في الشيء الذي يعتبر مكانا لمعنى أو دلالة معينة أو دلالات ومعاني مختلفة والتي من الممكن أن يحملها ذلك الأمر الذي نقصد به الرسالة. (Lindekens, R. 1986 : 47) فطريقة التحليل السيميولوجي لاقت تطورا واستمرارية فيما بعد، ومن ذلك نجد

الطريقة التي جاء بها -رولان بارث- -R. Barthes- والذي يعتبر أول من وضع منهجية توظيف التحليل السيميولوجي في الصورة و تقوم على بحث -المعنى على نظامين- (Lazar, J.1996 : 46)

وعليه فقد اخترنا رسما كاريكاتوريا من صور -أيوب- الصادر بجريدة الخبر، ليوم الإثنين28-02- 2011، العدد 6280، من حيث أنه أكثر الرسومات دقة وتعبيرا وتفصيلا لكل ما حدث بالمجتمعات العربية، فهو لم يستثن دولة دون أخرى، إنما جمع كل البلدان المعنية بالثورة في كاريكاتور واحد.

تعريف الكاريكاتور: اشتقت لفظة كاريكاتور caricature من الفعل caricare في اللغة الإيطالية الذي يقصد به في اللغة الإنجليزية to load أما في اللغة العربية فيعني يحشو أو يقوم بإضافات إلى الواقع، فكاريكاتور اشتقت من لفظة carattere الإيطالية التي تعني character في اللغة الإنجليزية أو أنها قد اشتقت من لفظة cara الإسبانية التي تعني face في الإنجليزية -الوجه- هذا الأخير الذي اعتبره الكثير من الرسامين نقطة انطلاق مع إدخال بعض الإضافات على وجه الشخصية ثم يقوم بتكبير حجم الأنف أو الذقن أو الجبهة أو يعمل على إبرازهم في أحيان أخرى، مما يثير في ذهن المشاهد أو القارئ مزيجا من الهزل والسخرية.(حجاب، م. 2004: 438)

التعريف بجريدة الخبر:

جريدة -الخبر- واحدة من بين الصحف التي استطاعت أن تجد لنفسها مكانا وسط الساحة الإعلامية التي تتميز بعناوين مختلفة، وهي تصدر عن شركة، تم تأسيسها من طرف مجموعة من الشباب كانوا يشتغلون بجريدتي -الشعب- و-المساء- العموميتين، حيث اجتمعوا في شهر أوت 1990 ليضعوا تحقيق طموحهم المتمثل في تأسيس وتكوين يومية تطل كل صباح على القراء من خلال جديد الأحداث على

الساحتين الوطنية والدولية لذلك، وقعت الجمعية التأسيسية التي حرر خلالها العقد التوثيقي في 01-09-1990 ليبدأ التفكير في وضع أول مولود يتزامن مع ميلاد عهد التعددية الإعلامية يكون خطها الافتتاحي يعكس عنوانها -الخبر- يومية مستقلة تعني بالأخبار بأكبر قدر مع تحليلها تحليلا يتناسب وأهمية الخبر، وها هي اليوم تعتمد أعلى مستويات التطور في المجال الإعلامي وهذا من خلال تحديث وتطوير الوسائل التقنية وكذلك الطباعة.

2-التعريف بـ -أيوب-:

-عبدو عبد القادر- المدعو -أيوب- من مواليد 29 أفريل 1955 وسط جبال بني سليمان بمنطقة السواقي – ولاية المدية- انتقل في عام 1961 إلى الجزائر العاصمة أين تكلفت به عمته، وهناك التحق بمدرسة -إبراهيم فاتح- بالعاصمة لمزاولة دراسته وللإشارة فقط فإن عائلته تتكون من خمسة إخوة: فتاتين وثلاثة ذكور، كما أنه التحق في السنوات الأولى من طفولته بالكتاتيب لتعلم وحفظ بعض السور القرآنية، والتحاقه بمدرسة الجزائر العاصمة كان لعدم توفر المدارس بمسقط رأسه بحكم أنها كانت منطقة نائية – زاول تعليمه الابتدائي والمتوسط بشكل عادي لكن تعليمه الثانوي كان متذبذبا نظرا للظروف الاجتماعية القاهرة والمستعصية التي مر بها. (مقابلة مع -أيوب- ، مقر جريدة الخبر بتاريخ 14 جوان 2005، الساعة 12:24)

سنة 1979 يدخل -أيوب- عالم الصحافة أين نشر له أول رسم بجريدة -المجاهد- الصادرة باللغة الفرنسية، حيث كان موضوع الرسم الكاريكاتوري اجتماعيا، ليلتحق بعد ذلك بمجلة -ألوان- عام 1980 وكانت عبارة عن مطبوع شهري، صادر عن وزارة الإعلام والثقافة، في تلك الأثناء تناول مواضيع مختلفة من الاجتماعية إلى الثقافية، حيث زاول نشاطه بذات المجلة مدة قاربت الأربع سنوات وهذا إلى غاية

الفاتح أكتوبر 1985، حيث ساهم وبشكل كبير في إصدار العدد الأول من جريدة -المساء- العمومية وهي صحيفة يومية وطنية مسائية، عمل بها كموظف دائم، لكنه لم يلبث أن غادرها بحكم التضييق على حرية التعبير والتحكم في ريشة الرسام، وتحديد طبيعة المواضيع المراد معالجتها وتناولها، وبما أن -أيوب- كان مولعا بتناول الأحداث السياسية التي كانت تطبع وتميز بلادنا وجد نفسه يغادر طاقم الصحيفة، وأخذ يهتم بتناول المواضيع الدولية بما فيها القضية الفلسطينية وتصدع المعسكر الشيوعي وبداية المطالبة بوجود عالم تحكمه الديمقراطية، بالإضافة إلى الحرب الأهلية في لبنان، مع بداية التسعينات وإقرار عهد التعددية الإعلامية في الجزائر، كان -أيوب- من المؤسسين الأوائل ليومية -الخبر- المستقلة حيث ساهم في إصدار العدد الأول التجريبي من هذه اليومية الصادر بتاريخ الفاتح نوفمبر 1990، ليواصل مساره بذات اليومية إلى أن تم الإعلان عن ميلاد صحيفة -القرداش- نصف الشهرية والتابعة لشركة المساهمة -الخبر- وهذا سنة 1992، حيث شغل منصب رئيسا للتحرير، لكن صحيفة -القرداش- لم تلبث أن حجبت عن الصدور ، وهنا يغادر -عبدو عبد القادر-جريدة الخبر، ليؤسس في شهر أوت 1992، جريدة -بوزنزل- (نصف الشهرية ذات الطابع الساخر)، حيث كان مصيرها كسابقتها واختفت عن الصدور، وأمام هذا الوضع الصعب لم تهتز عزيمة -عبدو عبد القادر- بل على العكس من ذلك واصل طريقه بكل صمود وتحد، ليعلن عن مولود إعلامي جديد أسماه -الوجه الأخر-، وهي أسبوعية ساخرة صدر عددها الأول في ماي 1993 واستمرت إلى غاية شهر نوفمبر 1994 حيث تم توقيفها إداريا بأمر من السلطة، وكانت كل الرسومات الصادرة في هذه الأثناء تحمل توقيع -عبدو-

يعود الفنان -عبدو عبد القادر- مجددا إلى جريدة -الخبر- ويخلق ركنا قارا للكاريكاتور والذي كان يستعمل في وقت سابق كحشو فقط وملأ لفراغ صفحات الصحافة المختلفة، وكان ذلك في 16 ديسمبر 1996 أين أمضى أول رسم له تحت اسم -أيوب-.

التحليل السيميولوجي للصورة الكاريكاتورية الصادرة يوم الاثنين 28-02-2011 العدد 6280



أولا- الوصف:

يلاحظ في هذه الصورة التي كانت تفاصيلها بمزبلة عمومية- مكان لرمي القمامة- أنها جاءت محدودة بعدد من الأكياس وأشكال مختلفة يتم إلقاءها بمثل هذه الأماكن، وهذا ما كان جليا وظاهرا في هذا الرسم، كما تضمنت رسالة لغوية كان عنوانها: الأنظمة العربية ..وبئس المصير والذي تم إدراجه في جهة اليمين أعلى الصورة وبخط عريض واضح، وفي قلب الصورة كانت حاويات النفاية التي سبق

الحديث عنها وهي تضم مختلف الفضلات من أكياس مبعثرة هنا وهناك وحذاء وكذا عجلة مركبة جزء منها ممزق ومن وراءها يظهر جزء من جسم قط يبدو أنه في وضعية بحث عن ما يأكله بالإضافة إلى وحدة آجر تستعمل في البناء وكذا قارورة، فأر كبير يحاول مغادرة المزبلة، وفي الجهة الأخرى من اليمين يظهر جزء من جسم قط وهو وراء العجلة، زيادة على وجود مرحاض مستعمل والمثير للانتباه في ترقيع في حين كانت الثانية -الموجودة فوق- أفضل حالا وقد كتب عليها مزبلة التاريخ ووضعت بداخلها ورقة دون عليها رؤساء العرب، وغير بعيد عن هذه المزبلة تظهر بعض المنازل في جو مظلم، وغير بعيد عن الصورة ومن فوق يوجد اسم -أيوب- وهو صاحب الكاريكاتور وعلى اليسار هناك البريد الالكتروني الخاص به بالإضافة إلى توقيعه الذي جاء من جهة اليسار تقريبا مع نهاية الرسم متبوعا بتاريخ الصدور 2011 والصورة ككل محدودة بإطار أو مساحة خاصة بها.

ثانيا- المستوى التعييني:

I)-الرسالة التشكيلية:

1-الحامل: تم إدراج هذا الرسم الكاريكاتوري في الصفحة الأخيرة من جريدة الخبر -الصفحة 24-، في الجهة العلوية من جانب الوسط.

2-الإطار: الصورة محدودة بإطار ذا مقاس12 سمﷺ10سم.

3-التأطير: تبدو أجزاء وأشكال الصورة واضحة ، بدليل أنها تتربع على كل فضاء أو مساحة الرسم، من حيث أنها تمثل عناصر أساسية ورئيسة، سعى -أيوب- للتركيز حولها لأنها تمثل جوهر الموضوع ومحتواه.

4-زاوية التقاط النظر واختيار الهدف:جاءت الصورة في شكل مقابل للقارئ، لإثارة اهتمامه، ففي الصورة نلاحظ حاويات النفاية أكثر وضوحا وجلاء لأنهما محور الموضوع وأساسه فقد تم وضعهما في

زاوية التقاط مناسبة ومواتية بالإضافة إلى الموجودات التي كانت بداخل واحدة منهما والعبارة التي رافقتها أو كانت بمثابة بطاقة تعريف لها.

5-التركيب والإخراج على الورقة: تم تقديم الموضوع بشكل بسيط وعادي، فعين القارئ تقع من دون عناء أو تكليف على الموضوع أو الأشكال الواردة في الرسم التي كانت كتلة واحدة ومعبرة في نفس الوقت، ليتم الانتقال بعد ذلك إلى الرسالة اللغوية -التعليق- ، فقد تم إخراج الرسم بدقة متناهية مع مراعاة كل التفاصيل وهو الأمر الذي جعلها موضوعا متكاملا وصريحا في نفس الوقت، فقد جاءت على الصيغة التالية:

حاويات النفاية، باقي النفايات، الفأر وجزء من جسم القط، عجلة مركبة، قطعة آجر، سكنات،

6-الأشكال:

أكياس متعددة لأشكال والأحجام تأخذ شكلا شبه دائري

خطوط لرسم شكل حاويات النفاية وكذا تفاصيل باقي الرسم

مستطيلات تعبر عن جدران المحاذي للمزبلة وكذا المنازل المجاورة

7-الألوان والإضاءة:

يطغى على الصورة اللون الأسود فكل تفاصيل الصورة مغطاة الأسود، باستثناء الورقة التي كانت داخل الحاوية وكذا ما كتب عليها وهذا للتوضيح فقط وشد انتباه القارئ وتفاصيل أخرى صغيرة لإعطاء الصورة بعدا فنيا كالمرحاض المستعمل مثلا..

II)-الرسالة الأيقونية:

الدوال الأيقونية	المداليل في المستوى الأول	التضمين في المستوى الثاني
شكل حاوية نفاية	مكان لرمي الفضلات	الانتهاء من أشياء لا قيمة

	والأمور التي يتم الاستغناء عنها	لها- التغييب- النهاية- عدم الرجوع إلى الماضي- احتقار الأشياء
مرحاض مستعمل	مكان لقضاء حاجة بيولوجية	الراحة
أشكال بلاستيكية وأجسام مستطيلة	- أكياس	عدم إقامة اعتبار للشيء -التخلص منه
جسم حيوان يظهر جزء من جسده	- القط	الذكاء- حيوان أليف
جسم حيوان آخر الذي يحاول الفرار	- الفأر	انتهاز الفرص

III)-الرسالة اللسانية:

جاءت الرسالة اللسانية على النحو التالي: - الأنظمة العربية ..وبئس المصير -: وهو التعليق الذي رافق الرسم، والمقصود من ورائه التعبير عن واحدة من المشاكل التي عرفتها المجتمعات العربية ممثلة في الثورات أو ما يسمى اليوم بالربيع العربي، الذي مس العديد من الدول كتونس، مصر، ليبيا ودول أخرى، حيث عرفت الشعوب المذكورة حالة من التوتر والصراع بعدما كان مطلبها الأول والأخير هو إسقاط الأنظمة الحاكمة وهي الفكرة التي ركز حولها صاحب الريشة الذي أراد أن يوضح بشكل أو بآخر أن هذه الشعوب كان مغلوبا على أمرها وعملت جاهدة للتخلص من قبضة وسيطرة محكوميها وارتأت أن أنجع طريق هو الثورة، هذه الأخيرة التي كانت لها انعكاسات ونتائج

وخيمة على المعنيين الذين ما يزالون يتخبطون في مشاكل كبيرة على الرغم من إسقاطهم الأنظمة السابقة، فهذه الصورة جاءت لتقف عند ذلك محملة الأنظمة مسؤولية ما حدث بهذه الدول بحكم أن سياساتها واستراتيجياتها التي كانت غير معروفة هي من لوثت الأجواء وجعلت تاريخهم كالحاويات التي ترمى فيها النفايات والفضلات إذ لا قيمة لهم ولن يذكرهم التاريخ على الإطلاق لأنهم شوهوا المجتمع باقترافهم ممارسات غير مشروعة في حقه كما أنهم همشوه واختزلوه وجعلوه تابعا مأمورا، فعلى الرغم من السنوات التي قضاها الحكام العرب في سدة الحكم إلى أن مصيرهم في النهاية كان المزبلة ومصيرهم سيكون القصاص والعقاب حسب ما عبرت عنه الصورة، فشعوبهم لن تذكرهم مطلقا ولن تتسامح مع ما اقترفوه في حقها فهو كانوا السبب في استفحال عدد كبير وقائمة من المشاكل قد لا تنتهي، فالصورة في مضمونها جاءت معبرة وكان هدفها الوقوف على الجرح واختصاره في كلمة أن مصير الأنظمة العربية هو المزبلة لا أكثر فهم لم يفعلوا شيئا تذكرهم به شعوبهم بل على العكس من ذلك كانوا وراء صراعاتهم ومشاكلهم ومآسيهم، دون تناسي عبارة -أيوب 2011- وهي إمضاء صاحب الرسم وسنة صدور الكاريكاتور الذي بين أيدينا.

فقد جاءت الرسالة اللسانية هنا لتأدية وظائف لعل أهمها: التوجيه والتبليغ التي تظهر في عنوان الصورة فعلى الرغم من عدم إدراج صورة أي حاكم عربي ولا حتى اسمه إلا أن المضمون كان واضحا فهي جاءت شاملة وواضحة، لدرجة أنه بإمكان أي كان فهمها

والوقوف على ما تحمله من خطابات، كما أن التعريف الذي صاحب الحاوية خدم الموضوع بشكل كبير لأنه لو غاب لكان المعنى العام للصورة ناقصا وغير مفهوم، ففي مجملها كانت مثيرة للاهتمام وموفقة وجامعة، مما ينم عن حقيقة مفادها أن للرسام قاعدة ومرجعية مكنته من إبداع الموضوع فهو صاحب بعد نظر وخيال واسع وهو ما تؤكده المساحة الموجودة هنا.

ثالثا-المستوى التضميني:

نعود إلى العنوان من جديد- الأنظمة العربية ..وبئس المصير -: دلالة تحيلنا إلى المآسي والمخلفات الكارثية التي تعرفها الشعوب العربية جراء سياسات أنظمتها الحاكمة، التي كانت سببا رئيسا في وصولها إلى ما هي عليه اليوم التي اعتبرت مأساوية وكارثية لأنها كانت وراء تفشي ظواهر مختلفة، من حيث أن مخلفاتها ما تزال تطال هذه المجتمعات وتهددها، فحالة اللااستقرار واللاأمن تطبع يوميات هذه الشعوب، التي تبقى ساخطة على حكامها لأنهم من أوصلوها إلى هذا المنحى والمسار الخطير، فالجميع يعلم أن الأماكن المخصصة للنفايات ترمى فيها الأمور التي لا حاجة منها ولها، فهي تحيلنا إلى القطيعة وعدم العودة وهي فكرة غاية في الدقة والتصرف، وعليه فهذه الشعوب دخلت في نوع من القطيعة مع أنظمتها التي ترى أنها لم تخدمها يوما بل على العكس من ذلك كانت تتاجر بها وبقضاياها، واختزلتها على الرغم من أن الشعوب معادلة جد مهمة في مسيرة الحكام، فالأنظمة سيطالها التناسي وهي صفحة طويت ولم تعد هناك حاجة لذكرها

كرونولوجيا ومصيرها تم الحسم فيه بأن لن يكون لها تواجد أو وجود وسط هذه الشعوب التي غيبتها عن قصد لأنها لم تخدمها قط، فمصيرها مصير كل النفايات التي انتهى منها أصحابها ولن يعودوا إليها مهما كانت الصعاب والنتائج، كما أن إدراج القط في الصورة لم يأت عبثا إنما من وراءه قصد ودلالة خاصة وأنه كان شبه متخفي، فهو هنا يمثل الشعوب التي حركت الثورة لكنها تأبى الظهور مخافة التعرض إليها أو تصفيتها لذلك ارتأت عدم الظهور بالكامل كاحتراز أو حماية، خاصة مع وجود تابعين للأنظمة السابقة عملوا على التضييق عن كل من كانت له يد في الثورة، والذين أظهرهم -أيوب- في شكل الفأر الذي بدا وكأنه يهم بالفرار لمجرد شعوره بوجود عدوه اللدود -القط-، دون أن إهمال فكرة جد مهمة وهي الفترة الليلية، فهنا يهم الجميع إلى منازلهم ليخرج الفأر باحثا عن ما يصطاده أو ما يأكله إلا أن ظهوره كان مصادفا لتواجد القط وهم الأشخاص الذين كانوا عينا يقظة حتى لا يسمحوا للفأر بالتجسس عليهم وإفشال مسار مساعيهم، فالجميع التقوا في هذه المزبلة لأنهم معنيون بالحدث وسياسة الحكام هي من أوصلتهم لذلك وجعلتهم جزءا لا يتجزأ من الموضوع، مع الإشارة إلى أن جزءا بسيطا فقط من جسم القط كان ظاهرا وهو ما سبقت الإشارة إليه لتفادي أي نوع من التضييق أو الضغط، وهناك وجه آخر للموضوع وهو أن طرفي الصراع هما القط والفأر،فالقط يمثل الشعوب التي صنعت الثورة وقادتها والفأر يحيلنا إلى الحكام العرب الذين رغم تغييبهم تاريخيا ووضعهم داخل حاوية النفايات إلا أنهم انتهزوا

الفرصة للفرار ليلا حتى لا يراهم أحد نحو أماكن فيها حماية لهم مخافة قصاص الشعوب، في الوقت الذي كان فيه القط منشغلا بأمور أخرى أو تعمدت بعض الجهات إلهاءه أو محاصرته لتسهيل عملية هروب الفأر وهو ما يظهر من خلال العجلة الممزقة وهي الطرف الذي وفر الحماية للحكام حتى يفروا بجلدهم، فالعجلة هنا تحيلنا إلى الجهات التي تعمل لصالح الحكام والأنظمة مدعية أنها في صف الشعب لكنها في حقيقة الأمر جاسوس، دون تهميش المرحاض المستعمل الذي له حضور قوي ودلالة كبيرة هنا، فمعناه أن الأنظمة العربية كانت تضع مشاكل الشارع واهتماماته في أماكن نجسة وترمي بها في المرحاض كما تقضي حاجتها البيولوجية، ليكون الدور على قطعة الآجر التي تستعمل في البناء فبدل أن يساهم الحكام في تشييد مسيرة البناء والتقدم كانوا السبب في التحطيم، التخريب وإغراء الوطن في مشاكل كبيرة جدا ومآسي، فالصورة إجمالا كانت معبرة وواضحة كما لو أنها ناطقة، فعلى الرغم من قيمة الموضوع وتشابكه وارتباطه بالعديد من القضايا إلا أن -أيوب- اختصره في رسم بسيط ووافي وشامل أيضا.

خاتمة:

لقد حمل الكاريكاتور إياه خطابا سياسيا دقيقا من خلال محاولته تبيان حقيقة سوسيو سياسية عاشتها الشعوب العربية على خلفية ما سمي بالثورات أو الربيع العربي، فهو حاول أن يضعنا أمام حدث هام ومنحى خطير عرفته الساحة العربية والعنوان المصاحب للرسم اختصر الطريق ليقول للأنظمة العربية مصيرك في النهاية المزبلة ولن يذكرك

التاريخ لأنك لم تترك لشعبك ما يذكرك به، فأنت كنت السبب وراء الثورة لأنك أهملتهم وأقصيتهم ولم توفر لهم ضروريات الحياة من مناصب شغل وسكن ومستوى عيش كريم بل جعلتهم دائمي التخبط في مشاكل لم تنته وتعمدت ذلك حتى ليحاسبوك ولا يلتفتوا إلى أولويات أخرى فهمهم الوحيد كان تأمين لقمة العيش التي كانت صعبة المنال ما أدخلهم في صراع كانت نهايته بالمعطيات الموجودة اليوم، أما أنت فكان مصيرك التهميش والمؤسف في الأمر أن التاريخ سيمر على الحكام العرب كما لو أنهم لم يحكموا يوما فهم عار على شعوبهم، وكما سبقت الإشارة فإن هناك من شوشوا على الثورة من خلال استثمارهم في الحدث والتلاعب بقضايا الشعوب.

قائمة المراجع:

1-بالعربية:

حجاب، محمد منير. (2004)المعجم الإعلامي، ط 1. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

2- بالفرنسية:

1- Lazar, Judith. (1996) La science de la communication, que sais je ? 2 éme éditions. Alger : Editions Dahleb.

2-Lindekens, René. (1986) dans l'espace de l'image, Paris : Editions aux amateurs de livre.

الميدان:

مقابلة مع -أيوب- ، مقر جريدة الخبر بتاريخ 14 جوان 2005، الساعة (12:24

دور حركة النهضة في تحقيق التحول الديمقراطي في تونس في مرحلة مابعد الثورة

أ. ويــكن فــازية

جامعة عبد الحميد بن باديس،

مستغانم.

مقدمة :

أدت الثورة الشعبية التي عرفتها تونس في أواخر 2010 إلى انهيار النظام السابق ووصول حركة النهضة إلى الحكم لأول مرة ، رغم ما صاحب ذلك من جدل واسع وقلق اكبر من مختلف التنظيمات السياسية الفاعلة في تونس ، ورغم كل هذه المخاوف استطاعت الحركة الفوز في أول انتخابات تشريعية بنسبة تفوق 40 في المائة.

و تعد حركة النهضة أبرز الحركات الإسلامية في تونس فقد نجحت في استغلال الظروف التي شهدها المجتمع من تغريب وفساد وتدهور اقتصادي وسيطرة الحزب الواحد على الحياة السياسية في ترسيخ وتوسيع نطاق انتشارها ونفوذها منذ أواخر السبعينيات.

وتتميز الحركة بقدر كبير من الاعتدال والمرونة والواقعية، وتتبنى اتجاها يمكن وصفه بالاتجاه العقلاني، فعلى المستوى السياسي نجد أن الحركة غيرت اسمها من حركة الاتجاه الإسلامي إلى حركة النهضة في يناير 1989 وصاغت برنامجا علمانيا لا يدعو لتطبيق الشريعة الإسلامية بل يطالب فقط بالعودة إلى القيم والتقاليد الإسلامية (العملة ، أ ،1991 :119).

بعد اندلاع الثورة دعت الحركة إلى العمل على تحقيق التحول الديمقراطي من خلال التعجيل بإنشاء المؤسسات الديمقراطية والمؤسسات

ذات الشرعية الديمقراطية، والتفاهم مع الحركات السياسية الأخرى في الساحة التونسية، من قوى سياسية علمانية ويسارية على وجه الخصوص.

لكن رغم هذا البرنامج المعتدل ، الا أن وصول الحركة الى السلطة يثير العديد من التساؤلات حول موقفها الفعلي من التعددية والمعارضة ، وكيفية تنفيذ برنامجها الانتخابي في ظل الأوضاع غير المستقرة في تونس ، والطرق التي ستنتهجها لتحقيق تحول ديمقراطي حقيقي في تونس

انطلاقا من هذه التساؤلات تم تقسيم الموضوع إلى :

مقدمة

1 – مظاهر المشاركة السلمية للحركات الإسلامية في العملية السياسية

أولا: الموقف من الآخر المختلف:

ثانيا: التنازل عن العنوان الإسلامي:

ثالثا: التحول إلى أحزاب سياسية:

2 – مكانة حركة النهضة في تونس قبل الثورة

3 – مساهمة حركة النهضة في التحول الديمقراطي بعد الثورة

اولا – دور حركة النهضة في الثورة التونسية

ثانيا – علاقة حركة النهضة بالمعارضة الفاعلة في تونس:

1 – موقف حركة النهضة من التعددية

2 – موقف حركة النهضة من المعارضة قبل الثورة

3 – علاقة الحركة مع المعارضة بعد الثورة

ثالثا – وصول حركة النهضة للسلطة ورهان تحقيق تحول ديمقراطي حقيقي

خاتمة

1 – مظاهر المشاركة السلمية للحركات الإسلامية في العملية السياسية

ترى نفين مسعد أنه رغم كثرة التنويعات الاجتماعية والفكرية والدينية للظاهرة الإسلامية فإن بروز الجماعات الدينية يقترن بدخولها إلى

المعترك السياسي لأنه يضعها اعتبارا من تلك اللحظة في مواجهة السلطة، ويوضح ذلك نموذج حركة النهضة في تونس فالقليلون من كان يلم بنشاطها الدعوي الصرف في إطار جمعية المحافظة على القرآن الكريم، لكن الرأي العام تنبه لها عندما تقدمت بطلب الحصول على تأشيرة العمل الحزبي عام 1981(الرياشي، س .1996 : 138) .

وتتجلي مظاهر تحول الحركات الإسلامية نحو العمل السياسي فيما يلي:

أولا: الموقف من الآخر المختلف:

بعد مرحلة الاستقلال وقيام الدولة القطرية في النصف الثاني من القرن العشرين حصلت القطيعة والخصام بين التيار الإسلامي والتيارات السياسية والفكرية الأخرى واستمرت هذه القطيعة بحكمها عدم الثقة بين الطرفين لزمن طويل ولكن اليوم زادت الدعوة إلى الحوار بين الطرفين والبحث عن نقاط الالتقاء وعلى القواسم المشتركة.

والتطور السياسي المهم الذي حصل هو التداخل والتعاون والتنسيق بين الإسلاميين والتيارات الوطنية والقومية.

ثانيا: التنازل عن العنوان الإسلامي:

في خطوة غير متوقعة أقدمت بعض الحركات الإسلامية على التنازل عن العنوان الإسلامي وحذفه من اسم الحركة، لمبررات سياسة رجحتها هذه الحركات، وفي رؤية الإسلاميين أن مبررات هذا التنازل هي لتفويت ما يقال عن الجماعات الإسلامية بأنها تحتكر الإسلام لها وتزج بالدين في المعترك السياسي، ومن الحركات الإسلامية التي تخلت عن العنوان الإسلامي نجد حركة الاتجاه الإسلامي في تونس التي تحولت إلى حزب النهضة.

ثالثا: التحول إلى أحزاب سياسية:

تحولات الرؤية السياسية عند بعض الحركات الإسلامية أوصلها لتقبل التحول إلى أحزاب سياسية، بعد أن تبنت بعض الأنظمة الإسلامية الديمقراطية كخيار، وما أقنع الحركات الإسلامية بهذه التحولات تفكيرها بحسابات سياسية، فهذا التحول يكفل لها الاعتراف السياسي والحق بالعمل والممارسة السياسية (الميلاد، ز. 1999: 146-151).

2 - مكانة حركة النهضة في تونس قبل الثورة

تعود بدأ تجربة الإصلاح السياسي في تونس إلى بداية الثمنينيات من القرن العشرين خاصة بعد تولي محمد مزالي رئاسة الوزراء في أفريل 1980، وفي خطوة أكثر تقدما نحو تكريس عملية الانفتاح، أعلن الرئيس بورقيبة في أفريل 1981 عن عدم اعتراضه على تأسيس أحزاب سياسية معارضة، بشرط إعلان تخليها عن العنف والتعصب الديني وعدم الاعتماد على أي قوة خارجية سوءا إيديولوجيا أو ماديا(في إشارة إلى الحركة الإسلامية وتيار اليسار)، بالإضافة إلى شرط آخر هو أن يتحصل الحزب على 5 ■ من الأصوات الانتخابية في الانتخابات التشريعية، وكان من شأن هذا الشرط أن يفرغ هذه الخطوة من مضمونها في ظل هيمنة الحزب الدستوري على الساحة السياسية(فرحات، م. 2004: 175).

وجاء الإعلان عن هذه الخطوة نحو التعددية بعد الأحداث الدامية التي عاشتها مدينة قفصة عام 1979، ومظاهرات إتحاد الشغل عام 1978، وهذا الإعلان عن التعددية وتحرير النظام السياسي الذي أقره بورقيبة بكل تردد في المؤتمر الاستثنائي للحزب الحاكم، تطور بشكل مضطرب واصلا إلى أوجه في انتخابات 1981 (شويخة، ا .1990 : د.ص).

فقد كانت سيطرة الحزب الحاكم على الساحة السياسية واستبعاد جميع التيارات من العمل السياسي المشروع، أحد العوامل التي سهلت للحركة الإسلامية أن تصبح القوة الثانية في البلاد حيث أنه في غياب القنوات الرسمية قامت هذه الحركة باستغلال المساجد، كما برزت قنوات تمكنت من خلالها من الوصول إلى الجماهير وهو ما لم يتح لغيرها من التيارات وكانت الجماهير في اندفاعها نحو الحركة الإسلامية تعبّر بصورة من الصور عن إدانتها ورفضها للسيطرة المطلقة للحزب الحاكم على الساحة السياسية(العملة، أ .1991 : 118).

وفي أفريل 1981 عندما قامت حكومة بورقيبة بتحويل نظام الحزب الواحد في تونس بإقرارها التعددية الحزبية، تحولت الجماعة الإسلامية إلى حزب سياسي باسم حركة الاتجاه الإسلامي موضحة أنها واحد من عديد الاتجاهات الموجودة في المجتمع التونسي.

وعلى الرغم من أن راشد الغنوشي زعيم الحركة رفض طلبه بإصدار رخصة تجعل حزبه قانوني، فإن حركة الاتجاه الإسلامي واصلت تحديها للسلطة ذات التوجه العلماني، إذ أن برنامجها أكد على الهوية العربية الإسلامية لتونس وتحسين الديمقراطية والتعددية السياسية والعدالة(اسبنزيتو،ج . 1997: 230-231).

ورغم إقرار التعددية السياسية واعتراف الحركة الإسلامية في تونس بشمولية هذا المبدأ لجميع التيارات الأخرى في المجتمع، إلا أنها واجهت الرفض من قبل الدولة، حيث كان راشد الغنوشي ممنوعا من الحديث في المساجد أو غيرها من الأماكن، والتجمع في الأماكن العامة، كما أنه لم يسمح له بالتدريس أو نشر كتبه أو حتى السفر للخارج (اسبنزيتو،ج . 1997: 233) .

وبقي الحال على ما هو عليه، وبعد الانقلاب الذي قاده بن علي وأطاح بالرئيس بورقيبة في 7 نوفمبر 1987، قام الرئيس بن علي بالعديد

من الإصلاحات في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية... الخ، ففي أفريل 1988 أقر زين العابدين بن علي تشريع جديد يسمح بالتعددية الحزبية، واشترط التزام الأحزاب السياسية بالعمل في إطار الدستور والقوانين القائمة، ورفض قيامها على أسس عرقية أو لغوية أو دينية(فرحات، م. 2004: 178).

وقد أدى التغير الذي حدث في قمة السلطة التونسية في نوفمبر 1987 إلى التوجه نسبيا للحد من الإفراط في التحديث، وكان أبرز مثال على ذلك هو التشديد على الهوية العربية الإسلامية، فجاء صدور الميثاق الوطني في نوفمبر 1988 الذي جاء البند الأول فيه بعد التمهيد حول الهوية، ونص على أن: -هوية شعبنا عربية إسلامية متميزة تمتد جذورها في ماض بعيد حافل بالأمجاد-، كما أكد:-على تمسك تونس بعروبتها وإسلامها-، ولكنه أشاد بالمقابل بالتحول النوعي الذي خلق ظروف القطيعة مع عهد الانحطاط ومهد للأجيال الحاضرة سبل مواكبة العصر.

وتتيح هذه الصيغة بعموميتها البالغة تفسيرات مختلفة لمدى هذه القطيعة، وما إذا كان المقصود بها القطيعة مع مجمل التراث أو مع ما هو سلبي في التراث فقط، ومع ذلك كانت بداية جيدة سمحت بمراجعة نهج الإفراط في التحديث والعلمنة، وما أحدثته من انقسام ثقافي.

وقد أدت هذه المواقف وإن كانت لمدة قصيرة إلى انفتاح نسبي على المعارضة الإسلامية، قبل تجدد المواجهة معها وتفاقم الأزمة عام 1991، أين وجه النظام ضربة قوية للحركة الإسلامية، ولكن نجاح هذه الضربة لا يعني بالضرورة حسم مشكلة الانقسام الثقافي بالمنهج الأمني وحده، لأن الحل الحقيقي يبدأ بالحوار الوطني الجدي الذي يتوصل إلى تراض عام حول مكونات الدولة الديمقراطية، إذ نجد انقسام ثقافي كبير في تونس خصوصا بين توجه الدولة العلماني والتوجه السلفي للمعارضة الإسلامية(الهواري، أ. 2003 : 262).

وقد تبنت حركة النهضة قضايا الحريات السياسية والدفاع عن حقوق الإنسان والتأكيد على الهوية العربية الإسلامية، وترسيخ التجربة الديمقراطية من خلال الاعتراف بحق التعدد والاختلاف والتنوع(إسكندر ، أ. 1995: 365-366).

3 – مساهمة حركة النهضة في التحول الديمقراطي بعد الثورة

إن الوضع في تونس بعد الثورة يتجاذبه مشروعين للدولة ، الأول حداثي تقوده أحزاب علمانية والثاني إسلامي تتبناه حركة النهضة ، وهذا ما أدى إلى حدوث مصادمات بين الطرفين أخذت منحا عنيفا في العديد من المناسبات .

حالة الاحتقان هذه بين القوى السياسية انعكس على المواطنين التونسيين بحيث تستمر معاناتهم بسبب استمرار حالة الفقر وتراجع القدرة الشرائية وتزايد نسبة البطالة في صفوف الشباب ، وهو ما يوحي بوجود حالة من الاستخفاف بمطالب التونسيين التنموية

ما جعل المواطن يفقد ثقته في الفاعلين السياسيين وخاصة حركة النهضة باعتبارها حزبا حاكما.

اولا – دور حركة النهضة في الثورة التونسية

ومن الواضح أن الذي حرك الشارع وصنع التغيير والثورة في تونس هو الشعب نفسه الذي عانى من التهميش و البطالة والفقر وتفشي مظاهر الفساد ، وتزامن ذلك مع سياسة القمع الموجهة ضد معظم قوى المعارضة بما فيها التيار الإسلامي

وهو ما أدى إلى تراكمات كانت تتزايد باستمرار لتصل مرحلة الانفجار عندما أقدم البوعزيزي على إحراق نفسه في 17 ديسمبر 2010 وليشتعل الشارع التونسي بكل مكوناته في ثورة شعبية طالبت برحيل النظام بكل ما يمثله من فساد وقمع وانتهاك للكرامة والحرية ومنادية بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والمجتمع المدني

إن عدم بروز دور حركة النهضة في أحداث الثورة لا يعني غيابها ، فبالنظر للقاعدة الشعبية العريضة المساندة لها، فإنها ساهمت من خلال ذلك في تحريك الجماهير ضد النظام الحاكم وان كان بطريقة غير مباشرة ، كما لا يمكن اعتبارها المحرك الوحيد للأحداث

يرى الباحث الأمريكي بجامعة جورج تاون ميشيل كوبلو -إن عدم ظهور الإسلاميين بقوة أثناء الثورة في تونس، جعلت العديد من النخب والقوى السياسية تتعاطف وتدعم المطالب الشعبية حيث لم تشكل تلك الثورة أي خطر على هوية الدولة أو تؤشر بتغير شكل النظام السياسي أو تفرض نظاما بديلا.

بعد الثورة مباشرة قامت حركة النهضة بإعادة تفعيل نشاطها في تونس من خلال الإعلان عن إنشاء هيئة تأسيسية جديدة برئاسة علي العريض في 7 فيفري 2011 ، وفي خطوة منها في إزالة المخاوف الداخلية والخارجية أعلنت أنها لن يرشح أحدا من الحركة لمنصب الرئيس (عابد ، م. 2011 : د.ص) . ، كما شاركت في أول انتخابات في تونس ما بعد الثورة في 23 أكتوبر 2011 والتي حققت فيها فوزا تاريخيا .

لكن وعلى الرغم من الأهمية التاريخية لوصول الأحزاب الإسلامية إلى السلطة في من تونس ، فإن الامتحان الحقيقي هو قدرتها على التكيف ومحاولة حل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كانت سببا في حدوث الثورة ، إذ أن العديد من السياسات والقرارات التي اتخذها قياديي النهضة الموجودين في السلطة أثارت انتقادات وحفيظة الأوساط السياسية المختلفة في تونس ، فعلى سبيل المثال أثار القرار الذي اتخذه رئيس الحكومة حمادي الجبالي بتعيين المسؤولين الأساسيين في وسائل الإعلام الرسمية وهذا ما اعتبر استمرارا لسياسة النظام السابق التحكمية والقامعة للحريات ، كما قام رئيس الحركة راشد الغنوشي باختيار صهره رفيق عبد السلام على رأس وزارة الخارجية على الرغم مما يمثله هذا

الاختيار من استفزاز لمشاعر الشعب التونسي، ومن محاكاة لنهج المحاباة والمحسوبية الذي كان سائداً في عهد الرئيس المخلوع بن علي (المديني ، ت. 2012 : د.ص).

ثانيا – علاقة حركة النهضة بالمعارضة الفاعلة في تونس:

ثمة قضية وعقبة أساسية تواجه الحركات الإسلامية وتتعلق بقدرتها على السماح بالتعددية عندما تكون في السلطة، ويطرح سجل التجارب الإسلامية في باكستان وإيران والسودان أسئلة جدية حول السماح بالتعددية السياسية وحقوق المرأة ومشاركتها السياسية ومكانة الأقليات وحقوقها في ظل الحكومات ذات التوجه الإسلامي.

– فبدون إعادة تفسير للمبدأ القانوني الإسلامي المتعلق بأهل الذمة، فإن أي دولة ذات توجه إيديولوجي إسلامي ستكون في أحسن الأحوال دولة محدودة الديمقراطية، وستكون لتلك الدولة صيغة تعددية ضعيفة، لأن هذا التوجه الإيديولوجي يشكل عقبة أمام مشاركة غير المسلمين في المناصب الحكومية الرئيسية والترشيح في الانتخابات... الخ-(اسبزيتو، ج. 1997: 247).

1 – موقف حركة النهضة من التعددية

إن فكرة الأحزاب السياسية وتعددها في النظم السياسية فكرة حديثة ارتبطت بتطور الفكر الغربي الحديث، وعليه فإن هذه الفكرة اهتم بها مفكرو الإسلام المعاصرون ونتيجة لعدم وجود قول واضح حيال هذه المسألة فهناك أربعة آراء هي:

*** نظام غير حزبي:**

تتلخص هذه الفكرة في حكم الإخوان المسلمين في مصر، إذ كانوا يرفضون القبول بالتعددية السياسية والتعامل مع الأحزاب السياسية المبنية على إيديولوجية وضعية، فقد دعى حسن البنا إلى حل جميع الأحزاب السياسية وإنشاء حزب له برنامج إصلاحي إسلامي.

*** نظام الحزب الواحد:**

يتضح من الرأي الأول أن الإخوان المسلمون في مصر يؤيدون ضمنيا الحزب الواحد القائم على الشريعة الإسلامية، فأصحاب هذا الرأي يرون أنه لا داعي لقيام أحزاب ذات تفكير غير إسلامي ويجب إقامة حزب سياسي يدعى -حزب الله- ويرى المودودي أن في ظل مثل هذه الأحزاب لا يوجد صراع سياسي (المودودي، أ .د.ت :56-57).

*** نظام تعدد الأحزاب الإسلامية:**

يعطي هذا الرأي الشعب المسلم حق تأسيس أكثر من حزب واحد، شريطة أن تكون كلها تستمد حريتها وأنظمتها ودساتيرها من الشريعة الإسلامية ويرى أصحاب هذا الرأي أن الله أعطى المسلمين حق تأسيس أحزاب سياسية للتأكد من نشر العدالة.

*** نظام تعدد الأحزاب:**

هو نظام إسلامي يمكّن جميع طبقات المجتمع بغض النظر عن انتماءاتهم، من تشكيل أحزاب سياسية دون اشتراط أن تكون جميعها قائمة على الشريعة الإسلامية، على أن يكون النظام السياسي نظاما إسلاميا، وأن تحترمه جميع الأحزاب والتيارات السياسية المتواجدة في المجتمع(العلكيم، ح. 1997 : 177-179) ، (Nu'man, A. 1986 :13-18) .

ومن أجل إقامة حوار بين الحركات الإسلامية ومختلف التنظيمات السياسية الأخرى فلابد من تحقق أمرين أولهما عملية هدم وثانيهما عملية بناء.

وتشمل الأولى هدم فكرة المرجعية الواحدة، باعتبارها فكرة شمولية تصادر التعددية وهدم فكرة استحالة الحوار والاندماج مع باقي التنظيمات السياسية المعارضة، أما عملية البناء فتشمل القبول بالآخر، ويعني هذا التسليم بحقه في حرية الرأي، والاعتقاد والتسليم بالتعددية

الفكرية والسياسية وتداول السلطة، وإدانة كل صور العنف، وفي الأخير تحديد برنامج سياسي(محرم، م. 1996 : 9).

وفي **تونس** يؤكد راشد الغنوشي زعيم حركة النهضة أن هذه الأخيرة ليس عندها أي تحفظ اتجاه أي طرف سياسي آخر، سواء كان هذا الطرف إسلامي أو غير إسلامي، وإذا كانت هناك أطراف أخرى لها تحفظات إزاء أطراف أخرى، فإن حركة النهضة ليس لديها أي تحفظ إزاء أي طرف آخر يقبل الحوار ويقبل الصراع الديمقراطي في البلاد ولا ينفي وجود غيره (الهرماسي، م. 1999: 270).

وقد صرحت حركة النهضة أنها لا تعارض أن يقوم في البلاد أي اتجاه من الاتجاهات ولا تعارض قيام أي حركة سياسية، وإن اختلفت معها اختلافا جوهريا كالحزب الشيوعي انطلاقا من فكرة أن الشعب هو المستوى المركزي لإضفاء الشرعية على الحكم، فالحركة الإسلامية لا تدّعي الوصاية باسم الإسلام ولا تعتبر نفسها ممثله الرسمي والوحيد (الهرماسي، م. 1999: 273) .

فبالمقارنة مع أغلب الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي، فإن الحركة الإسلامية في تونس قررت أن تعمل ضمن المجتمع القائم، فهي لا تّدعي لنفسها امتلاك البديل الوحيد والكلي، ولكن امتلاك بديل من البدائل (الهرماسي، م. 1999: 283).

وقد شاركت حركة النهضة عن طريق أحد ممثليها في نوفمبر 1988، في التوقيع على ميثاق وطني يشكل عقدا مشتركا بين كافة التنظيمات الاجتماعية والهيئات والأحزاب السياسية بما فيها الحزب الحاكم، على الرغم من أنه تضمن أفكار تتناقض مع أفكار الحركة، وقد اعترفت فيه الحركة الإسلامية بالشرعية القانونية للدولة، بمعنى أنها لا تطرح نفسها في موقف مواجهة وتنافس على الأقل مع السلطة في ذلك الوقت (العملة، أ .1991 : 119).

2 - موقف حركة النهضة من المعارضة قبل الثورة

وقد كان بورقيبة أثناء حكمه قاسيا في رده على أية معارضة وكل معارضة، فاتبعت حكومته سياسة مقيدة استبعدت الكثير من التونسيين، وأنتجت معارضة دينية وعلمانية مشتركة عانت من قدر متساوي من القمع (اسبزيتو،ج . 2002: 231).

فأدى تصاعد التيار الإسلامي بدوره إلى عزل المعارضة العلمانية، التي تتألف من الطبقة الوسطى الحضرية من المهنيين والأكاديميين، وينتظم بعضهم في جمعيات مهنية وينخرطون في جماعات حقوق الإنسان والأحزاب السياسية، وكانت العلاقة بين الإسلاميين والمعارضة العلمانية متذبذبة، وما يعظّم حيرة المعارضة أن الوقوف ضد حركة النهضة لا يمكن أن ينظر إليه إلا على أنه تأييد للحكومة.

فكانت لعمليات القمع ما بين 1981 و1984 التي تعرض لها مناضلو حركة الاتجاه الإسلامي أن خلفت نوعا من التضامن مع الضحايا بصرف النظر عن الخلافات بين الطرفين (الإسلامي والعلماني)، ولكن هذا التضامن لم يزل الشكوك بشأن نوايا الإسلاميين الحقيقية، وقد تعززت هذه الشكوك حين وزعت الزعامة المؤقتة لحركة الاتجاه الإسلامي في أواخر1983 ورقة عن استراتيجية سرية، حددت الحاجة إلى إقامة صلات شخصية مع كبار رجال الحكومة والمعارضة، وإلى تقوية الاتصالات بالحركات الإسلامية في الخارج (ووتربوري، ج. 200: 273).

علاقة حركة النهضة مع العلمانيين في تونس:

يرى صلاح الدين الجورشي:- أن عدم وجود حوار بين العلمانيين والإسلاميين راجع بالدرجة الأولى إلى خطأ التيارين، حيث أن الطرفين وإن دافعا عن الديمقراطية، فإنهما لم يقتنعا إلى اليوم بإمكانية جلوسهما إلى طاولة واحدة للتعرف على طروحات بعضهما، فهم لم

يتخلصوا بعد من العنف كوسيلة وحيدة للحوار، ولم يتحرروا من أسطورة -أنا الحقيقة ولا أسمح لغيري بامتلاكها-.

فإذا ما جلس الطرفان فإنهما سيجدان نقاط التقاطع بينهما أضعاف نقاط الخلاف، إذا كان الحوار جادا وخاليا من الأحكام المسبقة (الجورشي، ص. 2005 : 19).

إن تصاعد اتجاه المعارضة السياسية في تونس نحو العمل الجماعي، وتصاعد المطالب الخاصة بالديمقراطية والإصلاح السياسي، وقيامها بمبادرات وتقارب مع التيار الإسلامي من جهة، وكذلك تصاعد عملية المراجعة الفكرية داخل التيار الإسلامي وتقاربها مع التيار العلماني من جهة أخرى ، أدى إلى حدوث تقارب بين الاسلاميين والعلمانيين في العديد من المرات قبل الثورة ، وتمثل حركة 18 أكتوبر التي ظهرت سنة 2005 ، والتي جاءت لوضع أرضية مشتركة من أجل إقامة جبهة معارضة لحكم بن علي آنذاك ضمت أحزاب من التيار العلماني بالإضافة إلى حركة النهضة ، ونتج عن ذلك صياغة بيان جماعي يبرز طبيعة العلاقة بين الدين والدولة وطرق إقامة دولة ديمقراطية مدنية تحترم حقوق المواطنين (الجورشي ، ص. 2013 : 64).

3 – علاقة الحركة مع المعارضة بعد الثورة

أدت الثورة في تونس إلى إثارة جدل واسع حول طبيعة الدولة التونسية الجديدة ، وحدثت تجاذبات بين مختلف التيارات خصوصا التيار العلماني الذي يرد تكريس لائكية الدولة ، والتيار الإسلامي الذي يسعى إلى إنشاء دولة إسلامية .

ومما زاد من حدة هذا التنافس نتائج انتخابات المجلس التأسيسي التي جرت في 23 أكتوبر 2012 ، والتي عززت من موقف حركة النهضة التي حازت على أكثر من 40 ■ من أصوات الناخبين ، مما مكنها من الحصول على منصب رئيس الحكومة و أغلب الحقائب الوزارية بما فيها

السيادية ما عدا وزارة الدفاع ، وهذا ما أثار مخاوف التيار العلماني من تراجع الحركة عن خطابها المعتدل قبل الانتخابات ومحاولة اسلمة الدولة (الجورشي ، ص. 2013 : 64).

وتعرف العلاقة بين حركة النهضة كحزب حاكم والأحزاب المعارضة توترا كبيرا نتيجة حالة عدم الثقة السائدة بين الطرفين والتي أفرزتها مخلفات النظام السابق ، بالإضافة إلى المواقف والتصريحات المتصادمة بين الطرفين ، فمن جهة تتهم المعارضة حركة النهضة باستغلال العملية الديمقراطية للوصول إلى السلطة ، ومحاولة تشكيل دكتاتورية جديدة ذات بعد ديني ، وهو ما اعتبرته تراجعا عن المكاسب المحققة في مجال الحريات وحقوق الإنسان والمرأة وحرية الإعلام.

وفي المقابل يرى الغنوشي ان افكار العلمانيين هي نتاج الغزو الثقافي الغربي واعتمادهم على الدعم الخارجي ، وهي التصريحات التي تقلق كثيرا قادة المعارضة

ويقول مسؤول العلاقات الخارجية في الاتحاد التونسي العام للشغل فتحي دبك: -إنهم يتكلمون عن اليسار بطريقة بن علي، فيتحدثون عن مؤامرات خارجية ومحاولات مزعومة لإغراق البلاد في الفوضى-، مبدياً قلقه من توجه النهضة نحو إقصاء المعارضين على أساس أنهم أقلية- (المديني ، ت. 2012 : د.ص).

توتر علاقة حركة النهضة والمعارضة بعد الثورة

واعتبر راشد الغنوشي ان حزب نداء تونس الذي يعتبر حسب استطلاعات راي حديثة أهم منافس سياسي في تونس لحركة النهضة ، اخطر على الثورة من السلفيين ، ويمثل امتدادا لحزب -التجمع- الحاكم في عهد بن علي، وهي التصريحات التي اعتبرها قادة حزب -نداء تونس- العلماني المعارض الذي يرأسه الوزير الأول السابق الباجي قايد السبسي المحرض الرئيسي لأعمال العنف التي عرفتها مقرات واجتماعات عدة

للحزب في مناطق عدة بالبلاد سنة 2012 من قبل أفراد محسوبين على رابطة حماية الثورة التي حصلت في جوان 2012 على ترخيص قانوني من الحكومة التي يرأسها حمادي الجبالي أمين عام حركة النهضة ، ففي 18 أكتوبر 2012 قتل إسلاميون لطفي نقض منسق حزب نداء تونس خلال تظاهرة نظمتها رابطة حماية الثورة في تطاوين ، كما اتهم حزب نداء تونس وزارة الداخلية بالتواطؤ مع مئات من المحسوبين على هذه الرابطة الذين هاجموا في 23 ديسمبر 2012 اجتماعا نظمه الحزب في جزيرة جربة (السعيداني ، ا. 2012 : د.ص)

وعلى اثر ذلك قرر الحزب رفع شكوى ضد مسئولين حكوميين وسياسيين تونسيين بينهم راشد الغنوشي رئيس حركة النهضة الإسلامية الحاكمة، بتهمة ارتكاب -جريمة ضد الإنسانية- ، يأتي ذلك على خلفية تكرر اعتداءات محسوبين على حركة النهضة على مقرات واجتماعات الحزب وقتلهم احد قياديه.

وأكد محامي الحزب أن الشكوى ستكون بالخصوص ضد علي العريض وزير الداخلية والقيادي في حركة النهضة، وراشد الغنوشي رئيس الحركة، ومحمد عبو أمين عام حزب -المؤتمر من أجل الجمهورية- شريك النهضة في الائتلاف الحاكم، ومحمد معالج رئيس -الرابطة الوطنية لحماية الثورة- (غير حكومية) المحسوبة على حركة النهضة (نداء تونس ، 2013: د.ص) ، وتشير هذه الحادثة عمق الخلاف الذي تعرفه الساحة السياسية في تونس .

ومنذ اغتيال المعارض شكري بلعيد تعيش تونس حالة من الاحتقان السياسي ، أدت إلى استقالة حكومة الجبالي وتكليف علي العريض وزير الداخلية في الحكومة المستقيلة بتشكيل حكومة جديدة ، وهي الشخصية التي لا تلقى قبولا واسعا من المعارضة التونسية

ثالثا – وصول حركة النهضة للسلطة ورهان تحقيق تحول ديمقراطي حقيقي

أدت الثورة التونسية إلى إرغام الرئيس زين العابدين بن علي للتخلي عن السلطة ، ومن أهم الانجازات التي تحققت على الصعيد المؤسساتي نجد :

-انتخاب مجلس تأسيسي بطريقة حرة وعادلة في 23 أكتوبر 2011، الذي أفرزت فوز حزب –النهضة– الإسلامي.

-تشكيل حركة النهضة الحكومة بمشاركة هامشية من قبل حزبين آخرين علمانيين هما : حزب المؤتمر من أجل الجمهورية (والذي اختير رئيسه المنصف المرزوقي رئيساً مؤقتاً للجمهورية) ، وحزب التكتل من أجل العمل والحريات (والذي اختير رئيسه مصطفى بن جعفر ليكون رئيساً للمجلس التأسيسي)

لخصت الحركة برنامجها السياسي بعد الثورة بالعبارات التالية: حرية، ديمقراطية وأن السلطة للشعب. وبناءا على ذلك تسعى الحركة إلى تأسيس نظام جمهوري يضمن تحقيق العدالة والحرية والاستقرار ويقضي على كافة مظاهر الاستبداد والفساد ، وأن الحرية والعدالة والتنمية قضايا مركزية بالنسبة للدولة والمجتمع، و ضمان حرية المعتقد والتفكير وحقوق الأقليات الدينية .

كما تعترف حركة النهضة باحترام استقلالية المجتمع المدني وتؤمن بمبدأ التعددية وبأهمية التداول السلمي للسلطة وبضرورة الفصل بين السلطات وبأهمية استقلالية القضاء (روغر ، ل . 2012 : د.ص).

لكن وصول حركة النهضة إلى الحكم أدى إلى تراجع العديد من المكاسب التي جاءت على إثر الثورة ، إذ يرى توفيق المديني : – انه رغم النجاح الذي حققته الحركة الإسلامية بزعامة راشد الغنوشي، التي شاركت في اللعبة الديمقراطية، وأصبحت في السلطة، الا ان قلة خبرتها في

مجال إدارة الحكم، وضعف ثقافتها الديمقراطية، جعلها غير مستعدة لتنفيذ المرحلة الثانية من الثورة و المتمثلة في إرساء أسس النظام السياسي البديل وبناء الدولة الديمقراطية التعددية- (المديني ، ت. 2012 : د.ص).

لكن رغم التجاذبات التي تعرفها الساحة السياسية التونسية عقب الثورة ، إلا أن المرحلة الانتقالية ، والتي أسفرت عن فوز حركة النهضة في أول انتخابات نيابية بنسبة 42 ■ من أصوات الناخبين ، تستوجب من هذه الأخيرة بغض النظر عن الانتقادات الموجهة إليها اتخاذ مجموعة من الإجراءات ، وتوفير بعض الشروط الضرورية من أجل تحقيق تحول ديمقراطي حقيقي في تونس أهمها :

- إحداث قطيعة تامة مع النظام السياسي السابق ، وعدم الرجوع إلى الممارسات التعسفية والتسلطية التي مارسها هذا الأخير قبل الثورة في مختلف المجالات السياسية (كقمع المعارضة والحريات ، الانفراد بالسلطة ، وتشكيل دولة بوليسية) ، واقتصاديا (من خلال انتشار الفساد والمحسوبية والمحاباة ، اقتسام الريع مجموعة من العائلات القريبة من دائرة صنع القرار)

- إرساء نظام ديمقراطي على أسس متينة (بن خليف ،ع .2012: 135) ، من خلال إعادة إنشاء مؤسسات الدولة على أسس ديمقراطية تعددية ، كتدعيم سلطة المجالس التمثيلية والتحاور دون إقصاء مع مختلف فعاليات المجتمع والاتفاق حول شروط المواطنة والمشاركة السياسية والاعتراف بالآخر .

- الامتناع عن اعتبار نفسها الجهة الوحيدة التي لها شرعية الحديث باسم الإسلام ، واحترام الحريات والانجازات التي حققها المجتمع التونسي منذ الاستقلال في هذا المجال كمدونة الأحوال الشخصية ، وتدعيمها بسياسات تحترم حقوق الإنسان وحرية الإعلام.

-تحييد أماكن العبادة كالمساجد عن النشاط السياسي ، فبعد الثورة استولت العديد من الجماعات المنتسبة للتيار الإسلامي على المساجد واحتكرت إلقاء الدروس والخطب فيها وصل عددها إلى أكثر من 400 مسجد ، وهذا ما أثار حفيظة التيار العلماني الذي طالب بوضع قوانين تنص على تحييد المساجد عن العمل السياسي(الجورشي ، ص. 2013 : 69-68)

- بناء مناخ من الثقة مع التيارات السياسية الأخرى خصوصا تلك التي تشكل المعارضة ، من خلال الدعوة إلى الحوار لتقريب وجهات النظر وبناء جسور الثقة معها ، وعدم استخدام العنف لفرض الآراء (مثل ما حدث في تجمع لحزب نداء تونس المعارض والذي اقتحمته عناصر من التيار الإسلامي ، وأجبرت منظميه على إلغائه ، وهو التصرف الذي اعتبر محاولة لمصادرة حريات الآخرين) (الجورشي ، ص. 2013 : 79) .

- تحقيق العدالة بالنسبة لضحايا الثورة ، لان التخاذل في معاقبة المذنبين من شأنه أن يثير احتجاجات لدى أسرهم ، الذين يطالبون بمعاقبة كبار المسؤولين في النظام السابق خصوصا في الجهاز الأمني ، ونيل تعويضات مادية

ففي ظل غياب رؤية مشتركة لعدالة انتقالية قادرة على الاهتمام بقضايا الثورة ، لوجود مؤسسات منفصلة تفتقر للتنسيق فيما بينها في هذا المجال (وزارة العدل ، مؤسسات المجتمع المدني ، اللجان المستقلة لمكافحة الفساد) ، وهذا ما قد يترك إحساسا لدى الضحايا بالتهميش وإفلات المذنبين من العقاب ، وهذا ما قد يعيق الجهود لتحقيق الأمن والاستقرار (المجموعة الدولية للازمات ،2012 :180-181).

- إصدار دستور جديد يحض بموافقة جميع التيارات ، في ظل الجدل حول بعض الفصول فيه ، خصوصا الفصل الأول منه المتعلق بتحديد طبيعة الدولة ، إذ نجد تجاذب بين التيار اللائكي الداعي إلى قيام ديمقراطية علمانية ، وبين التيار الإسلامي الذي تدعو بعض قياداته إلى ضرورة إن ينص الدستور الجديد على إسلامية الدولة (الجورشي ، ص .2013: 67).

خاتمة :

إن الثورة في تونس وما نتج عنها من وصول الحركة الإسلامية والممثلة في حركة النهضة إلى السلطة ، طرحت تساؤلات حول مستقبل الديمقراطية في تونس وسبل التعايش بين مختلف التيارات السياسية الفاعلة في الحياة السياسية ، خصوصا العلاقة بين التيارالاسلامي الذي استلم السلطة لأول مرة منذ استقلال البلاد وبين العلمانيين من جهة أخرى الموجودين في المعارضة .

فالرهان الأساسي الذي يواجه حركة النهضة في الحكم هو طرح بديل لسياسة النظام السابق ، يتماشى مع مطالب الجماهير من جهة ، ويحاول

احتواء الأطراف الأخرى وعدم تهميشها ، كما إنها فرصة للحركة لإثبات مواقفها من العديد من المواضيع كالديمقراطية ، التعددية ، المعارضة ، ومسألة الحريات ، وهي المسائل التي تعرف جدلا كبيرا في الساحة السياسية في تونس ما بعد الثورة.

قائمة المراجع :

1- أبو الأعلى المودودي (د.ت)، **نظرية الإسلام السياسية**، الكويت: مكتبة المنار.

2- أحمد مصطفى العملة (1991)، أحداث الجزائر وانعكاساتها على المغرب العربي، في: **السياسة الدولية**، (مصر: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية) ، العدد 106، ص.ص.118-119.

3- أنور الهواري (2003) ، دراسة حالة الحركات الإسلامية في العالم العربي، في: **التقرير الاستراتيجي** 2002-2003 ، القاهرة: مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، ص.262.

4- العربي شويخة (1990)، حدود الديمقراطية في: **لومند ديبلوماتيك**، العدد 21، السنة2، جوان.

5-المجموعة الدولية للازمات (2004) ، تونس : مكافحة الإفلات من العقاب واستعادة الأمن ، في : المستقبل العربي ، العدد 400 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ص.ص.178-182

6- أمين اسكندر وآخرون(1995)، **الأحزاب والحركات القومية العربية**، ج.2، مصر: المركز العربي للدراسات الإستراتجية.

7-جون.ل. اسبوزيتو(2002) ، **التهديد الإسلامي**: خرافة أم حقيقة؟ تر: قاسم عبده قاسم ، ط.2 .القاهرة: دار الشروق .

8- جون. ل. اسبزيتو(1997) ، الحركات الإسلامية، وتحقيق الديمقراطية وسياسة الولايات المتحدة الخارجية، في: **امتطاء النمر** (تحدي الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة)، فيبي مار، وليام لويس (محرران)، تر: عبد الله جمعة الحاج، ط.2 .أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية .

9-جون ووتربوري وآخرون (2000) ، **ديمقراطية بدون ديمقراطيين**، ط.2 ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية .

10- حسن حمدان العليكم(1997)، **حقوق الإنسان السياسية في الإسلام** ، في: قضايا إسلامية معاصرة، العليكم (محرر)، ط.2. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية، ص.ص. 177- 179.

11- زكي الميلاد (1999) ، **الفكر الإسلامي** : قراءات ومراجعات، بيروت: الانتشار العربي .

12- سليمان الرياشي وآخرون (1996) ، **الأزمة الجزائرية:** الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

13- صلاح الدين الجورشي، مقابلة في: **الخبر**، العدد4331، السنة 14، الثلاثاء 1مارس 2005، ص.19.

14- صلاح الدين الجورشي (2013) ، – الدولة والهوية : إشكالية العلاقة بين الديني والسياسي –تونس مثالا –، في : المستقبل العربي ، بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 407 ، ،ص.ص.60-79.

15- عبد الوهاب بن خليف (2012) ، –دور المجتمع المدني في عملية التحول الديمقراطي في تونس –، في : الملتقى الوطني الثالث حول المجتمع المدني

والتطور السياسي بالمنطقة المغاربية ،7-8 ديسمبر2011، الجزائر : مخبر البحوث والدراسات في العلاقات الدولية ، ص.ص.127-140.

16- نور الدين العويديدي (2005) ، حوار مع الغنوشي، في: **أقلام**، العدد 15، السنة الرابعة، جويلية/ أوت 2005.

17-محمد رضا محرم (1996) ،- إستراتيجية دمج الحركات الإسلامية في الحياة السياسية العربية-، في: **سواسية**، عدد11، جويلية ، ص.9.

18- محمد عبد الباقي الهرماسي (1999) ، الإسلام الاحتجاجي في تونس، في : **الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي**، إسماعيل صبري عبد الله وآخرون (محرر)، ط.4. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

19- محمد فايز فرحات(2004)، أبعاد التحول الديمقراطي في تونس، في: **التحول الديمقراطي في المغرب العربي** أحمد منيسى (محرر)، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية .

20 - Nu’man Ahmed Al khatib (1986) , islamic thought and political parties, In: **Islam today**, N°4, April 1986, Rabat: journal of the islamic educational, scientific and cultural organisation (ISESCO), P.P. 13-18

مراجع من الانترنيت :

1- أ. ف. ب ، حزب -نداء تونس- يلجأ إلى الجنائية الدولية بعد مقتل احد قيادييه، في : 4-01-2013 ، في:

http://www.elaph.com/Web/news/2013/1/784261.html?entry=arab (29-01-2013 à 17:15)☐

2 - المنجي السعيداني ، السبسي: النهضة أصبحت أكبر خطر على تونس.. والداخلية متواطئة ، في : الشرق الأوسط ، العدد 12445 ، 24-12-2012 ، في :

http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=12445&article=710127&search=حركة النهضة&state=true (vue :25-01-2013 à 22:45)

3 - توفيق المديني ، حركة النهضة وعوائق الثورة التونسية ، في : **الوحدة الاسلامية** ، السنة الحادية عشر ، العدد 122 ، فيفري 2012 ، في :

http://www.wahdaislamyia.org/issues/122/tmadini.htm (30-01-2013 à 21:25)

4 - نداء تونس- يرفع دعوى لـ -الجنائية الدولية- ضد الغنوشي وآخرين بعد مقتل أحد قيادييه ، في : **جريدة الرأي** ، العدد 12242 - 06/ 01/ 2013 ، في :

http://www.alraimedia.com/Article.aspx?id=404887 (01-02-2013 à 20:50)

5 - لوتس روغر ، حركة النهضة في تونس وقابلية حركات الإسلام السياسي للديمقراطية والحداثة ، تر: عدنان عباس ، (تونس : معهد جوته فكر وفن ، جوان 2012) ، في :

http://www.goethe.de/ges/phi/prj/ffs/the/a97/ar9514045.htm (28-02-2013 à 22:38)

6 - ماهر عابد ، عهد جديد .. حركة النهضة بعد ثورة الشعب التونسي ، في : الشبكة العربية العالمية ، بتاريخ : 16 افريل 2011، في :

http://www.globalarabnetwork.com/opinion/3140-2011-04-16-18-30-37 (02-02-2013 à 14:17)

اتجاهات الشباب الأردني نحو الحراك العربي
ـ دراسة سوسيولوجية ـ

د, علاء زهير الرواشدة،
قسم العلوم الاجتماعية، جامعة البلقاء التطبيقية
ا.د.عبدالمهدي السودي،
قسم علم الاجتماع، الجامعة الأردنية.
د. أسماء ربحي العرب،
قسم العلوم الاجتماعية،جامعة البلقاء التطبيقية.
علاء الدين عدنان الطواها،
الجامعة الأردنية.
Alaa_rwashdeh@yahoo.com

الملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف على اتجاهات الشباب الأردني الجامعي نحو الحراك العربي ومدى وعيهم به في ضوء بعض المتغيرات، وبأسبابه، ونتائجه المتوقعة، ودور القوى الخارجية فيه، واستخدمت الاستبانة لجمع البيانات من عينة الدراسة البالغ حجمها (268) مبحوث، وباستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة خلصت الدراسة إلى أن هناك تباينا في اهتمام الشباب بالحراك العربي،.ولا يوجد فروق دالة إحصائيا في اتجاهات الشباب نحو الحراك العربي تعزى إلى الجنس والعمل وطبيعة المسكن، بينما هناك فروق تعزى إلى متغير عمل الطالب، ومكان السكن والكلية والسنة الدراسية ومستوى تعليم الأب والأم،.وأن الفقر والشعور بالظلم وغياب العدالة والطريقة التي تعاملت بها الأنظمة مع الشعوب تمثل أسبابا مباشرة للحراك العربي. وأن الشباب يوافقون على النتائج التي يمكن أن يسفر عنها الحراك العربي ومن أهمها الفوضى وانعدام الأمن. و يوافقون على أن هناك تدخل من قوى خارجية في التأثير بمجريات

الحراك العربي بطرق مباشرة أو غير مباشرة، وأن اتجاه الشباب يميل إلى الاتفاق بان وسائل الاتصال الحديثة (الانترنت،والفضائيات)، لعبت دورا مهما في الحراك العربي، وأهم الفضائيات التي اعتمد عليها الشباب في متابعتهم للحراك العربي، الجزيرة تلتها قناة العربية ومن بعدها جاءت السي آن آن ومن ثم البي بي سي، وذلك من وجهة نظر المبحوثين،.وتوصي الدراسة بضرورة قيام أنظمة الحكم العربية بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية وتشريعية لمعالجة الاختلال والمشكلات التي تعاني منها الشعوب العربية كالفقر والبطالة، وسوء المعاملة، والتهميش، وغياب الديمقراطية والعدالة، وعدم تكافؤ الفرص.

الكلمات المفتاحية: الشباب، الاتجاه، التغيير،الحراك العربي

Attitudes of Jordanian Youth towards Arab Mobility -Sociological Study-

Abstract

The study aimed at identifying the attitudes of Jordanian youth towards Arab mobility and the range of their awareness of this mobility and its reasons, expected results, the role of the external powers in light of some variables.

A questionnaire was designed and used to collect data from the study sample which consisted of (268) of youth. Appropriate statistical methods were used to analyze the data.

The results of the study showed that:

- There is a variance in youth interest in Arab mobility
- There are no significant differences in youth attitudes towards Arab mobility attributed to gender, work, and the pattern of home.
- There are significant differences in youth attitudes attributed to youth work, place of accommodation, college, year of study, parents educational level...

- Poverty, unfairness, absence of justice, and the way that political ruling systems deals with their people were the main direct reasons of the Arab mobility from the youth point of view.

- The youth agreed with that the most important results of the Arab mobility was mass and lack of safety

They also agreed that there is a direct and indirect roles of the external powers in the mobility and its effects, in addition to the role of modern mass media (internet, satellite channels especially Al Jazeera, Al Arabia , CNN , and BBC. the most favorite watched channels by youth.

The study recommended that the Arab political ruling systems must conduct true political , economical, legislation reforms to treat and solve Arab nation problems such as poverty, unemployment, abuse, injustice, and absence of democracy and equal opportunities.

Key words: Youth - Attitudes – change - Arab Mobility

مقدمة:

سادت في معظم البلدان العربية منذ بداية العام 2011 م، حركات شعبية، شكلت بمجملها بيئة خصبة لعدد من اتجاهات التفسير، التي حاولت الإحاطة بهذا الحراك وتفسير أسبابه وآثاره، واتجاهاته وصولا إلى النتائج التي يمكن أن يسفر عنها. حيث استطاع أن يغير خارطة المنطقة.

وقد برز الاختلاف على وصف ما يحدث في العالم العربي، وظهر هذا الاختلاف فيما أطلق من تسميات كالربيع العربي، والثورات العربية، والحراك العربي، والاستقلال العربي، ورياح الحرية.

وتقود الملاحظة البسيطة لما حدث، إلى أن الغالبية من الشباب شارك بصورة فاعلة في الخطوات التي مر بها الحراك العربي، مستخدمين مختلف وسائل الاتصال الحديثة، والتي وفرها لهم استخدام الانترنت، وبخاصة مواقع التواصل الاجتماعي.

أشار تقرير حالة سكان العالم للعام 2011م، إلى الدور الكبير الذي قام به الشباب في المظاهرات التي عمت البلدان العربية، والذي حظي بكثير من اهتمام وسائط الإعلام، اذ برزت فيه سلطة الشباب وطروحاتهم حول مجتمعاتهم، وهو ما قد يؤدي في المدى الطويل إلى إحداث تغييرات أكثر جذرية على نطاق العالم، وقد كانت مشاركة الشباب في »الربيع العربي« غير مسبوقة،عن طريق الاستعانة بمواقع التواصل الاجتماعي مثل فايس بوك، وتويتر، فانطلقت احتجاجات الشباب عبر أرجاء المنطقة ضد انتهاكات حقوق الإنسان، والبطالة، والوضع القائم. **(صندوق الأمم المتحدة للسكان،2011: 24)**

مشكلة الدراسة واسئلتها:

تتمثل مشكلة الدراسة بمحاولة الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي: (ما هو اتجاه الشباب الأردني نحو الحراك العربي)، وقد تمت الإجابة على هذا التساؤل من خلال عدد من الأسئلة الفرعية التي تمثلت بما يلي:

-هل هناك فروق دالة إحصائيا في اتجاه الشباب نحو الحراك العربي تعزى إلى متغيرات الدراسة؟

-هل يتوفر لدى الشباب العربي وعي بالحراك الذي حدث في العالم العربي خلال العام 2011م وما هو مصدر معرفتهم عن الحراك ؟

-ما هي اتجاهات الشباب نحو الأسباب التي أدت إلى الحراك العربي؟

- ما هي اتجاهات الشباب نحو النتائج المتوقعة للحراك العربي؟

-ما هي اتجاهات الشباب نحو تأثير القوى الخارجية في إحداث الحراك العربي؟

-ما هي اتجاهات الشباب نحو دور تكنولوجيا الاتصال الحديثة في الحراك العربي؟

أهمية الدراسة:

يمكن تلخيص أهمية الدراسة على المستويين العملي والنظري ومبرراتها بالنقاط الآتية:

- يعتبر المجتمع الأردني من المجتمعات العربية التي شهدت مستويات مختلفة من الحراك الشعبي، متأثرة بما يحدث في البلدان العربية في إطاره العام، وقد اتسع نطاق هذا الحراك الذي بلغ خلال تسعة أشهر أكثر من 3000 فعالية توزعت على مختلف محافظات المملكة، لذا جاءت هذه الدراسة للتعرف على اتجاهات الشباب الأردني نحو الحراك، الذي أدى إلى الثورات العربية، التي برز فيها دورا محوريا للشباب.

- تركز هذه الدراسة على فئة الشباب لمعرفة اتجاهاتهم ومدى وعيهم بظاهرة الحراك وأبعادها. والشباب من أكثر الفئات عرضة لهذا الفعل الاجتماعي، لكونهم يشكلون مرحلة عمرية تتميز بالحيوية والنشاط والرغبة القوية نحو التجديد والتغيير، تجعلهم أكثر الفئات الناقدة والانفعالية،لكثر المتناقضات الحياتية التي يواجهونها.

- أبرزت أحداث سنة 2011 الدور المتنامي للشباب في الحراك الإجتماعي والسياسي الذي تشهده المنطقة العربية، مما دفع ببعض المحللين للحديث، وبشيء من المبالغة، عن -زلزال الشباب-. وذلك في إشارة إلى تعاظم تأثير شريحة الشباب المتضخمة في المجتمع العربي والعالم الإسلامي بشكل عام. وفي المجتمع الأردني بشكل خاص خصوصا إذا ما علمنا بأن أكثر من ثلثي المجتمع الأردني فتي.

- موضوع الدراسة هو من أهم موضوعات البحث في علم الاجتماع بشكل عام، والحركات الاجتماعية، وعلم الاجتماع السياسي، والمشكلات الاجتماعية بشكل خاص، والتي تركز بمجملها على تحليل الظاهرة وتفسيرها وتقديم الحلول المناسبة لها.

- وتستمد الدراسة أهميتها التطبيقية من المقترحات والنتائج والتوصيات التي يمكن أن تتوصل إليها لبلورة أسس علمية وموضوعية

توضح كيفية معالجة مشاكل الحراك الشعبي. كما ستكون هذه النتائج والتوصيات أساسا تنطلق منه مؤسسات الدولة وصانعي القرار في دراسة الاتجاهات نحو العوامل المؤثرة في حراك المجتمع الأردني. كما وتساعد في وضع خططها وبرامجها لتحسين ظروف الحياة ورفع مستوى المعيشة.

- ندرة الدراسات الميدانية حول الحراك العربي لذا جاءت هذه الدراسة لسد النقص في مجالها.

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى ما يلي:

-معرفة اتجاهات الشباب نحو الأسباب التي أدت إلى الحراك العربي

-التعرف على مدى معرفة الشباب بالحراك العربي.

-معرفة اتجاهات الشباب نحو الأساليب التي تم استخدامها في الحراك وخاصة دور تكنولوجيا الاتصالات الحديثة في الحراك العربي.

-التعرف على اتجاهات الشباب نحو تأثير القوى الخارجية في إحداث الحراك العربي.

-التعرف على اتجاهات الشباب نحو النتائج المتوقعة للحراك العربي من خلال معرفة التضحيات والمشكلات والخسائر التي نجمت عن الحراك العربي.

-التعرف على العلاقة بين متغيرات الدراسة واتجاهات الشباب نحو الحراك العربي.

ـ مفاهيم ومصطلحات الدراسة النظرية والإجرائية

1ـ الحراك

شاع استخدام مفهوم الحراك في العصر الحديث بشكل غير مسبوق، والسبب ارتباطه بمفاهيم يصعب فصلها أو الحديث عنه دون التطرق إليها كالتغير، والإصلاح، والتحول الديمقراطي، ورياح الحرية، والربيع العربي

وغيره، حيث يعد الحراك المغذي الرئيس لكل تلك الظواهر، وكلها مفاهيم تحمل معنى التغيير ببعديه الإرادي وغير الإرادي.

ويتحدد المفهوم الإجرائي للحراك الشعبي العربي وفقاً لغايات الدراسة الحالية بالآتي: هو مجموعة الاعتصامات والتظاهرات والإضرابات والاحتجاجات التي يشهدها المجتمع العربي منذ عامين، وتتكرر بشكل مستمر كل يوم للمطالبة بالإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتحسين الظروف المعيشية، وإيجاد فرص عمل، وحرية التعبير وممارسة الديمقراطية، ومحاربة الفساد في مؤسسات الدولة. وغيرها من المطالب الخدماتية، إلى أن تصل إلى تغيير النظام.

ويشير مارتين (Martin, 1988:13) إلى أن التغيير والثورة في سبيل الحرية لا تضمن بناء الديمقراطية دائما، فعملية بناء الديمقراطية، عملية معقدة من الموازنه بين الخاص والعام، والرقابة على السلطات..، بمعنى ليس من الضروري أن تؤدي الثورة إلى الحرية، وإن كانت المطالبة بالحرية محرك للثورة. فلا تقبل الثورة الحديثة نظاما هرميا مقدسا، وهذا يعني أن الثورات الدينية لم تكن ثورات، لأن الثورة الحديثة شأن علماني حتى لو كانت دينية (Friedrich. C. J, 1996: 12). ويمكن القول أن عنصر الجدة والراديكالية في الثورة هو عدم قبولها وجود سلطة فوق سلطة الدولة والمجتمع تبرر وجود النظام السياسي القائم، ذلك كله شأن علماني حديث حتى لو أعيد بناءه بناءا دينيا، وتتضمن الثورة رفض التسليم بوجود مبررات ثابتة للنظام القائم (Brinton. C ,1995:23).

إجرائيا يقصد بالاتجاهات نحو الحراك لغايات هذه الدراسة: مجموعة الأفكار والمعتقدات ووجهات النظر التي يحملها الشباب نحو الحراك العربي في المجتمع الأردني. ويقاس الاتجاه بالعلامة الكلية التي يحصل عليها الفرد على مقياس الاتجاهات المعد لهذه الغاية. وعلية فالاتجاه نحو الحراك العربي:

هو المشاعر الانفعالية والميول والاستجابة لدى المبحوثين مع أو ضد الحراك العربي،وهي أفكار ومعتقدات الشباب نحو الحراك.

الإطار النظري:

يعتبر الحراك العربي شكلا من أشكال التغير الاجتماعي الذي فرض على واقع الحياة العربية صيغة جديدة للعلاقات البنائية التي تحكم مكونات هذا المجتمع، إلى جانب التغير في الوظائف التي كانت تقوم بها هذه البنى من مؤسسات وأحزاب ومكونات اجتماعية أخرى، إضافة إلى الآثار السلبية والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يمكن أن تنتج عن هكذا تغيير. يقسم أرسطو الثورات إلى نوعين: نوع يؤدي الى تغيير الدستور القائم فينتقل من نظام حكم إلى نظام آخر، ونوع يغير الحكام في إطار بنية النظام القائم. (Aristotle, 2000: 22)

ويشير توماس كون في كتابه – بنية الثورات العلمية- إلى التشابه في استخدام كلمة ثورة في عبارتي: الثورة العلمية والثورة السياسية، وهما يشيران الى انتقال غير تدريجي من أنموذج إلى أنموذج آخر يستبدله. (Kuhn T. 1996: 23)

وقد شهد العالم العربي عام 2011 تغييرات جذرية، في ظل ما عُرف باسم الربيع العربي. و سبقت هذه التغييرات إرهاصات وعوامل كثيرة تضافرت معا لتمهد لزلزال التغيير الذي بدأ قويا في أدواته وطبيعته. ويقتضي ذلك الاهتمام بثقافة التغيير في ضوء الحراك الشعبي والثقافي والسياسي، لفهم ما حدث من تغييرات شاملة، والإفادة من دروس التغيير وتحويلها إلى ثقافة ممنهجة لتصبح سبيلا لإحداث تغييرات أوسع تخدم قضايا التنمية والتطور في المجتمع العربي. فضلا عن البحث في خلفياتها الفكرية وتمثلاتها الثقافية في مختلف الجوانب الأدبية والفنية والاجتماعية والسياسية والإعلامية.

- الدراسات السابقة:

الدراسات الميدانية في المجتمع الأردني والعربي قليلة في هذا المجال، خصوصا في تحديد درجة الوعي، والأسباب المؤدية للحراك الشعبي ونتائجة ووسائلة. ومنها دراسات نظرية كدراسة (بشارة عزمي،2011) (المدني، توفيق وآخرون،2011) (حنفي ساري،2011) (الهر محمود،2011) ودراسة ميدانية لمركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية (2011)، خلصت إلى أن 32■ من الأردنيين يعتقدون أن الحكومة جادة بمحاسبة الفاسدين، و35■ فقط يعلمون بوجود حراك شبابي وشعبي، ونحو نصف الأردنيين يؤيدون إجراء انتخابات نيابية مبكرة قبل نهاية العام الحالي. و أن 68■ من المستطلعة آراؤهم يعتقدون أن حرية التظاهر مكفولة، فيما اعتبر 75■ منهم أن حرية الصحافة مضمونة. ورأى 73■ من عينة الاستطلاع الذي حمل عنوان -حالة الديمقراطية في الأردن-، أن حرية الانتساب للأحزاب السياسية مضمونة.

ويعتقد 78■ من المستجيبين أن عقد الاجتماعات والاحتجاجات السلمية هي وسيلة مناسبة لتغيير الحكومة اذا ظهرت الحاجة لذلك، في ما يعتقد أقل من نصف المستجيبين 48■، أن الضغط على البرلمان لحجب الثقة عن الحكومة هو وسيلة مناسبة، ويعتقد 45■ أن الانتظار حتى تتغير الحكومة هو أفضل الوسائل، ويرفض 93■ اللجوء إلى استخدام العنف باعتباره وسيلة لتغيير الحكومة. وأعرب 64■ من المستطلعة آراؤهم عن رغبتهم بإجراء الانتخابات البلدية في حزيران للعام الحالي، كما يرغب 51■ من أفراد العينة بإجراء الانتخابات النيابية في نهاية 2012. وأيد 31■ من المستجيبين للاستطلاع إجراء تعديلات دستورية جديدة، لكن 41■ منهم لا يؤيد ذلك.

وسمع 35■ فقط من الأردنيين بالتنظيمات والحراكات الشبابية المطالبة بالإصلاح، وفق الاستطلاع الذي أظهر أن 27■ من النسبة التي

سمعت بتلك الحراكات، مقتنعون بجدوى وأهمية هذه التنظيمات والحراكات الشبابية والشعبية. أظهرت النتائج أن نسبة من يعتقدون بأن الأمور تسير بالاتجاه الصحيح في الأردن هي (60■) مقارنة بـِ (25■) يعتقدون أنها لا تسير في الاتجاه الصحيح. وقال الاستطلاع إن الشعور بالأمن والاستقرار حصل على نسبة (36■) وجدية الحكومة بالإصلاح ومحاسبة الفاسدين(32■) كانت أهم الأسباب لاعتقاد المستجيبين بأن الأمور تسير بالاتجاه الصحيح، فيما كان الوضع الاقتصادي السيئ، (فقر، بطالة، غلاء معيشة) (36■) وتفشي الفساد والواسطة والمحسوبية (31■)أهم الأسباب لاعتقاد المستجيبين بأن الأمور تسير بالاتجاه الخاطئ، وارتفع تقييم المستجيبين لحالة الديمقراطية في الأردن مقارنةً بالعام الماضي، وجاء ضمان الحقوق والحريات المدنية والسياسية كأهم سمة يجب أن تتوافر بالأردن حتى نقول إنه بلد ديمقراطي (57■)، تلتها قيمة العدل والمساواة (15■) في المرتبة الثانية. ويعتقد (28■) أن انتشار الفساد المالي والإداري والواسطة والمحسوبية، هي أهم المعيقات للتحول الديمقراطي في الأردن، فيما كان عدم ضمان حرية التعبير والرأي (7■) ثاني أهم معيق. ولكن يعتقد 12■ بأنه لا يوجد معيقات للتحول الديمقراطي في الأردن، بينما أجاب 18■ بأنهم لا يعرفون إذا كان هنالك معيقات للتحول الديمقراطي في الأردن.

و يعتقد 58■ من المستجيبين أن تطبيق مبدأ المساواة في حقوق المواطنين بغض النظر عن الغنى أو الفقر مطبق في الأردن، في ما يعتقد 66■ أن تطبيق مبدأ المساواة في حقوق المواطنين بغض النظر عن بلد الأصل مطبق في الأردن. ويرى 71■ من المستجيبين أن الفرد يتمتع بمعاملة عادلة في مصالح الشرطة، في ما يعتقد 41■ فقط أن الفرد يتمتع بمعاملة عادلة في إجراءات الحصول على وظيفة في القطاع العام. وأفاد ما يقارب ثلث المبحوثين (32■) بأنهم يستطيعون انتقاد الحكومة علناً بزيادة مقدارها (13) نقطة عما كانت عليه في العام الماضي (19■).

وأظهرت النتائج أن الدافع الرئيسي الذي قد يؤدي للمشاركة في تظاهرة أو اعتصام أو فعالية احتجاجية سلمية هو تردي الوضع الاقتصادي وارتفاع الأسعار(27■)، في ما جاء الشعور بالظلم وعدم المساواة (11■) في المرتبة الثانية، وجاءت المطالبة بالحقوق السياسية والاجتماعية والدينية (9■) في المرتبة الثالثة.

وقال الاستطلاع إن أكثر من ثلي المستجيبين يعتقدون بأنه لا يوجد حالياً حزب سياسي أو حركة سياسية مؤهلة وقادرة على تشكيل الحكومة، في ما يعتقد (8■) فقط أنه يوجد حزب أو حركة سياسية قادرة على تشكيل الحكومة في الأردن. وأشار إلى أن هناك ارتفاع واضح وملحوظ في نسبة من يقبلون بوصول حزب سياسي لا يتفقون معه الى السلطة مقارنة بالأعوام السابقة، فقد أظهرت النتائج أن (26■) يقبلون بذلك مقارنة بـ 9■ في العام 2010. وبحسب النتائج، فإنه في حالة إجراء الانتخابات النيابية (يوم الاستطلاع)، فإن 33■ يرجحون منح صوتهم لمرشح من الاتجاه السياسي الوطني، في ما أفاد 23■ أنهم يرجحون منح صوتهم لمرشح من الاتجاه السياسي الإسلامي، و 10■ للاتجاه السياسي القومي العربي، و2■ للاتجاه الليبرالي. بينما أفاد ما يقارب الربع بأنه ليس لديهم اتجاه سياسي معين.

ويعتقد أكثر من النصف بقليل بأن مجلس النواب يقوم بدوره في: مساءلة الحكومة (52■) وبسن القوانين (50■) وبالإشراف على الإنفاق العام (52■)، بينما تتراجع نسبة تقييم المواطنين لقدرته على مكافحة الفساد (48■) والتأثير في السياسات العامة (46■)، والتمتع بالاستقلالية عن السلطة التنفيذية (45■)، لتصل أدناها بقيام المجلس بالتواصل مع المواطنين (41■).

وأظهرت نتائج الاستطلاع ارتفاع نسبة من يعتقدون أن السلطة التنفيذية وأجهزتها (من 56■ في العام 2010 إلى 63■ في العام

2011) وذوي النفوذ السياسي والاقتصادي (55■ في العام 2010 إلى 61■ في العام 2011) يتدخلون في الأحكام الصادرة عن القضاء.

وبحسب رأي المستجيبين فإن التظاهر والاعتصام والاحتجاج السلمي 33■هي الوسائل الفضلى لتغيير سياسة الحكومية عندما يكونون غير راضين عنها، فيما جاء الحوار مع الحكومة (10■) كخيار ثانٍ واستخدام وسائل الإعلام المختلفة (7■) كخيار ثالث.

- النظريات المفسرة للحراك العربي

يشير الأدب النظري في علم الاجتماع إلى العديد من النظريات التي تناولت تفسير عمليات التغير الاجتماعي (التنمية،التطور، الثورة، العاملية) في إطار أي مجتمع، إضافة إلى عوامل التغير وأدواته كالعوامل الفكرية والسياسية والاجتماعية والداخلية والخارجية.....، إلا أن ما تجدر الإشارة إليه هنا هو النظريات العاملية في تفسير التغير الاجتماعي وخاصة تلك التي ركزت على العامل التكنولوجي والعامل الاقتصادي والعامل الثقافي.

فترتبط نظرية العامل التكنولوجي بالتغير الاجتماعي بما تسببه التكنولوجيا من تحولات داخل أي مجتمع، وخاصة بعد أن يكون هذا الاستخدام استجابة لحاجة معينة يرى الأفراد أن تحقيقها يرتبط باستخدام هذا النوع من التكنولوجيا، حيث تركز الرؤية الأساسية في هذه النظرية إلى أن أي اكتشاف أو اختراع تقني يؤدي مباشرة إلى تغيرات اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية، ويزداد هذا الأثر في القيم الاجتماعية التي تتأثر باستخدام الأفراد للتكنولوجيا. **(الدقس،2005: 115-122).**

وفيما يتعلق بنظرية العامل الاقتصادي الذي يمكن الإشارة إليها كإطار مرجعي في تفسير جوانب الحراك العربي، فان هذه النظرية تعيد أسباب التغير إلى بعدها الاقتصادي، ومن أبرز العلماء الذين ترتبط بهم هذه النظرية كارل ماركس ونظريته الماركسية التي تتبنى الفكرة القائلة أن العوامل الاقتصادية تؤثر إلى حد بعيد في تشكيل الحياة الاجتماعية وفي نشأة

الجماعات وتكوينها، بالإضافة إلى تأثيره في أبعاد المجتمع السياسية والفكرية والثقافية، ويشكل المحرك الأساسي للتغير الاجتماعي. (**الدقس، 2005: 137-144)**

يمكن من خلال نظرية العامل الثقافي الإشارة إلى ثلاثة أنماط تساهم في إحداث التغير الاجتماعي وهي 1نظرية الانتشار الثقافي التي ترجع عملية التغير إلى العوامل الخارجية، 2ونظرية الصراع الثقافي التي ترجع التغير إلى عوامل داخلية، 3ونظرية الصراع الثقافي أو ما يعرف بالمتناقضات الثقافية التي تنبع من داخل المجتمع، حيث يؤدي إزالة هذه التناقضات إلى أحداث تغيرات اجتماعية، فكلما زادت هذه المتناقضات أدت إلى زيادة حدة الصراع وبالتالي إلى تعميق حدة التغير الاجتماعي. **(الدقس، 2005: 146-156)**.

نلاحظ أن لعلم الاجتماع دورا واضحا في دراسة وفهم ظاهرة الحراك الشعبي ومعالجتها في المجتمع المعاصر. لأن الحراك الشعبي ظاهرة لها أبعادها النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والتربوية والدينية؛ فهي تستوجب الدراسة والتقصي حتى يمكن فهمها. (بني فياض، 2008: 15). والتي ربما لا يخرج تفسيرها عن بعدين هما: نتاج عوامل خارجية تتمثل بالتغيرات العالمية الحادة كالسياسات الاستعمارية والعسكرية والحروب والصراعات غير المبررة، والأزمات الاقتصادية العالمية وتأثيراتها على مجتمعاتنا، وعوامل داخلية تتعلق بالظروف الاقتصادية الصعبة للأفراد والجماعات، والحرمان السياسي والديمقراطي في المجتمع وعوامل التفسخ الأسري والاجتماعي مما ينعكس في تغيير الإفراد لأفكارهم واتجاهاتهم وسلوكهم.(لبيب،2005: 23).

ومن جانب آخر اختلفت تفسيرات علماء الاجتماع لظاهرة الحراك كل حسب مرجعيته، فنجد الوظيفيين أمثال دوركايم وپارسونز وميرتون قد ربطوا ظهور ظواهر كالحراك الى وجود خلل بنائي داخل النسق الاجتماعي ممثل بفقدان اندماج الفرد بالجماعات الاجتماعية، والثقافة السائدة مع ضعف

آليات الضبط والقواعد المنظمة لسلوك الفرد وتفكك المنظومة القيمية والأخلاقية في المجتمع مما تنتج هذه الظروف قيم مضادة، فتولد السلوك المخالف للأعراف والمعايير المجتمعية، وهذه حالة تعبر عن عدم قدرة الأنساق والمؤسسات على تلبية حاجات الأفراد والجماعات وطموحاتها فتتشكل حالة الثورة والتحرك لإحداث التغيير.

بينما ينظر الماركسيون إلى أن سبب مثل هذه الظواهر يعود لتفشي الظروف الاقتصادية السيئة التي تعيشها فئات كبيرة بالمجتمع على هامش مخلفات النظام الرأسمالي من فقر وبطالة، ومعاناتها المريرة من الحرمان بيعديه الاقتصادي والسياسي، وفقدان المجتمع للعدالة الاجتماعية، والمساواة بين فئاته، وتزايد الشعور بالاضطهاد والتهميش والاحتكار والاستغلال في مناحي الحياة، مما ينعكس على نمو ظواهر عدة تدعوا إلى التغيير. ويذهب سيجلمان (Siglman) مؤيداً هذا التفسير عندما أرجع ظواهر التغيير إلى عدم الاستقرار السياسي في الدولة نتيجة عدم العدالة والمساواة بين الأفراد والجماعات. فالحراك الشعبي تعبير عن حالة التعارض القائم بين مصالح الجماعات، وتزايد الشعور بالظلم والحرمان وعدم المساواة والاضطهاد بأشكاله المختلفة خاصة السياسي والاقتصادي والاجتماعي. (رشوان،2011: 17).

-أسباب الحراك العربي

تعتبر الحاجة إلى الإصلاح واحدة من أسباب الحراك الحاصل في العالم العربي، وعند التحدث في معاني الإصلاح فإن أول مفهوم يمكن الإشارة إليه هو -محاربة الفساد بكل أبعاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتي تقود معالجتها إلى إيجاد بيئة جديدة تساهم في انتشار معاني الديمقراطية والحرية والعدالة، وهي الحالة التي لم تستطع الشعوب العربية أن تؤسس لها بطريقة صحيحة بسبب فرض الرؤية الرسمية للإصلاح بعيدا عن حاجة المجتمعات ومشاركتها في صياغة احتياجاتها.

وعلى مستوى الفهم النظري لعلاقة التغير بالإصلاح التي كانت تسود العالم العربي فان التغير في معنى الإصلاح أو في حدوده، هو الذي أصبح، مقصودا ضمنا أو صراحة في الحديث عن التغيير أو في الدعوة إليه **(لبيب،2005: 163-165)**. وقد بقي الإصلاح السياسي حالة غائبة عن الطرح بقوة في العالم العربي وظل يدور الحديث حوله بين النخب السياسية وخاصة في ظل منع الأحزاب أو تقييدها، فعلى الرغم من المناداة ومنذ بداية الثمانينات بأن الديمقراطية هي السبيل الصحيح لتفعيل مشاركة الإنسان العربي في التنمية الشاملة، وبدونها تظل تلك المشاركة شبه معطلة، والديمقراطية هي الوسيلة التي تحمي الوطن من التدخلات السلبية والخارجية، وخاصة أن تقارير التنمية البشرية تشير باستمرار إلى تراجع موقع الدول العربية في معايير التنمية السياسية، إلى مؤخرة الدول النامية وليس الدول المتقدمة فحسب، أن كان ذلك في معايير التنمية الديمقراطية أو مشاركة المرأة وتمكينها أو الانتخابات أو نشاط البرلمان أو غير ذلك. **(عبد الجابر،2006: 85-87)**

وفي ضوء ذلك يسعى المجتمع العربي لمعالجة مجموعة من الاختلالات التي أسست للفساد في مختلف المجالات، مما أدى إلى تفكك المجتمعات وتفسخ نسيجها الاجتماعي، ويشير عبد الإله عبد الإله بلقزيز في وصف هذه الحالة إلى أنه – من المؤكد أن تونس ومصر عانتا حكما مستبدا غشوما، وفسادا سياسيا وماليا مدمرا، ونهبا منظما للثروات والمقدرات، وإفسادا شاملا للحياة السياسية، واحتكارا للسلطة من قبل فئة تتربع على عرشها عصابة من الأهل والأقرباء، وإنما هما عانتا من نتائج ذلك على صعيدي ثقافة المجتمع ومنظومة القيم فيه، وأن إشاعة ثقافة الخوف والخنوع والتواكل والاستسلام للقدر الاجتماعي، وقيم الانتهازية والتوجه لأصحاب الجاه والنفوذ والاستسلام لهم، وفقدان قيم التضامن والشعور بالكرامة الفردية والجماعية، إنما هي من

الأوضاع السلبية المدمرة للنسيج الاجتماعي التي ترمي إلى تحقيقها كل سلطة مستبدة، فاسدة وغير شرعية،- **(عبد الإله بلقزيز،2011: 30)**

ويشير الوصف السابق إلى أن النظام العربي الرسمي كان وبطريقة غير مباشرة ومن غير وعي قد ساهم في إيجاد البيئة التي ساهمت في تشجيع الناس على التحرك ضد بناءه السياسي من خلال حراك جماهيري اسقط لغاية الآن ثلاثة أنظمة عربية، وإن كان مفهوم الثورة في العالم العربي أطلق كتسمية على عدد كبير من الظواهر المختلفة في شدتها والتي تمتد من أي تحرك مسلح أو غير مسلح ضد نظام ما إلى التحركات التي تطرح إسقاط النظام واستبداله، وتحركات اليوم هي أقرب في معناه العام إلى خروج الناس في طلب الحق وضد الظلم.

- خصائص وسمات الحراك العربي

تميز الحراك العربي بسمات خاصة أهمها، أن هذا الحراك لم يكن له أية قوة سياسية منظمة تستخدمها لكي تتسلم الحكم بالقوة، وإنما نشبت انتفاضات تحولت إلى ثورات شعبية على الأنظمة تدعو إلى إسقاطه من دون أن تحل محله قوة سياسية منظمة، أما الخاصية الثانية فهي تلك التي تشير إلى أن التحركات العربية قدمت نموذجا جديدا من الثورات لم يكتمل بعد حيث لم تنشب هذه التحركات عبر حزب سياسي منظم يسعى للوصول إلى السلطة، بالإضافة إلى أن يوم نشوب الثورة اتضح فيما بعد انه لم يكن اللحظة التاريخية المواتية لقيام تحركات تصل إلى مستوى الثورة بل كان دعوة ليوم غضب كما حدث في مصر مثلا، وفي تونس فقد انطلقت الانتفاضة للتضامن والاحتجاج في ناحية سيدي بو زيد ثم تحولت بالتدريج إلى ثورة عارمة.**(بشارة، 2011: 33)**

ويشير عبد الإله عبد الإله بلقزيز في وصف قريب لما تم تناوله سابقا إلى أن هذه الثورات من – قيادة أو إيديولوجيا، أو طبقة مثقفة مناضلة قادرة على نشر الوعي الثوري وقيادته. كما خلت من النظام الطليعي الحزبي

والنقابي، الإيديولوجي القادر على حشد الآخرين وتنظيمهم وصياغة أهدافهم - **(عبد الإله بلقزيز، 2011: 35)**.

- القوى الخارجية والحراك العربي

يرتبط بالحراك العربي خلال العام 2011م فكرة التدخل الخارجي والمساهمة الفاعلة من قبل قوى مختلفة، حيث يمكن للمتابع على الأقل الإشارة إلى التدخل العسكري للقوى الكبرى من خلال قرار الأمم المتحدة الذي أعطى شرعية قصف القوات التي كانت تتبع للنظام الليبي السابق.

ويختلف التدخل الخارجي في أحداث الربيع العربي تبعا لمصلحة هذه الدول وتبعا لطبيعة النظام، وهو ما يمكن ملاحظته في مواقف كل من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا وموقف كل من روسيا والصين تجاه ما يحدث في اليمن وما يحدث في سوريا.

وبصورة مباشرة فان العالم يشير إلى موقف الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القوة العظمى في العالم، والذي يمكن الإشارة إليه من خلال خطاب الرئيس الأمريكي باراك أوباما الذي ألقاه بعد انطلاق الربيع العربي والذي أشار فيه إلى أهمية التحول الديمقراطي في العالم العربي.

ومن جانب آخر مثلت الثورات والانتفاضات الشعبية العربية صدمة للدوائر السياسية والاستخباراتية والبحثية في الولايات المتحدة على نحو فاق قدرة تلك الدوائر على توقعها وسرعة الاستجابة لها، وهو ما دفع نيكولاس بيرنز نائب وزير الخارجية الأمريكي الأسبق، إلى اعتبارها -زلزالا كبيرا- يراه الأهم منذ سقوط الإمبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، وبتوم دونيلون مستشار الرئيس أوباما الذي يضع له الاستراتيجيات الكفيلة بالتعاطي مع الثورات العربية، يميل إلى تشبيهها بفترة التحرر العربي من الاستعمار الأجنبي في حقبة ما بعد الحرب الكونية الثانية. **(عبدالفتاح،2011: 10)**

وقد ساهمت الولايات المتحدة الأمريكية في دعم حركات الربيع العربي بعدة طرق، فإلى جانب الدعم العسكري لجأت إدارة الرئيس أوباما إلى:

1. الدعم الاقتصادي من خلال مساندة الديمقراطية في مصر وتونس على تجاوز التداعيات الاقتصادية السلبية للثورات، حيث أعلن اوباما إسقاط ملياري دولار من ديون مصر وتونس.
2. الدعم السياسي حيث لجأت الادراة الأمريكية إلى مد جسور الثقة مع النظام المصري وخاصة بعد أن تبين اتجاهه المعتدل تجاه القضايا في كل من إيران وفلسطين، بالإضافة إلى تجديد التزام بلاده بدعم تحريك عملية السلام في الشرق الأوسط استنادا إلى مبدأ الدولتين.
3. الدعم الثقافي من خلال مقترحات أمريكية بضرورة التعاطي مع العرب من منظور مغاير للصورة الذهنية النمطية السائدة في الغرب والتي طالما روجت أنهم شعوب غير ثورية لا تتوق للديمقراطية والتغيير، كما ظهرت طروحات أمريكية بضرورة مراجعة التصنيفات الأمريكية التقليدية للقوى السياسية الفاعلة داخل الدول العربية بين معتدلة وغير معتدلة وتبني معيار جديد يصنفها إلى - قوى شرعية - وأخرى - غير شرعية -. **(عبدالفتاح،2011: 56)**

- دور تكنولوجيا الاتصالات الحديثة والإعلام في الحراك العربي

يرتبط الحراك العربي بدور العلام وتكنولوجيا الاتصالات الحديثة التي ساهمت إلى حد كبير في سهولة التواصل بين المشاركين، حيث انطلقت هذه الحركات بفعل استخدام تكنولوجي سرعان ما امتدت إلى شتى أنحاء الفضاء الإعلامي الافتراضي غير المحدود، ولذا كان جيل الشاب المستوعب لهذه الأداة والمتفاعل معها هو الحامل الاجتماعي، وهو سيد الحدث في مصر كما كان في الحدث التونسي، حيث تمكن جيل الشباب، الأكثر وعيا بما يجري في العالم والأكثر حرصا على طلب الحرية من تحقيق نوع من التكتل

الافتراضي الواسع فيما بينهم حتى أصبحت الثورة في مصر وتونس نموذجا مثاليا لثورات – عصر ما بعد الحداثة – (**عبد الإله بلقزيز،2011: 34**).

وجاء الفيسبوك، وغيره من الشبكات الاجتماعية، ليحدث ثورة معلوماتية وثقافية واجتماعية جديدة ويسهل تواصل ملايين العرب بشكل أسرع، ولاحظنا دوره الفاعل في انطلاق وإشعال الثورات العربية والحفاظ على ديمومتها. واليوم ترى ملايين العرب مسلحين بالفكر واللغة والمعلومة والتقنيات والشبكات الاجتماعية والإعلامية والإخبارية ولوحة المفاتيح ويقفون بكل ثقة واقتدار في الخندق الأول يتابعون قضايا أمتهم، ويقاتلون في صفوفها، ويدافعون عنها وعن مستقبلها، ويُثقفون ويستنهضون أبناءها، ويثرون المحتوى الرقمي العربي.

وقد حدد علماء الاجتماع والسياسة والنفس ثلاثة مراحل لتكوين الاتجاه والرأي العام ابتداء من مرحلة **الإدراك** ومرورا بمرحلة **الصراع الذي يتنقل فيها التناقض من الإدراك الذاتي إلى الارتباط بالقوى الاجتماعية بحيث يتحول من تناقض إلى تصارع** وانتهاء بمرحلة **التركيز** التي تنتهي بالتأييد أو المعارضة أو عدم الاهتمام.(**محمد المهدي، دون سنة نشر: 22**). و تتشابك العلاقة بين وسائل الاتصال والتأثير على الاتجاه و الرأي العام، وتعتبر أنواع الظروف المحيطة بالاتصال وأنواع التأثيرات التي تحدثها وسائل الاتصال من أبرز العوامل التي تساهم في تشكيل الاتجاه والرأي العام، حيث يمكن أن تؤثر وسائل الاتصال والإعلام بطريقة ايجابية أو سلبية على تكوين الاتجاه والرأي العام من خلال الطريقة التي يتم بواسطتها عرض القضايا والمشكلات أيا كان نوعها، اقتصاديا أو سياسيا أو ثقافيا أو اجتماعيا أو دينيا.(**عبد الرحمن، 2002: 264-266**).

وبعيدا عن الإعلام العربي الرسمي تشير الدراسات إلى أهمية الإعلام غير الرسمي وخاصة الجزيرة في إيجاد حالة جديدة في العالم العربي من خلال طبيعة المعلومات التي بدأت بالتعاطي معها منذ إنشائها في عام

1996، وقد ساهمت هذه القناة من خلال بعد تكنولوجي وإيديولوجي في توجيه جانب من الحراك العربي الذي حدث في العالم العربي **(Lawrence Pintak, 2011: 31)**.

وخلاصة الأمر حول دور الإعلام ووسائل التكنولوجيا الحديثة في الحراك العربي يمكن القول إلى أن وسائل الاتصال الحديثة سواء كانت الفضائيات أو الانترنت بمختلف تطبيقاته ساهمت في تشكيل اتجاه ورأي عام فاعل سرعان ما توفرت لديه القوة في الانتقال إلى مرحلة الفعل الذي تم التعبير عنه في الساحات العربية.

- النتائج المتوقعة للحراك العربي

يقود الحديث عن الحراك العربي إلى النتائج التي يمكن تنتج عنه، فمنها ما هو سريع التحقق في الواقع العربي، ومنها ما قد يأخذ وقتا في التشكل والتأثير، ويخضع تتبع هذه الآثار والنتائج إلى ما يعرف بقانون التطور المتفاوت بين السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

وقد أشار عبد الإله عبد الإله بلقزيز إلى هذه القضية في وصفه إلى مرحلة البناء بعد الثورة، اذ بين أن لحظة البناء، غير قابلة للانجاز دفعة واحدة، وأن مستويات البناء وأبعاده ومجالاته يزامن بعضها بعضا في التبدل والحصيلة والنتائج، - فبينما يمكن للتغييرات في مجالي السياسة والاقتصاد أن تأخذ سنوات أو عقدا أو عقدين، بعد الثورة، فتبين ملامحها وتسرى حقائقها الجديدة في الواقع المادي، فان نظيرتها في مجالي الاجتماع والثقافة تأخذ زمنا أطول قد يستغرق جيلا أو جيلين قبل أن تبدأ في الإفصاح عن ثمراتها. - كما يشير إلى الفارق الكبير بين المبدأين الذين تقوم عليهما علاقات السياسي والاقتصادي وعلاقات الثقافي والاجتماعي، المبدأ الأول هو المصلحة، أما المبدأ الثاني فهو الاعتقاد والاقتناع **(عبد الإله بلقزيز،2011: 23-25)**

وبشكل عام يمكن الإشارة إلى عدد من النتائج التي يمكن ان ترتبط بالحراك العربي، وتتلخص بما يلي:

1. صعود الحركات الإسلامية: نتج عن الحراك العربي، بروز التيارات الإسلامية بأطيافها المختلفة المعتدل منها والمتطرف، ويعتبر ذلك من النتائج المنطقية لحالة الانطلاق الفكري التي سادت العالم العربي بعد انهيار الأنظمة الاستبدادية، وهناك نوعين من هذه الحركات الأول هو الذي سيتسلم مقاليد الحكم في مصر وتونس مثل الإخوان وحركة النهضة في تونس. والثاني: هو دور الحركات الثورية مثل حزب الله وحماس. **(الحروب،2011: 20-23).**

2. الصراع العربي الإسرائيلي: ساهم الحراك العربي إلى إعادة موضوع الصراع العربي الإسرائيلي إلى واجهة السياسة العربية والإسرائيلية والغربية، فقد سارع المجلس العسكري المصري إلى الإعلان عن احترامه لمعاهدة السلام بالإضافة إلى عدد آخر من المواقف التي لها علاقة بسياسة مصر الخارجية تجاه فلسطين.

وقد بزت أهمية هذا المحور في اتجاهات السياسة الأمريكية نحو الربيع العربي، والذي أعلن عنه باراك اوباما في خطابه للعالم العربي أن الثورات الشعبية في منطقة الشرق الأوسط، والتي أسماها - رياح الحرية-، تخدم الولايات المتحدة وتمنحها فرصة كبيرة، كما تفتح آفاقا واسعة أمام الأجيال الجديدة، وطالب القوى التي أطاحت بنظام مبارك ضرورة الإبقاء على التعاون مع الولايات المتحدة وإسرائيل، والالتزام بمعاهدة السلام المبرمة مع تلك الأخيرة. **(عبد الفتاح،2011: 64)**

3. التقسيم والتجزئة الذي سيؤدي إلى تأثير مباشر في شكل وبنية ووحدات النظام الإقليمي الجديد، وهو ما يبدوا ماثلا في ليبيا واليمن لغاية الآن. **(الحروب،2011: 21)**

4. ارتباط النظام العربي بشكله الجديد بالتدخلات الدولية ومصالح ومواقف الدول الكبرى والدول المحيطة بالمنطقة العربية، حيث يشير هذا

التفاعل بين الداخلي والإقليمي إلى أن المستقبل يتجه نحو - أقلمة الأوضاع العربية-، ويفتح الباب أمام تفاعلات إقليمية جديدة. (**راشد،2011: 46**).

منهج الدراسة (إجراءاتها):

منهج الدراسة: المنهج المتبع في هذه الدراسة هو منهج المسح الاجتماعي بالعينة، لمناسبة استخدامه لمثل هذا النوع من الدراسات الوصفية التحليلية، حيث تم اختيار عينة من طلبة الجامعة التي تشكل مجتمع الدراسة، لغاية الحصول على البيانات المتعلقة بظاهرة الحراك من منظور الشباب الأردني.

مجتمع الدراسة :

يتكون مجتمع الدراسة من طلبة الجامعة الأردنية الذين يدرسون في مرحلة البكالوريوس، والذي يبلغ عددهم 32 ألف طالب وطالبة موزعين على 24 كلية ومعهد في عام 2011م. وذلك لما تمتاز به الجامعة الأردنية من التنوع والشمول، فهي الجامعة الحكومية الأقدم والأكبر، وتظم فئة كبيرة من الشباب الأردني ومن مختلف البيئات، إضافة لتنوع تخصصاتها العلمية والإنسانية والشرعية.

عينة الدراسة:

تم سحب عينة قصدية، وزعت على طلبة البكالوريوس في الجامعة الأردنية، ولكي تشمل العينة الغالبية العظمى من طلبة الكليات حسب توزيعها في الجامعة فقد تم تحديد عدد من المحاضرات التي يتواجد بها طلبة من جميع التخصصات، كمتطلبات الجامعة الاختيارية مثل مواد التربية الوطنية واللغة الانجليزية واللغة العربية والحاسب الآلي التي يدرس بها طلبة الجامعة بغض النظر عن طبيعة تخصصهم.

ومن المبررات التي يمكن تقديمها لاختيار عينة قصديه وليست عشوائية هو أن الطريقة العشوائية تتطلب الحصول على أسماء جميع طلبة البكالوريوس، بالإضافة إلى التواصل مع من يقع عليهم الاختيار لأن ذلك

يتطلب توافر معلومات عن القسم الأكاديمي والكلية ورقم الهاتف لكل طالب من الطلبة الذين يقع عليهم الاختيار وهو ما يصعب الحصول عليه أمام تحفظ الجامعة على المعلومات الشخصية الخاصة بطلبتها.

وقد تكونت العينة النهائية من 268 طالباً وطالبة، موزعين على مختلف كليات الجامعة الأردنية، وقد تم اختيار 300 مبحوث منذ البداية، وبعد ان تم مراجعة الاستبيانات تبين أن 272 مبحوث منهم فقط استجابوا لتعبئة الاستبانة، وقد تم استبعاد 4 بعد أن تبين لنا أن المعلومات غير مكتملة.

أداة الدراسة:

تم الاعتماد على الاستبانة كأداة لجمع البيانات من مجتمع الدراسة، وقد تم صياغة الاستبانة بصورتها النهائية حيث توزعت الأسئلة وفقا لمحاور تتطابق مع ما جاء في أسئلة هذه الدراسة التي تم الإشارة إليها سابقا، وقد تم توزيع 300 استمارة استطاع الباحث أن يجمع منها 272 استمارة.

صدق وثبات الأداة

للتأكد من الصدق الظاهري للأداة تم عرضها على مجموعة من المختصين، وفي ضوء ملاحظاتهم تم إجراء التعديلات المناسبة بالحذف والإضافة والتعديل. وتم التأكد من ثبات الأداة من خلال الاختبار وإعادة الاختبار بفارق زمني أسبوع على عينة استطلاعية(30) مبحوث وطبق اختبار كرونباخ ألفا الذي بلغت قيمته 882. وهي قيمة مناسبة لغايات هذه الدراسة.

التحليل الإحصائي

تم استخدام برنامج (SPSS) لتفريغ البيانات وتحليلها، حيث تم تحليل البيانات بالاعتماد على:

أولا: حساب المتوسطات الحسابية والتكرارات والنسب المئوية لإجابات أفراد العينة على فقرات الاستمارة، حيث كانت المتوسطات لمفردات مقياس ليكرت لقياس الاتجاهات موزع على النحو التالي (غير

موافق بشدة من 1- 1.80) (غير موافق من 1.81- 2.60) (محايد 2.61- 3.40) (موافق 4.41 – 4.20) (موافق بشدة 4.21- 5).

ثانيا: حساب الفروق والمقارنات باستخدام اختبارا ت T-TEST و F- TEST لمعرفة الفرق بين متوسطات إجابات عينة الدراسة، وقد تم إجراء الاختبارات المذكورة عند مستوى الدلالة ألفا تساوي (ألفا:= 0.05). حيث تم مقارنة النتائج التي كانت مستوى الدلالة في اختباراتها أقل أو تساوي قيمة الدلالة وتكون الفروق دالة إحصائيا بين الإجابات لصالح الإجابة التي يكون المتوسط الحسابي فيها أكبر.

عرض نتائج الدراسة وتحليلها ومناقشتها

قسم هذا الجزء من الدراسة إلى محورين رئيسين، وذلك تبعا للغرض من التحليل ولماذا تم استخدامه في الدراسة:

المحور الأول: وتضمن التوزيعات التكرارية والنسب المئوية لمتغيرات الدراسة، والتي تم من خلالها تقديم وصف رقمي لخصائص العينة.

المحور الثاني: وتضمن نتائج التحليل الإحصائي المتقدم والذي تم من خلاله الإجابة على تساؤلات الدراسة.

جدول رقم(1)

نتائج التكرارات النسبية التي تبين توزيع أفراد العينة حسب متغيرات الدراسة

المتغير		التكرار	النسبة	المتغير		النسبة	التكرار	المتغير		تكرار	نسبة
الجنس	ذكر	76	28.4	السنة الدراسية	أولى	155	57.8	أفراد الأسرة	3-5	72	26.9
	أنثى	192	71.6		ثانية	74	27.6		6-10	180	67.2
العمر	اقل من 18	2	.7		ثالثة	17	6.3		11 فأكثر	16	5.2
	18-22	247	92.2		رابعة	16	6	الدخل	اقل من 500	89	33.2
	أكثر من 22	15	5.6		أكثر من رابعة	6	2.2		501-1000	74	27.6
مكان السكن	مدينة	229	85.4	طريقة القبول في الجامعة	تنافس	85	31.7		1001-1500	16	6
	قرية	34	12.7		موازي	80	29.9		1501-2000	20	7.5
	بادية	3	1.1		منحة	19	7.1		أكثر من 2000	19	7.1
	مخيم	2	.7		مكرمة عسكرية	39	14.6	العمل	اعمل	23	8.6
سكن الطالب	الأهل	258	96.3		اقل حظا	19	7.1		لا اعمل	245	91.4
	الأصدقاء	4	1.5		ديوان	9	3.3				
	لوحدك	3	1.1		سفارات	10	3.7				
نوع السكن	ملك	228	85.1		تعليم عالي	7	2.6				
	اجار	40	14.9	تمويل الدراسة	احد أفراد العائلة	202	77.7				
الكلية	التمريض	17	6.3		جهات أخرى	58	21.7				
	العلوم	12	4.5	مهنة الأب	قطاع عام	69	25.7				
	الاداب	25	9.3		قطاع خاص	170	63.4				
	اللغات	47	17.5		لا يعمل	14	5.2				
	شريعة	10	3.7		متوفي	7	2.6				
	قانون	62	23.1	مهنة الأم	قطاع عام	32	11.9				
	رياضة	3	1.1		قطاع خاص	60	22.8				

	هندسة	22	8.2		ربة منزل	170	63.4				
	تكنولوجيا معلومات	5	1.9	تعليم الاب	اساسي	19	7.1				
	صيدلة	2	.7		ثانوي	62	23.1				
	فنون	2	.7		دبلوم	41	15.3				
	اعمال	35	13.1		جامعي	106	39.6				
	آثار	10	3.7		دراسات عليا	37	13.8				
	زراعة	6	2.2	تعليم الام	اساسي	20	7.5				
	طب	2	.7		ثانوي	88	32.8				
	تربية	8	3		دبلوم	66	24.6				
					جامعي	82	30.6				
					دراسات عليا	10	3.7				

يهدف عرض النتائج الوصفية البسيطة لمتغيرات الدراسة الى الخروج بتصورات أولية عامة عن خصائص المبحوثين الاجتماعية والاقتصادية من خلال عدد من المؤشرات التي توزعت لوصف حالة المبحوثين أو عائلاتهم وهو ما يوفر لنا مستويات متقدمة من التحليل.

ومن النتائج التي يمكن الوقوف عندها في وصف العينة أن غالبيتهم من الإناث بنسبة وصلت إلى 71.6■، ويسكن 85.4 ■ منهم في المدينة ومع عائلاتهم.

وفيما يتعلق بمتغير التعليم يمكن ملاحظة أن غالبية الطلبة من السنة الأولى، وفيما يتعلق بالمستوى التعليمي للوالدين تبين أن نسبة 39.6■من الآباء ممن يحملون درجة البكالوريوس، بينما كانت هذه النسبة عند الأمهات 30.6■.

وتبين خصائص العينة أن 67.2 ■ من أفراد العينة يعيشون في أسرة يبلغ عدد أفرادها من 6-10 أفراد.

المحور الثاني: الإجابة على تساؤلات الدراسة

السؤال الأول هل هناك فروق دالة إحصائيا في اتجاه الشباب نحو الحراك العربي تعزى إلى متغيرات الدراسة؟

جدول رقم (2)

بين العلاقة بين متغيرات الدراسة والحراك العربي

اسم المتغير	قيمة T	درجة الحرية	مستوى الدلالة
الجنس	.462	263	.645
نوع السكن	2.362	262	.019
العمل	.737 -		.462
اسم المتغير	قيمة F	درجة الحرية	مستوى الدلالة
مكان السكن	4.314	262	.005
سكنك الحالي مع	.918	262	.433
الكلية	2.613	250	.001
طريقة القبول في الجامعة	1.346	260	.245
طريقة تمويل الدراسة	1.900	253	.111
مهنة الأب	.923	254	.430
مهنة الأم	1.824	257	.164
مستوى تعليم الأب	2.568	258	.038
مستوى تعليم الأم	3.099	259	.016
العمر	2.688	259	.070
عدد أفراد الأسرة	5.969	261	.003
دخل الأسرة	1.568	211	.184
سنة الدراسة	3.461	261	.009

ألفا: =< 0.05

يبين الجدول رقم (2) ما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات الشباب نحو الحراك العربي يمكن أن تعزى إلى متغيرات الدراسة، ويتوجب الإشارة كما هو مبين في الجدول أنه تم تقسيم متغيرات الدراسة وفقا للمقياس الإحصائي الذي تم تطبيقه عليها، حيث خضعت متغيرات الجنس ونوع السكن والعمل إلى اختبار T- TEST بينما تم تطبيق F- TEST على بقية المتغيرات.

يلاحظ بعد تطبيق اختبار T-TEST أنه لا يوجد فروق دالة إحصائيا في اتجاهات الشباب نحو الحراك العربي يمكن أن تعزى إلى متغيري الجنس والعمل، بينما كانت هناك فروق في اتجاهات الطلبة يمكن أن تعزى إلى متغير عمل الطالب.

ويمكن تفسير ذلك من خلال العودة إلى أن الاهتمام بالحراك العربي يشكل حالة لدى جميع الطلبة سواء كان ذكرا أو أنثى، وخاصة أن الشباب ووفقا لما أبرزته وسائل الإعلام (نظرية العامل التكنولوجي) كانت لهم مشاركة فاعلة في إحداث الحراك العربي ولم يقتصر هذا النشاط على فئة الذكور فقط مما قد يفسر اهتمام الشباب في الجامعة الأردنية بغض النظر عن جنسهم، وفيما يتعلق بمتغير العمل فانه يمكن أن يعزى إلى أن غالبية الطلبة ما زالت اهتماماتهم في العمل في إطار سد جزء من الحاجة أو ملء وقت الفراغ وبالتالي لا يؤثر كثيرا في اتجاهاتهم في غياب أي مسؤولية اجتماعية أو مالية.

أما متغير طبيعة السكن وما إذا كان ملكا أم إيجاريا، فقد تبين من التحليل أن هناك فروق ذات دلاله إحصائية يمكن أن تعزى إلى هذا المتغير، ويمكن تفسير هذا الاختلاف بالعودة إلى طبيعة الواقع المادي الذي يختلف بين من يسكن بيت ملكا والذي يملك بيتا للإيجار، بالإضافة إلى أن طبيعة الطالب الذي يسكن في بيت للإيجار أو بيتا ملكا، كانوا وفقا للوصف الذي تم تقديمه لخصائص العينة يعيشون في المدينة، وبالتالي فان الطالب يعيش مع أسرته في

بيئة خارج نطاقه العائلي والقرابي وبالتالي فان تنوع المكون الاجتماعي في البيئة التي يعيش فيها الطالب قد يكون من العوامل المساعدة في الاهتمام بالحراك العربي (نظرية العامل الثقافي).

أما بالنسبة للمتغيرات الأخرى التي تم تطبيق اختبار F-TEST عليها، فقد تبين أن المتغيرات التعليمية كان لها أثر في اتجاهات الشباب نحو الحراك العربي وخاصة تلك المتغيرات التي لها علاقة بـ (الكلية، ومستوى تعليم الأب، مستوى تعليم الأم، وسنة الدراسة) بالإضافة إلى متغير مكان السكن.

وفيما يتعلق بالمتغيرات التعليمية فإن اهتمام الطلبة يختلف تبعا إلى البيئة الأسرية التي تمت تنشئتهم بها حيث يعتبر المكنون العلمي للأب والأم من العوامل المهمة التي تساهم في التأثير على الأبناء وتدفعهم إلى الاهتمام بالقضايا العامة مثل الحراك العربي، خاصة أن خصائص العينة التي تم بيانها سابقا بينت اختلاف المستوى التعليمي للأب والأم وتنوعه بين المرحلة الأساسية إلى المرحلة الدراسات العليا.

أما فيما يتعلق بالكلية والسنة الدراسية للطالب، يمكن أن تعزى الفروق التي ظهرت في التحليل إلى اختلاف اهتمام الطالب تبعا لوقت الفراغ الذي يتطلبه نوع الدراسة، فلا شك إن الوقت الذي يمضيه الطالب في الكليات العلمية في الدراسة أكثر من الوقت الذي يمكن أن يحتاجه طالب يدرس في كلية أخرى، وهذا يمكن أن ينطبق على الطالب وفقا للسنة التي يدرس بها والتي ترتبط بمدى اندماج الطالب في البيئة الجامعية والتي تزداد كلما زادت سنوات الدراسة.

السؤال الثاني: هل يتوفر لدى الشباب وعي بالحراك الذي حدث في العالم العربي خلال العام 2011م وما هو مصدر معرفتهم عن الحراك ؟

جدول رقم (3)

وعي الشباب بالحراك ومصدر معرفتهم عنه

س 16 هل تتابع الحراك الذي يحدث في البلدان العربية منذ بداية العام 2011							
الإجابة	**دائما**	**أحيانا**	**لا أتابع**				
التكرار	89	148	31				
النسبة	33.2	55.2	11.6				
س 17 ما هو أول بلد عربي حدث به الحراك							
الإجابة	**تونس**	**بلدان أخرى**	**لا اعرف**				
تكرار	252	12	4				
نسبة	94.0	4.5	1.5				
س 21 محمد البو عزيزي كان سببا للحراك في							
الإجابة	**المغرب**	**تونس**	**مصر**	**سوريا**	**ليبيا**	**لا اعرف**	
تكرار	18	178	4	0	4	64	
نسبة	6.7	66.4	1.5	0	1.5	23.9	
س 18 البلدان العربية التي يحدث بها الحراك الآن							
الإجابة	**تونس**	**ليبيا**	**سوريا**	**اليمن**	**مصر**	**الاردن**	**البحرين**
تكرار	211	226	246	229	204	79	26
نسبة	17.4	18.7	20.3	18.1	16.8	6.5	2.1
س 19 مصدر معرفتك عن الحراك العربي							

الإجابة	الفضائيات	الانترنت	الصحف	الزملاء	الأهل	أخرى
تكرار	226	112	65	47	79	6
نسبة	42.2	20.9	12.1	8.8	14.8	1.1

يبين الجدول رقم (3) التكرارات والنسب المئوية لإجابات الطلبة على الأسئلة (16، 17، 18، 19، 21) والتي تشكل في مجملها الإجابة على التساؤل الثاني في الدراسة والذي يتناول وعي طلبة الجامعة بالحراك العربي من خلال معلومات عامة عن خصائص الحراك العربي الذي حصل في العالم العربي خلال العام 2011.

ويتبين من إجابات الطلبة بشكل عام في الجدول السابق إلى أن هناك تباينا في اهتمام الطلبة بالحراك العربي، حيث لا يتوفر لدى فئة قليلة منهم إجابات على أسئلة بسيطة عن الحراك، مثل السؤال رقم 21 والذي يرتبط بالتونسي محمد البوعزيزي، الذي كان موته سببا في انطلاق الحراك العربي، حيث بلغت نسبة الذين لم يستطيعوا الإجابة الصحيحة 34.6■ من أفراد العينة، مع العلم أن إجابة 94■ من الطلبة كانت صحيحة فيما يتعلق بالإجابة على السؤال رقم (17) والذي يتبين من الإجابة عليه أن فئة قليلة منهم لا يعرفون أن تونس هي أول بدل عربي حدث بها الحراك.

وفيما يتعلق بالسؤال رقم (16) فقد تبين أن 88.4 ■ من أفراد العينة يتابعون الحراك العربي ولكن بصورة متباينة حيث كانت نسبة الذين يتابعون الحراك أحيانا أكثر من نسبة الطلبة الذين يتابعونه بشكل دائم.

وإذا كانت الإجابات قد تعكس ضعفا لدى بعض الطلبة في تفاصيل الحراك العربي فان الجدول يشير إلى قدرة الطلبة على ذكر وترتيب الدول التي يحدث بها الحراك العربي خلال هذه الفترة، وهو ما يمكن تفسيره بعدم اهتمام الطلبة بالحراك خلال المراحل الأولى لانطلاقه ولكن بعد استمراره وانتشاره أصبحوا أكثر اهتمام به وبالدول التي ينتشر بها، وهذا ما يمكن أن يعكس إجاباتهم على سؤال رقم (18).

وفيما يتعلق بمصدر معرفة الطلبة عن الحراك العربي فقد تم إعطاء الطالب الحرية لاختيار أكثر من وسيلة في السؤال رقم (19)، وهو ما يمكن أن يعطينا مؤشرا على تباين اعتماد الطالب على المصادر في الحصول على المعلومات التي تتعلق بالحراك العربي، وعلى الرغم من تفرد الفضائيات بذلك فان إجابات الطلبة تعطينا مؤشرا إلى أن الطالب لا يتلقى فقط معلومات عن الحراك العربي ولكنه يشارك الآخرين في ما يتوفر لديه من معلومات وهو الذي يتبين من أعداد الطلبة الذين يعتمدون على الزملاء والأهل في الحصول على المعلومات التي لها علاقة بالحراك، كما يمكن الإشارة إلى اعتماد الطالب على وسائل الإعلام الحديثة في متابعة الحراك وهو ما يمكن ملاحظته من خلال الفرق بين الاعتماد على الانترنت والفضائيات والصحف.

السؤال الثالث: ما اتجاهات الشباب نحو الأسباب التي أدت إلى الحراك العربي ؟

جدول رقم (4)

يبين اتجاهات الشباب نحو الأسباب التي أدت إلى الحراك العربي

س	الفقرة	الوسط	الدرجة

22	الفقر سبب أساسي للحراك	4.28	موافق بشدة
23	الحراك انتشر بسرعة بسبب الشعور بالظلم وغياب العدالة	4.32	موافق بشدة
24	زيادة وعي الشعوب العربية بحقوقها من أهم أسباب الحراك	4.21	موافق بشدة
25	تطلع الأفراد إلى حياة أفضل ساهم في الحراك	4.13	موافق
26	سلوك الأنظمة العربية ساهم في الإصرار على استبدالها	4.08	موافق
27	شعور الشباب بالإهمال أدى إلى مشاركتهم في الحراك بقوة	4.08	موافق
28	تطلع الشباب لدور قيادي أدى إلى مشاركتهم الفاعلة بالحراك	3.89	موافق
29	الضغط الشعبي كان له دور حاسما في الحراك	4.17	موافق
30	أسهمت النخب في تهيئة المناخ المناسب للحراك	3.70	موافق
31	الطريقة التي تعاملت بها الأنظمة مع الاحتجاجات أدت إلى زيادة التأييد الشعبي للحراك	4.24	موافق بشدة
الجموع العام الوسط الحسابي		4.11 13	موافق

يبين الجدول رقم 4 اتجاهات الطلبة نحو الأسباب التي أدت إلى الحراك العربي، ويتبين من المجموع العام للوسط الحسابي للفقرات إلى أن اتجاه طلبة الجامعة يؤيدون الأسباب التي أدت إلى الحراك العربي فقد بلغ مجموع الوسط الحسابي للفقرات التي تتعلق بهذا السؤال 4.1113 والذي يقع وفقا للتحليل الإحصائي ضمن فئة الموافق، كما يمكن الإشارة من خلال الجدول إلى أن الفقر والشعور بالظلم وغياب العدالة والطريقة التي تعاملت بها الأنظمة مع الشعوب جاءت بمستويات متقاربة من اهتمام طلبة الجامعة حيث جاءت جميعها ضمن فئة الموافق بشدة.

ومن خلال الجدول السابق تشير الفقرة رقم 23 إلى الأسباب التي تتعلق بالظلم وغياب العدالة، والتي كانت أكثر الفقرات التي تبين فيها اتجاه الطلبة والتي حازت على وسط حسابي 4.32، وتتفق هذه النتائج مع معظم الآراء التي تناولت تحليل الحراك العربي حيث تمت الإشارة من خلال قياس الاتجاه و الرأي العام وتحليلات المفكرين إلى رغبة الشعوب العربية بالشعور بالحرية والعدالة، إضافة إلى مقولات النظرية الماركسية.

ويبين الجدول السابق كذلك أن الطلبة لم يعطوا أهمية كبيرة لدور النخب العربية في الحراك العربي قياسا بالأسباب الأخرى التي تم تناولها، وهو ما يتبين من خلال الإجابة على الفقرة 30 والتي حازت على أقل وسط حسابي مقدراه 3.70، ويتفق هذا مع ما تم الإشارة إليه في المستوى النظري إلى أن الثورات العربية بشكل عام تميزت بغياب قادة الرأي والأحزاب والنخب في التخطيط وقيادة الرأي العام، وهذا يتفق مع طروحات مارك بأن الثورة لا تقودها النخب الرأسمالية.

السؤال الرابع: ما اتجاهات الشباب نحو النتائج المتوقعة للحراك العربي؟

جدول رقم (5)

يبين اتجاهات طلبة الجامعة نحو النتائج المتوقعة للحراك العربي

س	الفقرة	الوسط	الدرجة
32	الحراك أدى إلى رفع مستوى الحرية في العالم العربي	3.64	موافق
33	تسبب الحراك بحالة من الفوضى وانعدام الأمن في البلدان العربية	3.92	موافق
34	الحراك ساهم في تغييب القضية الفلسطينية عن الساحة العربية	3.90	موافق
35	الأنظمة الجديدة أكثر تبعية للدول الغربية من الأنظمة التي سبقتها	3.62	موافق
36	الحراك سيزيد من الرفاهية الاجتماعية للإفراد	3.18	محايد
37	الحراك ساهم في زيادة الإصلاحات في بلدان عربية أخرى	3.88	موافق
38	سيؤدي الحراك إلى زيادة دور الأحزاب في الحكم	3.77	موافق
39	الحراك سبب في انقسام الشعوب العربية	3.44	موافق
40	الحراك سبب أساسي في عودة الجماعات الدينية للحكم	3.63	موافق
41	الحراك سبب في تأخر التنمية والخسائر الاقتصادية	3.56	موافق

المجموع العام للوسط الحسابي	3.65	موافق

يبين الجدول رقم 5 اتجاهات الطلبة نحو النتائج المتوقعة للحراك العربي، والذي يتبين من المجموع العام للوسط الحسابي للفقرات إلى أن طلبة الجامعة يوافقون على النتائج التي يمكن أن يسفر عنها الحراك العربي، وقد بلغ المجموع العام للوسط الحسابي 3.6534 والتي تقع وفقا للتحليل الإحصائي ضمن فئة الموافق.

يتبين من خلال الجدول أن الفقرة رقم 33 والتي تشير إلى أن الحراك تسبب بالفوضى وانعدام الأمن حازت على أكبر وسط حسابي بمقدار 3.90، وتشير هذه النتيجة إلى متابعة الطلبة من خلال وسائل الإعلام والتكنولوجيا الحديثة لما حدث في البلدان العربية بعد انطلاق الحراك حيث تعاني كل من تونس ومصر وليبيا وسوريا لغاية الآن بحالة من الفوضى وانعدام الأمن، وتتفق هذه النتيجة مع ما جاء في الإجابة على مدى وعي الطلبة بالحراك، حيث كانت غالبيتهم ممن تابعوا الحراك العربي.

ويبين الجدول السابق كذلك أن اتجاه الطلبة كان محايدا فيما يتعلق بالرفاهية الاجتماعية الذي يمكن أن تنجم عن الحراك العربي، فقد كان الوسط الحسابي للفقرة رقم 36 قليلا وقد بلغ 3.18، قد يعود سبب ذلك إلى حالة الفوضى وعدم الثقة بما يتابعه الطلبة في العالم العربي وخاصة في البلدان التي سقطت فيها الأنظمة، خاصة أنهم أشاروا في إجاباتهم إلى أن الأنظمة الجديدة ستكون أكثر تبعية للغرب وفقا ما جاء في الإجابة على سؤال رقم 35. وهذا يتفق مع ما جاء به عبد الإله بالقزيز حول النتائج المتوقعة للحراك العربي.

وبالعودة إلى الإطار النظري يمكن تفسير اتفاق الطلبة على أهمية الصراع العربي الإسرائيلي وصعود التيارات الإسلامية، فالنتيجة التي تتبين في الجدول السابق لهذه المؤشرات تتفق مع الاتجاهات العامة التي تتعلق بهذه القضايا، حيث تشير معظم الاتجاهات والآراء إلى أن الحراك العربي سيؤدي إلى صعود الحركات الدينية وهو ما تم فعلا على أرض الواقع في كل من مصر وتونس لغاية الآن.

السؤال الخامس: ما اتجاهات الشباب نحو تأثير القوى الخارجية في إحداث الحراك العربي؟

جدول رقم (6)

يبين اتجاهات الشباب نحو تأثير القوى الخارجية في أحداث الحراك العربي

س	الفقرة	الوسط	الدرجة
42	للدول الكبرى دور مهم في دعم الحراك	3.88	موافق
43	ساهمت بعض الدول العربية بطريقة غير مباشرة في الحراك	3.76	موافق
44	مشاركة الدول العربية بمساعدات عسكرية وإنسانية تعتبر مشاركة مباشرة في الحراك	3.67	موافق
45	دعم الدول الكبرى ساهم في إصرار الشعوب على الاستمرار في الحراك	3.64	موافق
46	أيدت بعض الدول العربية لحراك العربي بسبب خلافاتها مع الأنظمة في البلدان التي حدث بها الحراك	3.45	موافق

47	ساهمت منظمات المجتمع المدني الممولة من الخارج بتهيئة المناخ المناسب للحراك	3.56	موافق
48	الحراك وتغيير الأنظمة سيسهل على الدول الكبرى التدخل في الوطن العربي	3.63	موافق
49	الدول الكبرى ستساهم في فرض أنظمة جديدة تتفق مع مصالحها	3.76	موافق
50	ساهم التمويل الخارجي في استمرار الحراك ونجاحه	3.58	موافق
مجموع الوسط الحسابي		3.6548	موافق

_يبين الجدول رقم 6 اتجاهات الطلبة نحو تأثير القوى الخارجية في أحداث الربيع العربي، والذي يتبين من المجموع العام للوسط الحسابي للفقرات إلى أن طلبة الجامعة يوافقون على أن هناك تدخلا من قوى خارجية في التأثير بمجريات الحراك العربي، سواء كان هذا التدخل بطرق مباشرة كالتدخل العسكري، أو بطرق غير مباشرة من خلال التمويل والدعم السياسي للثوار، وقد بلغ المجموع العام للوسط الحسابي 3.6548 ويقع وفقا للتحليل الإحصائي ضمن فئة الموافق.

يتبين من الجدول السابق أن الوسط الحسابي الأكبر كان للفقرة رقم 42 والتي أشارت إلى دور الدول الكبرى في دعم الحراك العربي حيث بلغ الوسط الحسابي لها 3.88، بينما كان الوسط الحسابي الأقل للفقرة رقم 46 والتي كان الوسط الحسابي لها 3.45. وهذا ما يتفق مع ما جاء به بشير عبد الفتاح (2011) حول دعم القوى الخارجية للحراك العربي.

السؤال السادس: ما اتجاهات الشباب نحو دور التكنولوجيا الحديثة في الحراك العربي؟

جدول رقم (7)

يبين اتجاهات طلبة الجامعة نحو دور التكنولوجيا الحديثة في الحراك العربي

	الفقرة	الوسط	الدرجة
51	لعبت الفضائيات دورا مهما في تشجيع الحراك واستمراره	4.52	موافق بشدة
52	لم تكن الفضائيات محايدة في تغطيتها للحراك	3.89	موافق
53	ساهمت الفضائيات في زيادة وعي الشعوب ورفع سقف المطالبة بحقوقها	4.03	موافق
54	تميز الحراك باعتماده على الانترنت في نشر أفكاره	4.11	موافق
55	تميز الحراك العربي باعتماده على التكنولوجيا الحديثة مثل الانترنت والفيسبوك لتأييد الجماهير	4.31	موافق بشدة
56	غياب الإعلام الرسمي أدى إلى الاعتماد على الإعلام الخارجي كمصدر للمعلومة في الحراك	3.80	موافق
	مجموع الوسط الحسابي	4.10	موافق

	9	

يبين الجدول رقم 7 اتجاهات الطلبة نحو دور تكنولوجيا الاتصال الحديثة في الحراك العربي، والذي يتبين من المجموع العام للوسط الحسابي للفقرات أن اتجاه طلبة الجامعة يميل إلى الاتفاق على أن وسائل الاتصال الحديثة لعبت دورا مهما في الحراك العربي، فقد بلغ المجموع العام للوسط الحسابي 4.1090 والتي تقع وفقا للتحليل الإحصائي ضمن فئة الموافق.

وبالعودة إلى الفقرات التي تم وضعها للتعبير عن هذا المؤشر، فقد حازت الفقرة رقم 51 و55 على أكبر متوسط حسابي، والذي يشير إلى اتجاهات طلبة الجامعة الأردنية للاتفاق بدرجة موافق بشدة على دور وسائل الاتصالات الحديثة من فضائيات وانترنت في المساهمة في الحراك العربي، وتتفق هذه النتيجة مع ما جاء في الجدول رقم 3 والذي تمت الإشارة من خلاله إلى أن طلبة الجامعة شكلوا معلوماتهم بصورة أساسية من خلال وسائل الاتصالات الحديثة التي تتمثل بالانترنت والفضائيات.

وتتفق هذه النتائج في مجملها مع ما جاء في الإطار النظري من دور وسائل التكنولوجيا الحديثة في تشكيل الاتجاه والرأي عام فيما يتعلق بالحراك العربي، حيث لعبت القنوات الفضائية والانترنت دورا مهما في التواصل بين الشباب المشتركين في الحراك العربي من خلال مساهمتها في التنسيق بينهم.

وللتدليل على أهمية هذه التكنولوجيا في الحراك العربي، يمكن العودة إلى الإجراءات الرسمية التي رافقت الحراك العربي في كل من

تونس ومصر، والتي تمثلت بقطع خطوط الاتصال وإيقاف شبكات الانترنت وعدم السماح للقنوات الفضائية بالتغطية.

جدول رقم(8)

ترتيب بعض القنوات الفضائية حسب تغطيتها للحراك العربي

القناة الفضائية	المرتبة الاولى	المرتبة الثانية	المرتبة الثالثة	المرتبة الرابعة
الجزيرة	**193**	36	9	16
العربية	43	**162**	14	33
سي إن إن	12	22	**131**	81
بي بي سي	17	27	90	**112**

ويمكن ربط نتيجة هذا السؤال مع الجدول رقم 8 والذي يوضح أهم الفضائيات التي اعتمد عليها الطلبة في متابعتهم للحراك العربي، والتي يمكن من خلالها ملاحظة أن الجزيرة احتلت المرتبة الأولى تلتها قناة العربية ومن بعدها جاءت السي ان ان ومن ثم البي بي سي.

وفي ضوء ما تقدم، وبالعودة إلى الواقع العربي يمكن الإشارة إلى عدد من المؤشرات الواقعية التي ارتبطت بالحراك والتي يمكن تفسيرها من خلال الإطار العام للنظريات التي تمت الإشارة إليها سابقا، حيث يتميز الإطار العام للحراك العربي بتباين التحليلات التي تناولت الأسباب والدوافع والمطالب التي رافقته، وقد تنوعت هذه المطالب، حيث كانت تبدأ بالمطالبة بالإصلاح والديمقراطية للوصول إلى قيام الدولة المدنية، بالإضافة إلى النقمة الشعبية المتراكمة ضد الأنظمة بسبب الغضب المتراكم والناجم عن الفساد والبطالة والفقر وهشاشة الأمن

الاجتماعي والإنساني والحرمان الاجتماعي والسياسي والإهانة والإذلال وانعدام الحريات وصولا إلى حالة من عدم وضوح الرؤية في تحديد الأوضاع التي تعيشها.

ولعل مؤشرات الواقع الذي تعيشه البلدان العربية والذي بدأت تعبر عنه المنظمات العالمية من خلال التقارير الإحصائية والنوعية يشير إلى اختلال وتراجع في جهود الدولة لتلبية الاحتياجات الأساسية لوجود الإنسان والحفاظ على إنسانيته، بل أن بعض من مؤشرات الفساد أوصلت الشارع العربي إلى قناعة بأن هناك جهود مبذولة وتم تمويلها من أموال الشعب هدفت إلى سلب الشباب العربي مقدراته وتحطيم أحلامه وإبقاءه في قالب معين يتسم بالتخلف والتراجع والحاجة والحرمان والبطالة، فقد ورد في تقرير حالة سكان العالم 2011م ربط بين حالة البطالة التي تنتشر بين الشباب وبين الحراك العربي – **وفي عام2011، وفي خضم الثورات التي اجتاحت شوارع البلدان العربية، أشارت منظمة العمل الدولية أيضاً إلى أن معدل البطالة بين الشباب في البلدان العربية الذي بلغ 23.4 كان من العوامل الرئيسية التي ساهمت في تلك الانتفاضات.**– (صندوق الأمم المتحدة للسكان، 2011: 12.).

وعلى الرغم من طبيعة الجانب الاقتصادي لمفهوم البطالة إلا أنه يرتبط وبصورة قوية بمفهوم الفقر، حيث شكلا مع بعضهما حافزا دفع بغالبية المشاركين إلى المساهمة في الحراك العربي سعيا لإيجاد بيئة جديدة تساهم في الحد من مؤشرات الفقر والبطالة، ويعتبر التحليل المتعمق البطالة والفقر مؤشرات حقيقية تعطينا صورة حقيقة عن واقع الشباب العربي، فارتفاع مؤشرات الفقر والبطالة يشكل إهدارا لطاقة عنصر العمل، والذي يقود إلى تهديدا للاستقرار السياسي والاجتماعي

ويساهم في إيجاد البيئة الخصبة لنمو التطرف السياسي والعنف الجنائي، فالبطالة ليست مجرد تعطيل لأحد عناصر الإنتاج وأكثرها فعالية، فضلا عن طبيعته الإنسانية التي تجعل لتعطله أبعادا سياسية واجتماعية، وليس مجرد البعد الاقتصادي (النظرية الماركسية) فقط، الذي تعد معالجته أسهل كثيرا من معالجة الأبعاد السياسية والاجتماعية للتعطل، ويمكن القول إجمالا أن ارتفاع معدلات البطالة في البلدان العربية يشكل إهدارا لعنصر العمل العربي الذي يشكل العنصر الأكثر فعالية من بين كل عناصر الإنتاج. (النجار،2006: ص**11**)

كما أن غياب الحرية، والديمقراطية، وشيوع الفساد، والاستبداد وظروف الفقر في معظم الدول العربية، قد شكلت مجتمعة البيئة الخصبة لنمو وانتشار الأفكار الثورية. و لصعود جماعات الإسلام السياسي في البلاد العربية، وصراعها المرير مع القوى والجماعات المغايرة بأيدلوجيتها والخلافات العميقة حول كثير من القضايا السياسية، والاجتماعية، والدنيوية والدينية، وملاحقتها ومحاربتها بقسوة من قبل الأنظمة السياسية الحاكمة، وتضييق الخناق عليها، وحرمانها من أبسط حقوقها، فسح المجال لإحداث تغيير في البلاد العربية، وهذا ما ينطبق على بقية الجماعات الأخرى في البلاد وما عاشته الشعوب العربية، وما مورس عليها من تزييف الوعي، وسيادة العلاقات المزيفة بينها وبين الصفوات الحاكمة التي بدورها حرمت شعوبها من حقوقها في المشاركة السياسية والمساواة، والعدالة الاجتماعية والاقتصادية، ومن ممارسة الديمقراطية، وإبقائها تعيش في ظروف اقتصادية واجتماعية صعبة. في الوقت الذي أفرطت الأنظمة السياسة العربية في ممارسة احتكار السلطة دون مبررات شرعية، وارتكاب أبشع جرائم الإنسانية في تصفية

المعارضين وطالبي الحرية من الشعوب، ونهب أموالهم، إنها أنظمة جعلت من التمرد والثورة عند الشباب العربي أمرا حتمياً وسمة سيكولوجية قد تشكلت عبر زمن طويل من المعاناة والحرمان (بني سلامة،و خطايبة،2010: ص).

التوصيات:

في ضوء النتائج السابقة نقدم التوصيات النظرية والعملية الهامة التالية، والتي تركز على أسباب الحراك، ونتائجه ودور وسائل الإعلام والاتصال، ودور القوى الخارجية:

1. ضرورة بذل الجهود لمعالجة العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتشريعية التي تقف وراء ظاهرة الحراك الشعبي العربي كالفقر والبطالة، والظلم، وغياب العدالة والحرية والمساواة.

2. دعوة المؤسسات الاجتماعية، والدينية، والإعلامية والأكاديمية إلى تبني إستراتيجية علمية للتعامل مع الحراك الشعبي وللتخفيف من أثارة الاجتماعية على المجتمع، بما يكفل التحول التدريجي إلى الأسلوب الديمقراطي في الحكم.

3. معالجة ظواهر الفساد والمحسوبية في مؤسسات المجتمع لأنها تساهم في انتشار الحراك والتمرد بين الأفراد، وتطوير دور الأسرة في ترسيخ الانتماء والولاء والمواطنة تجاه الأسرة والمجتمع.

4. ضرورة تبني استراتيجيات إعلامية لمراقبة وفلترة المحتوى الإعلامي عبر الفضائيات

5. توعية الشباب بأهمية الاستخدام الصحي لوسائل الاتصال الحديثة، بما لا يؤثر على امن واستقرار المجتمع.

6. لفت انتباه الشعوب العربية بأن هناك قوى خارجية لها دور كبير ومصلحة فيما يحدث من حركات شعبية، قد تهدد امن مجتمعاتهم.

7. توعية الشعوب العربية بالآثار السلبية المتوقعة للحراك الشعبي على مجتمعاتهم، في ظل مشاهداتهم لتجارب الدول العربية الأخرى (مصر، اليمن، تونس، ليبيا، سوريا) حيث الفوضى وانعدام الأمن.

8. إجراء دراسات مماثلة على مجتمعات مغايرة وبأطر نظرية وبمنهجيات وأدوات مختلفة، وأسئلة أكثر تعمقا للكشف عن وعي الشباب بالحراك العربي، خدمة للمكتبة العربية والعالمية.

المراجع:

المراجع العربية:

- النجار، احمد (2006). الاتجاهات الاقتصادية في الوطن العربي، في كتاب: متطلبات الإصلاح في العالم العربي، مؤسسة عبد الحميد شومان- عمان و المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- بشارة، عزمي (2011)، في الثورة والقابلية للثورة، قطر: مركز الدوحة للدراسات .
- بلقزيز، عبد الإله (2011)، أسئلة عن الثورة لم نتنبه إليها قبلا: قضايا ومناقشات. أربع ثورات في كل ثورة. الجيل الذي أخطأنا اكتشاف طاقاته، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- بني سلامة، محمد و الخطايبة يوسف (2010). مستقبل جماعات الإسلام السياسي ومواقف الدول العظمى منها، أبحاث اليرموك: سلسلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 27، العدد 1. عمان، الأردن.
- بني فياض، يحيى (2008)، ظاهرة التطرف الفكري ومظاهرها لدى طلبة الجامعة الأردنية وعلاقتها بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية والأكاديمية، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

ـ توفيق المدني، وآخرون، (2011) الربيع العربي إلى أين؟ أفق جديد للتغيير الديمقراطي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

ـ الحروب، خالد (2011) الثورات العربية والنظام العربي: التفكيك وإعادة التركيب، مجلة شؤون عربية، العدد 146، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.

ـ حنفي، ساري (2011) ثورتا الياسمين والميدان: قراءة سوسيولوجية، مجلة إضافات،ع 13.ص:4-10

ـ الدقس، محمد (2005). التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

ـ راشد، سامح (2011). شرق أوسط جديد قديم..الخريطة الإقليمية في عصر الثورات، مجلة شؤون عربية، العدد 146، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.

ـ رشوان، حسين (2011). التطرف والإرهاب من منظور علم الاجتماع. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

ـ صندوق الأمم المتحدة للسكان، تقرير حالة سكان العالم 2011.

ـ عبد الجابر، تيسير (2006). متطلبات الإصلاح الاقتصادي، من كتاب: متطلبات الإصلاح في العالم العربي، مؤسسة عبد الحميد شومان ـ عمان والمؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت.

ـ عبد الرحمن عبد الله (2002). سوسيولوجيا الاتصال والإعلام، دار المعرفة الجامعية ـ الازاريطة.

ـ عبد الفتاح، بشير (2011) أمريكا والربيع العربي، مجلة شؤون عربية، صيف 2011، العدد 146، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.

ـ لبيب، الطاهر (2005). عودة إلى المسألة اللغوية، في كتاب: النهوض العربي ومواكبة العصر، مؤسسة عبد الحميد شومان – عمان والمؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت.

ـ مركز الدراسات الإستراتيجية (2011)، حالة الديمقراطية في الأردن، الجامعة الأردنية، عمان.

ـ المهدلي، محمد (بدون سنة نشر) المدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي،المكتب الجامعي الحديث، الازاريطة.

ـ الهر، محمود (2011) الحركات الاجتماعية والفرصة السياسية، المجلة العربية للعلوم السياسية: مركز دراسات الوحدة العربي، بيروت.ص:159-188

المراجع الأجنبية:

- Aristotle, politics, (2000) Translated by Benjamin jowett with introduction, Analysis, and Index by H.W.C. Davis, (Dover publications Inc., Mineola,NY,pp 188.
- Brinton. C., Anatomy of Revolution, (NY:vintage book:1995)
- Friedrich. C.J , Revolution , (NY:Atherton:1996)
- Lawrence Pintak, (2011) Breathing room toward a new Arab media, Columbia journalism review, may/june.
-Martin Lipset. Symour, Revolution AND Counter: change and persistence in social structures,)New Brunswick and oxford: Transaction BookK 1988)
- Thomas S.kuhn ,(1996) The Structure of Scientific Revolution ,3 Edition. (Chicago and London: The university of Chicago press, , pp.92

الإدارة المدرسية و قيادة التغيير : نحو ثورة تنظيمية جديدة

صغير جميلة
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية

ملخص:
الثورة هي تلك الجهود المبذولة لتغيير الأوضاع القائمة في المجتمع، ولأن المدرسة إحدى أهم تنظيماته نظرا للأدوار التي تقوم بها، والتي تهدف إلى الحفاظ على المجتمع وضمان استمراريته من خلال تكوين الفرد الواعي ذو الإرادة القادر على التغيير، فإن هذه المدرسة توجد على رأسها إدارة مسؤولة عن متابعة ذلك البناء لتوصله إلى ما ينشده المجتمع، ولأن التغيير سمة الحياة فهناك دعوات لإحداث ثورة تنظيمية في بنية المدرسة، وما الإضرابات والحركات الاحتجاجية إلا مظاهر تدل على الحاجة للتغيير، من هنا كان اختيارنا لموضوع الإدارة المدرسية وقيادة التغيير.

مقدمة:

تتجه الجهود نحو التنمية الإدارية للعاملين في ميدان التعليم، وتفرض البيئة الإدارية نفسها موضوعا للبحث والدراسة، وذلك لأهميتها في تهيئة المناخ المدرسي لرفع كفاءة أداء العاملين وزيادة إنتاجهم، وعندما نقدم على دراسة المناخ المدرسي يتجه النظر إلى أهمية دراسة القيادة المدرسية، فالمدرسة في اضطلاعها بوظيفتها وتأديتها لرسالتها لا تعني مجرد مناهج ومقررات دراسية، ولكنها أولا وقبل كل شيء كيان حي، يتكون من جماعة إنسانية تضم التلاميذ والمعلمين والموظفين والقائمين على إدارتها، وتشير دلائل كثيرة إلى أن قدرة المدرسة على تحقيق أهدافها مرهونة بقدرة وفاعلية القائمين على قيادتها وإدارتها، حيث يرى (ديموك Dimmock) -أن كفاية وفاعلية النظام التعليمي يمكن أن تتحقق فقط إذا كانت للمدرسة إدارة وقيادة تتمتع بالكفاءة والفاعلية-

ويؤيد (أوجن Owen) وجهة نظر ديموك ويضيف -أن القيادة المدرسية أهم عنصر في العملية التعليمية، فهي المسؤولة عن المدرسة وعن كيانها ونظامها والعمل والحياة داخلها- (دافيز، ب، إليسون، ل. 2004: 10)، فالعملية الإدارية ليست مجرد تسيير للأعمال أو ممارسة للرئاسة، بل هي عملية قيادة بالدرجة الأولى، وقدرة على التأثير في الآخرين وحفزهم لإنجاز أهداف المؤسسة التربوية وأولوياتها، والسعي الدائم لتطويرها، وفي الوقت نفسه ممارسة أخلاقية تلتزم بمجموعة من القيم التي لا يمكن الاستغناء عنها، فالسلطة الإدارية وحدها، قد ترغم العاملين على الطاعة ولكنها لا تحفزهم ولا تبعث فيهم الحماس والتفاني والإبداع و الانتماء.

وإذا كان مفهوم القيادة قد عرف تطورات تماشيا مع التغيرات التي عرفتها المجتمعات والذي سنأتي على ذكره لاحقا، فإنه ونحن في الألفية الثالثة فإن القيادة المطلوبة هي قيادة التغيير والتي تتميز بأنها قيادة إستراتيجية، وهنا يشير دان كوهن إلى أن التغيير يعد من أصعب التحديات التي تواجه المنظمات المعاصرة باختلاف أهدافها واستراتيجياتها ويواصل بأنه من علامات الصحة في أي منظمة هو أن تكون في كل الأوقات والظروف على درجة مناسبة من إلحاحية التغيير، وأن تدرك أن التغيير ليس عملية وقتية أو حدثا طارئا له بداية ونهاية زمنية، وإنما هو عملية مستمرة ودائمة وأن هذا هو الضمان لاستمرارها ووجودها ونجاحها الدائم في المنافسة(أنظر دان كوهين،أسس التغيير التنظيمي)، لذا فإن تزامن الاهتمام بدراسة طبيعة قيادة التغيير في المؤسسات التعليمية يأتي مع الاهتمام بحركة إعادة الهيكلة والإصلاح التربوي في المدارس من جهة، ومع التوجه نحو مزيد من اللامركزية في تطبيق منحى- المدرسة وحدة أساسية للإدارة -.

وانطلاقا من هذا فإن دور مدير المدرسة قد تطور خلال العقد الأخير من مدير تعليمي مسؤول عن إدارة الشؤون التعليمية في مدرسته إلى قائد مسؤول عن إحداث التغيير في مؤسسته التربوية، يعتمد على نوع مختلف من القوة لا يفرض من أعلى، وإنما يبرز من خلال العمل الجماعي مع الآخرين، ومساعدتهم على إيجاد معنى أكبر وأعمق لعملهم ، والعمل على حل المشكلات المدرسية، وصنع القرار بطريقة تشاركيه، هذا الفعل التشاركي لابد أن ينطلق من شبكة اتصال متكاملة ومتناسقة، ولا يمكن للاتصال أن يحقق الهدف التعاوني إذا لم يتحقق التوازن بين الاتصال الرسمي وغير الرسمي، فمن خلال العملية الاتصالية يستطيع المدير خلق الحماس لدى العاملين معه للتغيير، وجعلهم يدركون الغايات الرئيسية التي تسعى المدرسة إلى تحقيقها، ومساعدتهم في فهم الدور الاجتماعي الأشمل للمؤسسة التعليمية، والذي تشتق منه الرؤية المشتركة بخصوصها، هذه الرؤية التي تعتبر أمرا مهما في أي عملية تغيير وبعدا من أبعادها، لأنها البوصلة التي توضح الاتجاه والطريق الذي تسير عليه المدرسة، وتحفز العاملين على اتخاذ إجراءات ليست بالضرورة في مصلحتهم في الأجل القريب، وتساعد على التنسيق، لأنه بدون رؤية مشتركة يختلف الأفراد باستمرار حول ما يجب أن يفعلوه .

وإذا كانت الرؤية المشتركة أحد أبعاد قيادة التغيير، فإن تعزيز أساليب حل المشكلات جماعيا وصناعة قرارات تشاركيه يعتبر بعدا آخر لها وهو مرتبط بالبعد الأول، لأنه من سمات الرؤى الفعالة أن تكون واضحة بما يكفي لإرشاد عملية صنع القرارات، هذه القرارات التي تتنوع بتنوع الأعمال والأنشطة المدرسية والتي تندرج ضمن مجالات ثلاث هي المجال الإداري والمجال الفني ومجال العلاقة مع المجتمع المحلي. لذا فإن هيكلة التغيير تتضمن تهيئة البنية التحتية المناسبة لدعم المبادرات التجديدية

التطويرية وتحسين بيئة العمل وظروفه بما يتيح فرصا حقيقية لأعضاء المدرسة للمساهمة في حل المشكلات بصفة جماعية وصنع القرارات المتعلقة بقضايا تهمهم وتؤثر عليهم، لأن عملية صنع القرار تعني في ذاتها جهدا مشتركا لأكثر من فرد، وليست بأي صورة جهدا فرديا لشخص معين مهما كان موقعه في الهيكل الإداري للتنظيم، ويكون اشتراك العاملين على درجات تبدأ من السماح بتقديم اقتراحات في أمور بسيطة، إلى الانتساب إلى اللجان، إلى الاشتراك التام في القرارات الكبرى، لذا وتماشيا مع التغيرات التي عرفتها المجتمعات فهناك دعوة لضرورة إحداث ثورة في البنية التنظيمية للمدارس، والتي من متطلباتها الارتكاز على مفهوم القيادة وليس الإدارة . فلماذا التغيير وما علاقة القيادة المدرسية به وكيف يكون تغييرا فعالا في مدارسنا؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال دراستنا.

1-الثورة التنظيمية:

مع تتابع الحركة التاريخية ظل الفكر الإنساني يتأرجح بين التيارات المحافظة والتحررية منذ نهاية عصر الحضارة الرومانية وصولا إلى القرن الثامن عشر ، ليتميز هذا القرن حتى نهاية القرن التاسع عشر بانبعاث التيارات الليبرالية و الراديكالية، حيث انتشرت أفكار التطور والتغير تحت تأثير اتجاهات ثورية تؤيد التغير من أجل إعادة البناء والاستقرار الاجتماعي، أو على الأقل التوصل إلى صيغة جديدة تحقق التوازن لتفادي تفكك المجتمعات وانهيارها، كما أن أهم ما يميز هذه الفترة هو حركة التصنيع وهنا يشير (شنيدر) إلى أن التصنيع هو المصدر الرئيسي لكل تغير يطرأ على بناء المجتمع ونظمه و الجماعات المكونة له والعلاقات والروابط السائدة بين أفراده (سعدون، ي.2005: 7) ، فقد أدت الحركة الصناعية إلى تغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية، صاحبها ارتفاع في معايير التعليم والإنجاز وانتشار الوعي السياسي والاتجاه نحو

التفكير العلماني وتغير نظام الأسرة وازدياد معدل التنقل الاجتماعي، كل هذا كان عاملا أساسيا في ظهور ما يسمى بالعصرية وأهم ما تنطوي عليه العصرية هو نمو عدد هائل من التنظيمات الكبيرة والمعقدة، والتي لا تعتبر مجرد بناءات تضم أعدادا ضخمة من الآلات والأدوات المادية البالغة التعقيد والحجم، ولكنها مواقع محددة تتبلور فيها علاقات العمل وتأخذ شكلا ومضمونا اجتماعيا خاصا، نتيجة لاعتمادها على القوة البشرية التي تؤدي بدورها إلى وجود تنظيم إنساني داخل هذه البناءات وبالإضافة إلى ذلك فإن أهم ميزة في العصرية والتي أدت إلى نمو ظاهرة التنظيم في المجتمع الحديث هي التمايز والتباين، حيث يعد التباين أهم عامل في الثورة التنظيمية الحديثة، لأنه يسمح من جهة بإقامة وحدات اجتماعية جديدة تهدف إلى أداء وظائف متخصصة، ومن جهة أخرى أن هذه الوحدات تقام بصورة مقصودة .

ومع حركة التصنيع وما رافقها من تغيرات، ظهرت الحركات الاجتماعية بما تتضمنه بداخلها من حركات ومنها الحركة النقابية، ومع انفصال الحركة النقابية عن الحركات الاجتماعية في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، باعتبار الأخيرة حركة ذات أهداف أكثر شمولية، أصبحت مطالب الحركة الأولى أكثر تحديدا ووضوحا نظرا لتركيزها على واقع تنظيمي معين، فقد أظهر قادة كل من الحركة الفرنسية والبريطانية في البداية عدم ثقتهم في الإصلاح الذي تقوم به الحكومة، بحيث تفطنت هاتين الحركتين إلى الحقيقة التي مؤداها أن الصراع الطبقي قد وضع العمال في موقف كفاح ضد أشكال الاستغلال الرأسمالي والقهر الفيزيقي والذهني الذي لا يمكن التخلص منه إلا من خلال كفاح الطبقة العاملة التي تسعى إلى نزع الملكية من الطبقة الرأسمالية المستغلة، ونظرا لخطورة النشاطات التي تقوم بها النقابات داخل التنظيمات، من خلال تهديدها باللجوء إلى الإضراب بغية تغيير الواقع

التنظيمي، فقد سارعت التنظيمات الرأسمالية الاحتكارية إلى ممارسة الضغوط عليها بقصد تشتيت جهودها أو استقطابها لصالحها، وكانت النتيجة المترتبة عن ذلك هي أن العمال كأفراد وجماعات أصبحت تربطهم علاقات خضوع كما هو الحال في بريطانيا والسويد وألمانيا، فقد تغير نشاط الحركة النقابية من الدفاع عن حقوق الطبقة العاملة إلى مساندة أصحاب المشروعات الرأسمالية، من خلال اندماجها في أجهزة صنع القرار ومشاركتها في الجهاز التنفيذي للدولة، وهو ما جعل الماركسيين يصفون الحركة الاندماجية لنقابات العمال بأنها -عبارة عن بناء إيديولوجي زائف، ومن ثم قرروا بأن هذه الحركة لا تعكس طبيعة الظروف السائدة داخل المجتمع، بل أن مهمتها الأساسية هي ضمان الانسجام الطبقي تحت حماية الدولة الرأسمالية الاحتكارية- (سعدون، ي.2005 : 12-14)

لقد كانت الحركة النقابية وما انجر عنها عاملا في دفع الباحثين في مجال التنظيمات إلى الاهتمام بقضايا التغير، بعدما كانت أبحاثهم تتركز في القضايا التي لها علاقة بمعايير الرشد والكفاية والفعالية، وهو ما أدى بالباحثين في علم اجتماع التنظيم إلى محاولة إبراز التناقضات التي تعبر عن ضرورة تغير الواقع التنظيمي الحالي واستبداله بواقع تنظيمي جديد يستجيب لطموحات الطبقة العاملة، وهنا يؤكد وليم ديلاني (W Delany) -أن النظام الذي يوجد في المجتمع اليوم سوف يتغير بالضرورة، ويرجع ذلك إلى التناقضات والتعارضات القائمة في البناء البيروقراطي ذاته، بحيث يصبح من الضروري أن نبحث خلال هذه المرحلة في شكل التنظيم الذي سيظهر بعد البيروقراطية-(محمد علي،م،دس:40)، ويوازي هذه التغيرات البنائية في المجتمع تغيرات ثقافية واسعة النطاق، وقد كان ماكس فيبر أول من أعطى مثالا عن ذلك من خلال دراسته لأسباب نشوء الرأسمالية في غرب أوروبا

معتمدا في تفسيره على أن -الظروف الإقتصادية ليست هي القوة الدافعة في الحياة الاجتماعية ولكن روح المجتمع هي التي تسير تلك الحياة- (كعباش، ر. 2007:64) ولأن المدرسة إحدى تنظيمات المجتمع يرى (هارجريفزHargreaves) أن البنية التنظيمية الحالية للمدارس قد عفا عنها الزمن، لذا يقترح ضرورة وضع بنية تنظيمية جديدة للمدارس، بحيث تكون مزودة بتكنولوجيا التفاعل والاتصال التي ستكون أهم خواص القرن الواحد والعشرين، فإذا كانت المصانع التقليدية في طريقها للاندثار، فلماذا الإصرار على قبول البنية التقليدية للمدارس، فمنذ القرن التاسع عشر والبنية التنظيمية للمدارس تحدث بطريقة تشبه مصانع تلك الحقبة، على الرغم من أن البنية التنظيمية الحالية للمدارس قد تغيرت إلى حد ما، إلا أن الأمر يتطلب ضرورة إحداث التغيير، لذا يطالب البعض بأن تكون للمدارس بنية تنظيمية خالية من العيوب بحيث تكون شبيهة بصناعة الطائرات، فتحطم طائرة يصاحبه سلسلة طويلة وجادة من التحقيقات، لذلك حان الأوان لأن يكون هناك اهتمام كبير بتحطم المدارس وتؤخذ بجدية، ولن يتحقق هذا الاهتمام إلا بتكوين بنية تنظيمية جديدة للمدرسة بوصفها مدرسة وليست مصنعا أو مستشفى (دافيز، ب ، إليسون ل. 2004: 153،154)، ليضيف (جون فارفك) أن الألفية الثالثة تتطلب القيادة وليست الإدارة إذا أريد إصلاح الإدارة المدرسية وتطويرها مستقبلا، حيث أن دور القيادات المدرسية سوف يكون كبيرا وخصبا في السنوات القادمة، فقيادات المدرسة الابتدائية مطالبة على سبيل المثال بأن تكون لديها القدرة على توجيه مجلس إدارة المدرسة نحو تحديد أولويات العمل، وقيادات المدرسة الثانوية مطالبة على سبيل المثال بأن تكون على دراية بالإصلاحات التي تحدث على مستوى المدرسة المتوسطة (دافيز، ب ، إليسون، ل. 2004: 154)، كل هذا كان له الأثر الحاسم في تطور الاهتمام بالتغيرات

التنظيمية، من خلال الكشف عن حقيقة التغيرات والأبعاد التي اتخذتها فيما بعد، وهو ما أدى إل السعي والبحث في منحى إجراء التغير التنظيمي.

2 - منحى إجراء التغير التنظيمي:

يعرف معجم العلوم الاجتماعية التغير الاجتماعي على أنه كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، وينظر علماء الاجتماع إلى التغير على أنه ظرف أو شرط عادي للمجتمع، أما التغير التنظيمي فهو إحداث تعديلات في أهداف وسياسات الإدارة أو في أي عنصر من عناصر العمل التنظيمي، وقد يكون التغير استجابة لضغوط خارجية أو لهدف حل مشكلات ذاتية (سعدون، ي. 2005 :4-6) وإذا كانت جهود قيادة التغيير في المدرسة تشمل جانبين رئيسيين هما الجانب التنظيمي من خلال إحداث تغييرات في البناء الرسمي للمدرسة، والجانب الثقافي والانفعالي، والذي يتضمن إعادة بناء النسق الثقافي بما يشمله من قيم ومهارات وعلاقات تنظيمية، فإن هذه الجهود يجب أن تسير وفق خطوات معينة لكي يكتب لها النجاح، وهنا يذكر (دان كوهن) أنه من خلال تجربته ومقابلته لكثير من قادة المنظمات الكبرى، أن هؤلاء يعترفون بأن سبب فشل التغيير يكمن في البشر العاملين في المنظمة المراد إجراء التغيير فيها، فلماذا لا يراعون ذلك ويأخذونه في الاعتبار منذ بداية تفكيرهم وإعدادهم للتغيير؟ والإجابة ببساطة هي لأن ذلك يتطلب قدرا كبيرا من الوقت والجهد، ومن ثم فإنهم يركزون على الجوانب التقنية بدلا من ذلك، ويتوقعون أن الأفراد العاملين سوف يتوافقون بصورة آلية مع هذه التغييرات - هذا ما سوف نتبناه ونفعله وعليكم أيها العاملون أن تقبلوه وتتعاملوا به وتعملوا من خلاله وبالطبع فإنه في ظل هذا التفكير لا يمكن أن ينجح

أي تغيير، لأنك تفرض التغيير على العاملين فرضا دون أن تشركهم فيه ولا تجعلهم أصحابه الحقيقيين- (كوهين، د. 2009 : 27-28)

من هذا المنطلق تأتي أهمية إحداث التغيير بإتباع خطواته، التي تبدأ أولا بتهيئة مناخ المدرسة للتغيير من خلال زيادة الشعور بالحاجة للتغيير بتحديد أسبابه ومبرراته ثم تحديد مصادره، ليتم الانتقال إلى الخطوة الثانية للتغيير بتكوين الفرق الموجهة للتغيير وإعدادها ومن أهم مهام فريق قيادة التغيير طرح عدد من الأسئلة ومحاولة الإجابة عنها، وهذه الإجابات هي التي تمكن من السير على الطريق الصحيح لنجاح عملية التغيير الواسع النطاق، ومن تلك الأسئلة : ما التغيير الذي نحتاجه؟ و ما تصورنا لما يجب أن تكون عليه المنظمة بعد التغيير؟ وما الذي يجب أن نحافظ عليه ونسعى إلى استمراره وعدم تغييره؟ وما أحسن أسلوب لتحويل الرؤية المنشودة إلى واقع فعلي؟ وما هي استراتيجيات التغيير التي تعتبر خطيرة وغير ملائمة للمنظمة؟ .

لتأتي أهمية إعداد رؤية واضحة للتغيير، والتي تعد البوصلة التي تجعل إجراءات التغيير تسير في مسارها السليم، كما أنها تجعل كل فرد من المشاركين في عملية التغيير في المدرسة يرى مدى الحاجة للتغيير بنفس الوضوح الذي يراه بها الآخرون، ولكي تكون الرؤية فعالة يجب أن تكون واضحة ومثيرة لروح التحدي لدى الأفراد وقابلة للتحقيق الفعلي، وهي التي تجعل الأفراد ينفعلون أي يخافون من الوضع الراهن ويحبون الوضع المستقبلي بعد التغيير ويقبلون عليه بدافعية.

وبعد القيام بتهيئة مناخ المدرسة للتغيير، تبدأ المرحلة الثانية منه وذلك بالتمكن والإحاطة بكل جوانب المدرسة، من خلال أولا تحقيق التواصل للحصول على أفضل المكاسب، وهذه الخطوة مبدأها أن رؤية التغيير واستراتيجياته لا يمكن أن تظل محصورة بين أفراد فريق التوجيه فقط، بل لابد من عمليات تواصل فعال بحيث يفهم الجميع ما بصدد القيام به،

ويتفاعلون معه ويشاركون فيه، وثانيا تفهم مقاومة التغيير و التعامل الملائم معها، حيث أن مقاومة الجديد استجابة انفعالية طبيعية ومتوقعة وعلى هذا هناك نوعين من المقاومة و الرفض للتغيير، الأول رفض يقوم على حجج منطقية يؤمن بها الرافضون والثاني رفض على أساس انفعالي دون أساس منطقي قوي يدعم ذلك، فقط هو رفض ربما لمجرد الخوف من هذا الجديد الذي نجهله، وبالطبع فإن الرافضين من النوع الأول يكون موقفهم أقوى وأعنف، ويصعب اتصاليا تغيير موقفهم واتجاهاتهم، أما النوع الثاني من العاملين فيمكن تحويلهم بسهولة إلى أنصار التغيير إذا عرفنا كيف نتواصل معهم، وماهية المضامين الاتصالية التي يجب أن نخاطبهم بها .

وبعد التمكن والإحاطة بكل جوانب المدرسة، تبدأ عملية تشخيص التمكين من ممارسة التغيير وتحقيق مكاسب قصيرة المدى بتزويد العاملين بالوسائل والأدوات التي تمكنهم من تحقيق الرؤية التي تمت صياغتها سابقا وهذا يسمح بإزاحة العوائق والصعوبات التي تحول بينهم وبين التنفيذ العملي لرؤية التغيير، وإذا تمت الخطوات السابقة بنجاح فسوف تظهر بعض الآثار الإيجابية لما تم من تغيير، والمكاسب التي تترتب عليه، فتلك المكاسب هي الدليل المادي على أن ما تم بذله من جهد قد بدأ يثمر وهو ما يسعد العاملين ويزيد من ثقتهم فيما يبذلونه من جهود إنجاز التغيير، ليواصلوا بدافعية مرتفعة إتمام عملية التغيير.

وفي المرحلة الأخيرة من عملية التغيير، والتي تتمثل في تنفيذ التغيير ومساندته ومنطلقها تنفيذ برنامج التغيير واستكماله ليس هو نهاية المطاف، فيحدث أنه فور انتهاء البرنامج يعود أعضاء فريق التغيير إلى أعمالهم المعتادة، وينشغل قادة المدرسة بموضوعات ومشروعات جديدة، وبعد فترة تعود المنظمة إلى مرحلة ما قبل تنفيذ التغيير، لذا فالفترة التالية لتحقيق المكاسب قصيرة المدى تعتبر في منتهى الخطورة إذ ربما يفقد فيها

الكثيرون من قادة التغيير والمشاركون فيه تركيزهم وتتابهم حالة من الاسترخاء الشديد، وبالتالي فإن للقادة دور الاستمرار في الضغط في اتجاه التحفيز والمحافظة على دافعية مرتفعة لدى العاملين المشاركين في التغيير من جهة وقياس ما يتم من تقدم بشكل دائم (كوهين، د. 2009: 30- 254).

3 -القيادة المدرسية:

تعد القيادة الأداة الرئيسية التي تستطيع المنظمات من خلالها تحقيق أهدافها وهي القادرة على التنسيق بين العناصر المختلفة، لتصل بالمنظمة إلى التكامل المنشود بين مدخلات العملية الإدارية المادية منها والبشرية، من أجل تحقيق أهداف المجتمع. إن محاولة فهم مفهوم القيادة وربطه بالواقع يبدأ بطرح أسئلة على شاكلة: ما القيادة وما أهميتها ؟ وما الأهداف التي يعمل القادة من أجلها ؟ و ما هي المهارات التي يجب توفرها فيهم لتحقيق تلك الأهداف و من أين يستقون قوة تأثيرهم على الآخرين ؟ وما الذي ينتظره القادة من مرؤوسيهم ؟ ولماذا يؤمن الناس ببعض القادة ولا يؤمنون بآخرين ؟ ولماذا يختار الناس إتباع قائد ما في حين يرفض آخرون نفس القائد، وعلى الرغم من صعوبة الوقوف على طبيعة القيادة الفعالة، إلا أن الأمر يقتضي تدبر ولو بإيجاز التغيرات التي طرأت على مفهوم القيادة عبر عدد من السنوات، ففي فترة الخمسينات من القرن العشرين، كان القائد هو الفرد الذي يتولى قيادة جماعة ما لإنجاز مهمة معينة دون عدوانية، وفي العقد الثامن من القرن العشرين اقتصر مفهوم القيادة على الفرد الذي يتولى قيادة جماعة ما لإنجاز مهمة معينة، وبداية من العقد الأخير من القرن العشرين يعرف القائد بأنه الفرد الذي يتولى قيادة جماعة ما، ويدفعها إلى تحقيق نتائج عالية الأداء، ليتطور مفهوم القيادة حتى أصبح ينظر إلى القائد على أنه الميسر لأداء الفريق وليس سيفا يسلط على الرقاب، ونحن في الألفية الثالثة أصبحت

مهمة القيادة تهيئة المناخ والظروف المناسبة لتحقيق الأهداف والأداء العالي وذلك من خلال العمل مع الآخرين(برانت، د ، إليسون، ل. 2004 :140). فالوظيفة الأساسية للقائد هي تنمية الهدف أو العمل الرئيسي للمنظمة وتكوين الإستراتيجية الموصلة إلى ذلك ، وبالمقارنة بذلك فإن الوظيفة الأساسية للمدير هي تنفيذ ذلك، باستخدام الأدوات المساعدة على ذلك ، وعليه فبينما تعمل الإدارة على التعامل مع الظروف المتعددة فإن القيادة تتعامل مع التغيير ، وبالتحديد فإن المديرين يصنعون الخطط ويقيمون نتائجها بينما يقوم القادة بتنمية الاتجاهات عن رؤيتهم الإستراتيجية للمستقبل، وعلى ذلك فإن القادة المؤثرون هم الذين يحصلون على اعتقاد تابعيهم بصحة رؤيتهم الإستراتيجية وأن يسيروا وفقها. فما عناصر التي تتكون منها العملية القيادية.

3-1-عناصر القيادة:

تظهر عناصر القيادة في أي موقف يجد فيه القائد نفسه معنيا بالتأثير في جماعة العمل من خلال إقناعهم بالعمل وأهدافه، ويتم ذلك في مواقف وظروف معينة، ومن خلال وجود نظم وقواعد موضوعية تصدرها الإدارة من أجل تحقيق الأهداف التي تسعى إليها جميع الأطراف

ومن أهم هذه العناصر نذكر :

ا-القائد:

ويعد من أهم العناصر لأنه يؤثر في الأفراد ويحقق لهم ما يرغبون به، ويلبي حاجاتهم وطموحاتهم فهو الذي يرسم السياسات ويتخذ القرارات ويسعى دوما لإيجاد التوازن بين الوظائف والعمليات التي يتولى إدارتها، ويميل إلى الابتعاد عن عنصر المخاطرة ويسعى القائد دائما إلى التغيير لمواكبة المستجدات، ويتبنى الأساليب الحديثة والإبداع فيها

فضلا عن قدرته على التحليل والتقييم من خلال امتلاكه رؤية مستقبلية وقدرة على تحويل هذه الرؤية إلى حقيقة .

ب-جماعة العمل:

وهذه من العناصر الأساسية في القيادة والوسيلة التي بواسطتها تتحقق الأهداف وهناك نوعان من الجماعة ، يسمى النوع الأول **الجماعة المتزاملة** حيث يعمل كل فرد فيها بمفرده ويكون مجهود الجماعة هو تجميع للجهود الفردية ، أما النوع الثاني فهو **الجماعة المتفاعلة** حيث يعمل كل فرد فيها على تحقيق الأهداف المشتركة للجماعة، ويحدث بين أفرادها تفاعل وتأثير مشترك يتصف بالإنتاجية العالية والروح المعنوية المرتفعة . أما في التنظيم الإداري للمؤسسات فهناك نوعان من الجماعات هي **الجماعات الرسمية** التي يحدد النظام لها أدوارها ووظائفها ، **والجماعات غير الرسمية** التي تنشأ حسب المصالح والمعتقدات والأمزجة ، ومن أهم العوامل التي تؤدي إلى ظهور الجماعات غير الرسمية هو عدم سلامة البناء الرسمي للمنظمة ، وتقصير القائد الرسمي في أداء مهامه ومسؤولياته الاجتماعية كقائد واعتماده على سلطته الرسمية وابتعاده عن جماعة العمل وفشله في تحقيق التلاؤم والانسجام بين أعضاء الجماعة ، وعدم تفضيل تحقيق أهداف المؤسسة على أعضاء الجماعة (عياصرة، ع، حجازين، ه.2006 :110-111).

ج – الموقف:

هو عبارة عن ظروف وملابسات يتفاعل فيها الأفراد وتتم بوجود القائد، وتشمل هذه الظروف حجم الجماعة، وتجانسها من حيث الخلفية الثقافية والعمر والقيم والتعارف والألفة وسهولة الاتصال بين أفرادها واستقرار الجماعة ووعيها وغير ذلك (أحمد،إ.1999 :40).إن الموقف يعمل على خلق القيادات كما يفرض بعض الشروط التي تكون خارجة

عن إرادة القائد، وعندها يستطيع أن يحدد أسلوبه القيادي في تعامله مع هذا الموقف.

د -النظم والتعليمات:

يتعامل القائد مع المرؤوسين ضمن قواعد وتعليمات ونظم معينة تصدرها الإدارة العليا أو الدولة ، وفي ضوء هذه القواعد تحدد العلاقات بين القائد والمرؤوسين وترسم ملامح الأدوار لتحقيق الأهداف، والقيادة الفعالة هي القادرة على الاستفادة من هذه النظم والقوانين في سبيل تحقيق أهداف العاملين وأهداف المنظمة ، ولعل دور القائد يتجلى في إيجاد وابتداع الثقافة التنظيمية التي تساعد على تطوير المنظمة ونموها واستكشاف الاحتياجات المستقبلية(أبو العزم، ف. 1977 :35).

ه – الأهداف:

تعد الأهداف بمثابة النتائج التي تعمل المنظمة من أجلها من خلال استخدام الموارد المادية والبشرية والطاقات المتاحة، ويسعى القائد في إدارته إلى تحقيق جميع الأهداف بفاعلية حيث توجد أهداف تخص الجماعة، وأخرى تخص المنظمة وثالثة تخص القائد نفسه (العجمي، م. 2008 : 30)

إن هذه العناصر هي التي تشكل بتفاعلها عملية القيادة، ويجب أن يتم التوافق بينها حتى يتم التفاعل، فالموقف يساعد على تهيئة الفرصة للقيادة، ويظهر الاحتياج إليها، والقائد هو فرد من جماعة يشعر بشعورها ولديه القدرة على استغلال قدرات أفرادها والتعاون ليجابهوا الموقف الذي يتفاعلون فيه ، والأفراد بالتالي يجب أن يكون لديهم شعور بالحاجة إلى القيادة والاستعداد للتعاون مع القائد في الموقف الذي يتفاعلون فيه

ولنعطي مثالا عن ذلك ،القسم (الحجرة) الدراسي، حيث يكون التلاميذ هم الأتباع والمعلم هو القائد، والدرس (العملية التعليمية ككل) هو الموقف، فقبل دخول المعلم القسم وقبل بدأ الدرس يقوم التلاميذ بسلوكات متعددة، أي سلوكهم ليس في اتجاه واحد ، وبعد دخول القسم وبدأ الدرس تحدث عملية تفاعل وتأثير متبادل بين الطرفين (المعلم والتلاميذ) تؤدي إلى توحيد جهود التلاميذ لتحقيق الهدف المنشود، وأي اختلال في أحد هذه العناصر يؤثر على تحقيق ذلك. تظهر عناصر القيادة في أي موقف يجد فيه القائد نفسه معنيا بالتأثير في جماعة العمل من خلال إقناعهم بالعمل وأهدافه، ويتم ذلك في مواقف وظروف معينة ، ومن خلال وجود نظم وقواعد موضوعية تصدرها الإدارة من أجل تحقيق الأهداف التي تسعى إليها جميع الأطراف.وحتى تؤدي القيادة الأدوار المنوطة بها لابد أن يمتلك القائد عددا من المهارات.

3-2-المهارات القيادية الأساسية:

تتوقف فعالية القائد على ما يمتلكه من قدرات ومهارات فنية ، وإنسانية وإدارية وتحليلية وتوجد أربع مهارات أساسية للقيادة هي المهارات الذاتية و التصورية والفنية والإنسانية، فقد بات واضحا أن القائد يضطلع بدور رئيس في تحقيق أهداف المنظمة ، من خلال قيامه بمجموعة من المهام والوظائف المتعددة، على أن هناك عدة عوامل تساعد القائد على النجاح في عمله، ولعل في مقدمة هذه العوامل ما يعرف بالمهارات والقدرات القيادية والمقصود بالمهارة - أداء العمل بسرعة ودقة - (السعود، ر.2002: 93) ومعنى هذا أن المهارة قدرة فائقة متطورة وتتميز المهارة بأنها مكتسبة ونامية، أي أن الإنسان يكتسبها من خلال

خبراته وتجاربه وممارسته والتي تعمل على تنمية المهارة باستمرار، ومن أبرز هذه المهارات:

أ- المهارات الذاتية :

وتشمل بعض السمات والقدرات العقلية والابتكار وضبط النفس ومن ثم فعليه أن يلم إلماما جيدا بالنواحي الأكاديمية، وأن يكون طليق اللسان مدركا لكيفية التعامل والتكيف مع العلاقات الاجتماعية، وبإمكانه أن يفوق جماعته بذكائه حتى ترى فيه الجماعة أنه الشخصية الأولى بينهم، كما على القائد الاتصاف بالهدوء ورباطة الجأش عند مواجهة الأفراد الذين يبدون اللامبالاة والسلوك الاستفزازي، والواقع أن القائد الثابت والمستقر وغير المنفعل، والذي يقف موقف الشخص المعتدل في الأزمات والمشكلات، يحظى باحترام الجماعة دائما (عياصرة، ع.2006 :36)

إن المهارات الذاتية للقائد ضرورية لحسن تعامله مع الآخرين، وخاصة عند حدوث المشكلات ونشوب صراعات وخلافات داخل المجموعة، حيث تسمح له بلعب دور الوسيط والحكم والتحكم في مجرياتها، والتخفيف من آثارها السلبية على سير المنظمة.

ب-المهارات التصورية:

تعنى هذه المهارة مقدرة القائد على رؤية مؤسسته ككل وعلى تفهمه وإدراكه شبكة العلاقات التي تربط بين وظائفها ومكوناتها الفرعية المفتوحة ، وكيف أن أي تغيير في أي مكون فرعي سيؤثر بالضرورة ولو بنسب متفاوتة على بقية المكونات الفرعية الأخرى التي يشتمل عليها النظام ، كما تعني أيضا إدراك القائد بشبكة العلاقات بين النظام الذي يعمل فيه وما يلازمه من نظم اجتماعية أخرى وتبصره للعناصر الرئيسية والمهمة في أي موقف يعيشه ويتعامل معه ، وهذا يمكنه

بالضرورة من التصرف بطريقة تؤدي إلى نجاح وتقدم مؤسسته في جميع جوانبها (عياصرة، ع، حجازين، هـ. 2006: 113)

ومنه فإن قيادة المنظمة تستلزم قائدا قادرا على رؤية وإدراك الترابط بين أجزائها ، وتصور وفهم علاقات العامل بها وعلاقاتها بالمجتمع الذي تعمل فيه ، من أجل مستقبل أفضل للمنظمة (أفضل من الوقت الحالي على أقل تقدير) ، ووضع الخطط لبلوغ ذلك واتخاذ القرارات الملازمة لها ، حيث أن نجاح وفعالية أي قرار يتم اتخاذه يعتمد على درجة تعمق وتمتع متخذ القرار بالمهارة الإدراكية التصورية.

ب -المهارات الفنية:

تتعلق هذه المهارة بالأساليب والطرق التي يستخدمها القائد في ممارسته لعمله و معالجته للمواقف التي يصادفها، وتتضمن معرفة متخصصة ومقدرة تحليلية ضمن مجال هذه المعرفة، تمكن من استخدام الكفايات المهنية كافة، والوسائل والأساليب المناسبة (عياصرة، ع ، حجازين،ع.2006 :113) بما يحقق الهدف المرغوب بفاعلية وتكتسب هذه المهارة بالدراسة والخبرة و التدريب .

المهارات الإنسانية :

تتصل المهارات الإنسانية بالطريقة التي يستطيع بها القائد التعامل بنجاح مع الآخرين وجعلهم يتعاونون معه، ويخلصون في العمل، ويزيدون من قدرتهم على الإنتاج والعطاء

وتعرف هذه المهارة بأنها : - مقدرة القائد على التعامل الفعال والسلوك كعضو في جماعة وعضو فاعل في تنمية الجهود التشاركية ضمن الفريق الذي يتولى قيادته-، وغالبا ما يجد الإداريون أنفسهم في موقف يستدعي الموازنة بين توظيف هذه المهارة وتفعيلها مقابل توظيف وتفعيل متطلبات المهارة الفنية(الكويل، هـ. 1999 :25).

وعليه وعلى مستوى المدرسة ، فإن هذه المهارة تستلزم من المدير قدرة على التعامل مع أعضاء المدرسة تلاميذ ومعلمين وموظفين، بما يسمح بتنسيق جهودهم وخلق روح العمل الجماعي بينهم من خلال احترام شخصيتهم، ودفعهم إلى العمل بحماس وقوة دون قهر وإجبار ومعرفة متطلباتهم وانشغالاتهم بما يسمح بالرفع من روحهم المعنوية، وتحقيق الرضا النفسي لهم ... فللأفراد حاجات نفسية أساسية لا يمكن التغاضي عنها، ولا يمكن تحقيق هذه الحاجات إلا عن طريق إشعار الفرد بذاته وقيمته وأهميته، وعن طريق اشتراكه اشتراكا إيجابيا في حياة الجماعة التي ينتمي إليها .

و لكي يستطيع مدير المدرسة أن يمارس هذه المهارات بكفاءة واقتدار لابد من الوعي ببعض العناصر الجوهرية اللازمة لعملية القيادة المدرسية والتي تتمثل في الآتي:

- عملية التأثير التي يمارسها على أعضاء المدرسة والوسائل التي يستخدمها من أجل حفزهم على الإنتاج وتقديم الأفضل ومن هذه الوسائل: المكافأة والخبرة الشخصية للمدير
- توجيه أعضاء المدرسة وتوحيد جهودهم والتنسيق بينهم في توزيع مسؤوليات العمل بناءًا على تخصصاتهم وقدراتهم وإمكاناتهم وخبراتهم واهتماماتهم الشخصية وتحقيق الهدف الوظيفي والمتمثل في تحقيق أهداف المدرسة.

4-واقع القيادة المدرسية:

طالما أن المدرسة مؤسسة اجتماعية بناها المجتمع لتحقيق أهداف معينة، بواسطة مجموعة من الأفراد فهم بحاجة إلى شخص يكون قادرا على التأثير فيهم والتفاعل معهم، فالمدرسة تحتاج إلى من يديرها ويتابع أعمالها، يوجه العاملين ويشرف عليهم، من هنا يمكن الحكم على أهمية المركز الذي يتبوؤه المدير، وهو مركز يمثل دون أدنى شك حجر الأساس

والعامل الأول الذي ترتكز عليه العملية التربوية والإدارية، وحيث أن التفاعل مع الآخر ينطلق من الصورة الانطباعية التي تكونت عنه، حيث أن الأفراد إذا أرادوا القيام بعمل ما أو التعامل مع أي جانب من جوانب العالم المحيط بهم، وجب عليهم أولا تحديد هذا العالم أو ذلك التعامل وتصنيفه وعندما يتم ذلك تظهر مجموعة اتجاهات وتوقعات تحدد ما ينبغي فعله، فإنه من خلال دراستنا لموضوع القيادة وإشكالية التسيير الإداري بالمؤسسات التربوية، دراسة ميدانية لعينة من ثانويات ولاية البليدة والتي شملت العاملين بالثانويات ومديريها، والتي انطلقنا فيها أولا من تصورات العاملين لوظيفة المدير فإن أغلب المبحوثين يرون في المدير ذلك الإداري الذي أعيته أعباء الوظيفة التعليمية ومتطلباتها، فتوجه للإدارة ليرتاح ويكمل بها مساره المهني، وهنا صرح أحد المبحوثين(أستاذ، 4 سنوات في التعليم) - **لو كان المدير صابها حاكمة في التعليم، ما دارش مدير** - ليبتسم العاملون المحيطين به، وهي دلالة على تبنيهم للفكرة، وهي إشارة إلى ضرورة مراجعة معايير التوظيف في منصب المدير، وهذا يوضح تلك الفجوة القائمة بين ما هو موجود في واقع المدارس وما يتطلبه تطور التعليم وتحديثه من تحديات ومتطلبات، من أهمها وجود إدارة مدرسية علمية حديثة متمثلة في مدير المدرسة، الذي يمثل سلوكه القيادي عنصرا حيويا في إدارة وتنظيم مدرسته، ومن ثم تتوقف عليه فاعليتها وكفاءتها، وكون العملية الإدارية ترتكز على عناصر منها الاتصال، حيث تظهر أهمية الاتصالات من خلال التأكيد على أن الإدارة ليست مجرد هياكل تنظيمية، بل هي مجموعة من العلاقات داخل الهيكل التنظيمي، فالاتصال الركيزة التي تعتمد عليها الإدارة في اتخاذ القرارات، وفي ظل تعدد أساليب الاتصال فإن المدير يجد نفسه بحاجة إلى أن يفهم مرؤوسيه، فما طبيعة عملية الاتصال داخل الثانوية؟

انطلاقا من أن الاتصال يتم من خلال مجموعة من الوسائل فقد عبر أغلب المبحوثين على أن الإعلانات بما تشمله من لوائح وتعليمات هي الوسيلة الاتصالية الأكثر استخداما من قبل المدير، ليقتصر الاتصال الشفهي المباشر على مسائل معينة مثل ضرورة التنسيق بين الأساتذة خاصة ما يتعلق بالامتحانات، وضرورة مساعدة الأساتذة الجدد في الإلمام بالعملية التعليمية، وهم لا يعترضون على ذلك، لكنهم بحاجة إلى الاتصال المباشر من خلال المقابلات و الاجتماعات و الندوات لطرح انشغالاتهم واقتراحاتهم وتبادل الأفكار، فقط على الإدارة المدرسية وعلى رأسها المدير تنظيم هذه العملية من خلال إعداد مسبق لجدول أعمال، وترك المشاركين يعبرون عما يرونه الأفضل لسير الثانوية، والعمل على الخروج بقرارات مكتوبة ومتابعة تنفيذها، لأن من وظائف الاتصال تحقيق الإبداع ويقصد به إنشاء ووضع أفكار وأنماط سلوكية جديدة لتحسين السلوك التنظيمي وتطوير المدرسة، من خلال تقديم الأفكار والاقتراحات والمشاريع والمخططات، وهذا الارتكاز على الإعلان كوسيلة للاتصال الإداري داخل الثانوية يبين أن شكل الاتصال السائد فيها هو اتصال في اتجاه واحد وتحديدا اتصال نازل، والذي من مميزاته أنه يتسم بالمركزية الشديدة واحتكار اتخاذ القرار، من هنا كان لابد من تشجيع الاتصالات التفاعلية الكفيلة بجعل المعلومات تنساب بين مختلف العاملين بالثانوية، للحصول على التغذية الراجعة التي تعد دليلا على فاعلية عملية الاتصال، والتي من خلالها يتمكن المدير من تغيير ممارساته القيادية وتعديلها خاصة وأنها من ركائز قيادة التغيير لتؤكد الزيارات الصفية ذلك، فعلى الرغم من أهميتها في التعرف على كفايات العاملين وآرائهم حول ما يحدث بالثانوية، وأفكارهم التطويرية التي يرون أن تطبيقها سيحسن من وضع الثانوية وينعكس إيجابا على مردوديتها، فإن هذه الزيارات قليلة العدد لا تتجاوز دقائق معدودات

وكأنها مراقبة روتينية عوض أن تكون عملية توجيهية يتم من خلالها تعرف كل طرف على الآخر، وهنا صرح أحد المبحوثين (أستاذ، 3سنوات تعليم) - **مرات قليلة يدير المدير دورة على الأقسام يشوف بعينيه ويخرج وفي أحسن الأحوال يعطي ملاحظات سطحية -** بالمقابل فإن اتصال العاملين بالثانوية بالمدير يكون في الأغلب للاستفسار عن بعض المسائل(كالتفتيش وطلب عطلة وتغيير جدول استعمال الزمن...) ونظرا لارتباط الاتصال بعملية صنع القرار فإن الشكل الذي اتخذه الاتصال داخل الثانويات أثر في مشاركة العاملين في عملية صنع القرار، خاصة وأنها إحدى متطلبات قيادة التغيير، فهي مشاركة منخفضة لا ترقى إلى المستوى المطلوب، تمحورت حول إقرار النتائج النهائية للتلاميذ، توجيه التلاميذ إلى مختلف الشعب الدراسية، مشاركة الثانوية في المناسبات المختلفة للمجتمع، وقد يعود السبب في ذلك إلى انخفاض الصلاحية المفوضة إلى مديري المدارس، أو لضعف فعالية البرامج التدريبية الموجهة للمديرين في مجال الإدارة و القيادة أو للتنشئة الاجتماعية التي لا تكرس لقيم المشاركة وهنا صرح أحد المبحوثين(مدير، 10سنوات في الوظيفة) أن الأساتذة يرون أن وظيفتهم تنحصر في التدريس وتبقى المهام الأخرى على عاتق الإدارة، فالثقافة السائدة هي ثقافة تخطي راسي - **الأساتذة ما يبادروش في تقديم اقتراحاتهم لتفعيل دور الثانوية، مرات كثيرة عنا الميزانية بصح ما كانش المضرب اللي نصرفوها فيه-.**

ومن خلال الدراسة لمسنا حاجة المبحوثين إلى التغيير، والذي يعبر عنه ضرورة بناء رؤية مشتركة للثانوية، والتي تتعلق خاصة بوظائف المدرسة الثانوية و أهدافها الحيوية التي تنبثق عن دورها المجتمعي الأكبر، والخطط الإستراتيجية لتحقيق ذلك وهذا يتأتى من خلال وجود نظام اتصالي فعال يمكن من انسياب المعلومات وتبادلها بين مختلف العاملين،

هذا النظام يمكن القيادة المدرسية من التعرف على مهارات و كفايات العاملين، والتي يتم استثمارها من أجل تحقيق التقدم داخل الثانوية، وهنا يؤكد المبحوثين على أن القيادة المدرسية تلعب دورا هاما في دفع العاملين إلى تجربة أساليب وممارسات جديدة تنسجم مع طبيعة عملهم، وتتفق مع اهتماماتهم الخاصة وميولهم، لكن واقع الممارسات القيادية لا يعكس ذلك، وهنا صرح أحد المبحوثين (أستاذ، 14 سنة تعليم)- **أنا ما زلت نعمل بنفس الطريقة ملي التحقت بالتعليم تغيرت المقاربة بصح العملية التعليمية تمشي كيما كانت، غيروا الكاركاسا وخلاو الموتور القديم، أنا نحب نستخدم الوسائل التعليمية اللي تتماشى مع المنهاج بصح الإدارة ما توفرهمش-** ليضيف مبحوث آخر(مستشار رئيسي للتوجيه، 8سنوات في الوظيفة)-**توجيه التلاميذ يكون من خلال المعدل ونقاط المواد الأساسية للشعبة وهذا لا يعطي توجيها سليما، المفروض استخدام الاختبارات النفسية لكن ظروف العمل لا تسمح والمدير لا يشجعنا على تحقيق ذلك-** ولأن المبادرات التطويرية والتجديدية لأعضاء هيئة العاملين باختلاف مستوياتهم في الهيكل التنظيمي للثانوية هي من مؤشرات قيادة التغيير، إلا أن هذا المؤشر يبدو غائبا، وهنا يضع كل طرف اللوم على الآخر، فالعاملون يتهمون القيادة المدرسية وعلى رأسها المدير بأنها لا تولي اهتماما لاقتراحاتهم وهو ما أدى بهم إلى عدم عرضها عليها، والمديرون يرون أن العاملين ينتظرون من القيادة المدرسية القيام بكل ما يتعلق بتطوير الثانوية.

خاتمة:

إذا كانت العلاقة وثيقة بين النمط القيادي وفعالية المدارس ونجاحها، فإن تحقيق الجودة في الإدارة يبدأ بالبحث عن القيادة أولا ثم تطويرها، لما لها من أهمية في تحقيق التكامل بين الجوانب التنظيمية و الإنسانية في العملية الإدارية والتربوية، ونحن في الألفية الثالثة فالقيادة المطلوبة هي

قيادة التغيير التي ترتكز على استثمار كفايات العاملين وتنمية ملكة الإبداع لديهم من خلال تشجيع المبادرات التطويرية والتجديدية، ببناء نظام اتصالي فعال والتي تؤدي إلى تحقيق الاستقرار والشعور بالأمن والولاء والرضا الوظيفي، وهو ما يغيب بمدارسنا حيث تشتكي هذه الأخيرة من الإفراط في الدور الإداري على حساب الدور القيادي، وهو ما يؤثر على فاعلية النظام التعليمي ومخرجاته، وعلى ما يجري داخل المدارس وفي علاقتها بالمجتمع وما يجري بداخله من حراك اجتماعي.

قائمة المراجع:

1 -دافيز برانت، إليسون ليندا.(2004).الإدارة المدرسية في القرن الواحد والعشرين، ترجمة البهواشي عبد العزيز السيد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

2 -سعدون يوسف.(2005). علم الاجتماع ودراسة التغير التنظيمي في المؤسسات الصناعية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

3 -محمد علي محمد.(دس). علم اجتماع التنظيم، الإسكندرية:دار المعرفة الجامعية.

4 -كعباش رابح.(2007) الاتجاهات الرئيسية في علم الاجتماع،قسنطينة: جامعة منتوري،مخبر علم اجتماع الاتصال.

5 - كوهين دان.(2009).أسس التغيير التنظيمي، أساليب وأدوات إدارة التغيير،دليل عملي وميداني، ترجمة معتز سيد عبد الله،القاهرة:إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع.

6 -أحمد إبراهيم أحمد. (1999).نحو تطوير الإدارة المدرسية، مصر: مكتبة المعارف الحديثة.

7 -أبو العزم فتوح.(1977). القيادة الإدارية في الإسلام، دن: مركز البحوث الإدارية للمنظمة العربية للعلوم والتكنولوجيا.

8 -العجمي محمد حسنين.(2008) . القيادة التربوية، الإسكندرية: الدار الجامعة الحديثة.

9 -السعود راتب(2002).الإشراف التربوي، عمان: مركز طارق للخدمات الجامعية.

10-عياصرة علي عبد الرحمن.(2006).القيادة والدافعية في الإدارة التربوية، الأردن: دار حامد للنشر والتوزيع .

11- عيا صرة علي عبد الرحمن ، حجازين عدنان موسى.(2006).القدرات الإدارية في الإدارة التربوية، الأردن: دار حامد للنشر والتوزيع.

12-الكويل هاني .(1999). الإدارة التعليمية،الأردن: دار وائل للنشر.

جماعات الجيرة داخل الأحياء الحضرية
- دراسة ميدانية بحي حضري بولاية وهران -

نورية سوالمية،

جامعة معسكـر

تمهيد

يعدّ الحي الحضري مجتمعا محليـا، باعتبـاره تجمـع سـكني أو المجـال الذي يجمع جماعـات متباينـة اجتماعيـا وثقافيـا، ذات اهتمامـات وظيفيـة وميولات واتجاهات متفاوتة، كل أسرة داخل هذا التجمـع تعـرف غيرهـا من الأسر، وإن كانت لكل منها خصوصـيتها وعاداتهـا، فهـي تشـترك في الشعور بالانتماء إلى وحدة اجتماعية، تحكمهـا أهـداف مشـتركة كتطـوير الحي مثلا.

تتشكل غالبا داخل هذا التجمع جماعات متمايزة يطلـق عليهـا -جماعـات الجيرة- أو كما يسميها تونيز (Toennies.F) بعلاقـات المكـان فـيرى أنّ هذه العلاقات -تقوم على أساس الضرورة الحيوية- (الخشاب، أ. 1981 :573)، بمعنى أنّ الأسر لا تستطيع العيش منعزلة عن بعضها، فلابـد لهـا من الاتصـال بأسـر أخـرى تجاورهـا وتشـاركها نفـس المكـان، وبتوسـيع العلاقات تنشأ الحياة المشتركة والتعاون الجماعي.

ومن هذا المنظور نتساءل عن كيفيـة تشـكيل وتكـوين العلاقـات بين الجيران داخل هذا الوسط الحضري. هذا الطرح يقودنا بالضـرورة إلى فحص الأطر النظرية الـتي أثـارت موضـوع الحضـرية وأثرهـا في تكـوين جماعـات الجـيرة، ومـن بينهـا المقاربـة الوظيفيـة الـتي تـرى أنّ العلاقـات الجوارية مختلفة حتى لو كان المجتمع مطابقا متماثلا، لأنّ هذه العلاقـات في ديناميكية، تتغير باستمرار.

ومن المقاربات النظرية أيضا ما جاءت به مدرسـة شـيكاغو (.Cf) GRAFMEYER. Y- JOSEPH.I. 1998 حيث بنـت دراسـتها علـى

المفاهيم الايكولوجية للروابط الاجتماعية، فرأت أنّ الحياة الحضرية أصبحت تتميز باللامعيارية والعزلة، وقد اختفت معها الجيرة، وبدا المجتمع الحضري عبارة عن تكدس مساكن أفرادها لا يعرف بعضهم بعضا. فالحضرية كما أكد بارك (Park.R) - أحد رواد هذه المدرسة- تؤدي بالضرورة إلى اختفاء الجماعات الأولية بما فيها جماعة الجيرة، وقد رأى ويرث (Wirth. L) أنّه من بين نتائج الحياة الحضرية عزل الجماعات السكنية، فيعيش الأفراد مرتبطين ارتباطا سطحيا، مؤقتا تحكمه المصلحة المتبادلة، فالحضرية حسب ويرث (Wirth. L) تفقد الطابع الأولي للعلاقات، لأنّها كطريقة في الحياة وفرت تنوعا هائلا من علاقات الزمالة والرفقة، وتنوعا مماثلا في الثقافات الفرعية.

وأكدت نظرية الثقافة الحضرية من جهتها أيضا تأثير الحضرية على الحياة الاجتماعية، وإن كانت لا تؤدي إلى ضعف الجماعات الأولية بما فيها الجيرة، بل إنّها قد تدعم هذه العلاقات بظهور الكثير من الجماعات الاجتماعية ذات الثقافات الفرعية المختلفة. كما ترى هذه النظرية أنّ للمجتمع الحضري خصائص وثقافة خاصة تميزه عن خصائص وثقافة المجتمع الريفي، أو كما سماها ريدفيلد (Redfield) بالمجتمع الفولك.

وتبعا للإشارات السابقة، نحاول الوقوف على مسألة تكوين العلاقات بين الجيران، متسائلين عما يتحكم في تكوين جماعة الجيرة، - فليس المهم فهم شكل الصورة الحضرية، بل نوعية هذه الصورة هي الأهم- (Raulin.A. 2001 : 139) أخذين كميدان للدراسة حي حضري (مكون من عمارات) متواجد بمدينة وهران (غرب الجزائر)، خصوصية الحي تكمن في أنّه يضم جماعات متباينة لكل منها تصوراتها، أنظمتها وثقافتها، لأنّ سكان الحي ينتمون في الأصل إلى مناطق مختلفة من القطر الجزائري (شرقه، غربه، شماله وجنوبه). وعليه يمكن طرح التساؤلات التالية:

- كيف تتشكل علاقات الجيرة داخل الحي المدروس؟
- ما هي سمات وخصائص الأفراد الذين يميلون إلى تدعيم علاقات الجيرة؟
- وما هي شروط تكوين الأفراد للجماعات المصغرة داخل الحي؟

أولا: مفهوم جماعة الجيرة

يعرف محمد عاطف غيث جماعة الجيرة على أنّها: -جماعة أولية غير رسمية، توجد داخل منطقة أو وحدة إقليمية صغيرة، تمثل جزءا فرعيا من مجتمع محلي أكبر منها، ويسودها إحساس الوحدة والكيان المحلي، إلى جانب ما تتميز به من علاقات اجتماعية مباشرة وأولية، وثيقة ومستمرة نسبيا- (غيث، م، ع وآخرون. 1979: 302)، ويطلق لدريت (Ledrut.R) على جماعة الجيرة مصطلح التجاور المكاني، ويعني به – إقامة السكان قرب بعضهم البعض. وهؤلاء السكان غالبا ما يتعايشون ويتعاونون فيما بينهم- (LEDRUT.R. 1968: 106). والظاهر أنّ أعضاء هذه الجماعة يشتركون في العديد من الأنشطة الاجتماعية على أساس التعاون الواضح وخدمة بعضهم بعضا.

ولفهم جماعة الجيرة فهما دقيقا نعود إلى بتلر (Butler.E) الذي شرحها في نقاط ثلاث: (طلعت، إ،ل. 1995: 161)

- التجاور المكاني لمجموعة من الناس
- التمايز الفيزيقي أو الثقافي لهذه المنطقة عن غيرها
- المشاركة الفعلية بين المقيمين في هذه المنطقة

من ذلك تعتبر الجيرة الجماعة التي تقطن مكانا واحدا، تربط أفرادها علاقات وثيقة تقوم على مشاركة بعضهم بعضا في قضاء حاجاتهم، ويضيف بتلر (Butler.E) في تعريفه لهذه الجماعة طبيعة المباني التي تسكنها، هذه المباني والمساكن متشابهة ذات طابع ونمط ثقافي واحد، تحدها وتفصلها عن المناطق الأخرى فواصل كالجدران الممتدة والمنغلقة

والطرقات الرئيسية. إلا أنّ مجرد السكن داخل مكان واحد أو بجوار بعضنا البعض غير كافية لإنشاء علاقات اجتماعية كما أكد لفافر (LEFEUVRE. M.P. 1993 : 43)

ومما سبق ذكره يمكن تعريف جماعة الجيرة على أنّها مجموعة من النّاس تسكن مكانا واحدا، يشتركون في العديد من الأنشطة الاجتماعية على أساس التعاون الواضح وخدمة بعضهم بعضا، تربطهم علاقات اجتماعية أولية، مباشرة وثيقة نسبيا. ونقصد بالعلاقات الأولية التي تتسم بروح الجماعة وشدة التماسك بين أعضائها، وهي ظاهرة تفرزها الحياة الريفية، بينما الحياة الحضرية فهي تفرز غالبا نوعا آخر من العلاقات، وهي المسماة بالثانوية ومن مميزات هذه العلاقات أنّها عرضية غير وثيقة الصلة بين أعضاء الجماعة، مؤقتة لا تستمر طويلا بالمقارنة مع العلاقات الأولية، ولعل السبب في هذا يرجع إلى تعقد الحياة في المجتمع الحضري، الذي يضم أعدادا هائلة من السكان تسودها هيئات وتنظيمات رسمية.

ثانيا: تشكّل جماعات الجيرة

يتضح من خلال المعاينة الميدانية التي تمت أنّ علاقات الجيرة تمر بمرحلتين أساسيتين، وهما:

1 - المرحلة الأولى: بداية علاقات الجيرة

تقوم العلاقات في بدايتها على عملية التلاقي وجها لوجه بإلقاء السلام والتحية على السلالم، في السوق، الحافلات، الطرق والمحادثات القصيرة في العيادة الطبية الخاصة بسكان الحي، ناهيك عن النزاعات التي تنشأ أحيانا لأسباب عديدة منها رمي الماء والأوساخ من النوافذ، تضارب الأطفال....والتي تدفع إلى الاتصال بين الجيران. ونتيجة لكل ما سبق ذكره يحصل التفاعل بغض النظر عن محتواه ونتائجه، فالأفراد لا يعيشون منعزلين عن

بعضهم البعض، بل يتواصلون بوسائل متعددة تجعلهم يؤثرون ويتأثرون، ومن ذلك تنشأ العلاقات، وهو تفاعل عشوائي. ومنه أيضا التلاقي على أساس العامل الجغرافي، إذ يبحث الساكن الجديد عمن هو من منطقته الأصلية، دون مراعاة العامل الاجتماعي أو الاقتصادي أو المستوى التعليمي لهذه الأسر، مما يتسبب في ظهور نوع من الاختلاف نتيجة تباين انتماءاتهم الطبقية، ولا تلبث هذه العلاقات أن تتطور بتدخل عنصر العقل في بنائها لتبدأ المرحلة الثانية، وهي مرحلة انتقاء الجيران واختيارهم على أساس المصلحة المتبادلة والإمكانات المادية والتجانس الاجتماعي.

1 -المرحلة الثانية: توسع علاقات الجيرة

تبدأ الجيرة من أضيق الحدود من شقة إلى أخرى تجاورها في نفس العمارة، ثم تتوسع فتتصل بباقي شقق العمارة ذاتها، ثم تخرج منها إلى شقق العمارات المجاورة في نفس الشارع، وقد تتعداه إلى الشوارع الأخرى بنفس الحي. وباعتبار أن العلاقات بين الجيران في الأحياء الحضرية تقوم على العقل، فهو الذي يختار بنائها كما ذكر الأستاذ حجيج الجنيد: -هي قائمة على الوضعية السوسيواقتصادية للسكان إضافة إلى الانتماء الاجتماعي والثقافي- (HADJIDJ.E, 2001 : 400)؛ فالمصلحة إذن هي التي تصوغها، ولهذا نجدها في معظمها سطحية ورسمية، وإن بدت علاقة الأفراد بجماعة ما قوية، فإنّ هذا التماسك لن يبلغ ما هو معروف عند القرويين الذين تشدهم العلاقات الأولية المبنية على روح الجماعة والمصالح المشتركة. إضافة إلى ما جاء عند الأستاذ حجيج و جدنا أن عامل المكان و الزمان يساهمان أيضا في تكوين علاقات الجيرة.

وسنحاول من خلال بعض الحالات المستجوبة أن نجسد ونثبت ما ذكرنا، و نبدأ بالمجموعة -أ- وهي تتكون من ثلاثة أسر(أنظر الملاحق)، تربط هذه الأسر علاقات جوار تقوم على التعاون والتفاهم وتبادل الزيارات، ولو بحثنا في سر هذه العلاقة لوجدنا أنّ الذي أسسها هو التقارب في المستوى الاقتصادي، والاجتماعي وكذلك المكان (فهذه الأسر تسكن عمارة واحدة) فقرب المكان سهل تواجد هذه العلاقة مع استعداد هؤلاء لها.

أما الزمان فقد لعب دورا مهما إلى جانب الخصائص الأساسية في إقامة العلاقة بين أفراد المجموعة-ب- والمكونة من أسرتين (أنظر الملاحق)، فطول مدة إقامتها في الحي، والتي تجاوزت أربعة عشر عاما، دفعتهما إلى الاحتكاك ببعضها، و خلق علاقة جوار رغم أن الأسرة الأولى تقيم بعمارة والثانية تقيم بعمارة أخرى.

أما المجموعة -ج-(أنظر الملاحق) فهي تشكّلت في بدايتها من أسرتين حلتا بالحي في نفس السنة، وقد كان الاتصال سريعا بحكم المعرفة السابقة لربيّ الأسرتين اللذين كانا يعملان معا، وتوطدت العلاقة وقوية عندما نقل ربّ الأسرة الأول للعمل بالعاصمة فأوكل أمر أسرته لربّ الأسرة الثانية، هذه الأخيرة تعرفت على أسرة أخرى تملك نفس المستوى الاجتماعي، الاقتصادي والثقافي، وتقطن معها في نفس العمارة. وبهذا اجتمعت الأسر الثلاث وشكلت جماعة، ومن الملاحظ والملفت في هذه العلاقة أنّ هذه الأسر إلى جانب كونها تنتمي إلى نفس الفئة الاجتماعية، فهي منحدرة من نفس المنطقة الجغرافية (الوسط الجزائري). إذن فالعامل الجغرافي قد يساعد على توطيد العلاقات بين سكان الحي.

وقد لا يكون المستوى الاجتماعي، الاقتصادي والثقافي من أساسيات بناء علاقة جيرة، ويتضح هذا مع المجموعة -د- المكونة من ثلاث أسر(أنظر الملاحق)، تكونت هذه المجموعة في البداية من أسرتين ذات نفس المستوى السوسيو اقتصادي، ثمّ انضمت إليهما أسرة أخرى ذات مستوى عال اجتماعيا، اقتصاديا وثقافيا.فكان الجامع في هذه الحالة هو المصلحة البحتة، وأفراد هذه الجماعة يعرفون ذلك ويقرونه.

تسعى الأسرتان الأوليتان إلى خدمة الأسرة الأخيرة لنيل رضاها، لأنّ هذه الأسرة لها القدرة على قضاء حاجاتهما الإدارية، وتتمثل خدمة الأسرة الأولى في قيام ربّها بترقيع ما يفسد في بيت أسر المجموعة كالحنفيات والصنابير وإصلاح بعض الأعطال في الأجهزة المنزلية كالتلفاز والراديو، أما الأسرة الثانية فخدمتها هي رعاية أطفال الأسرة السيدة (الأسرة الأخيرة). وهذا النموذج من العلاقات تثبت وجود تفاعلات بين أسر من فئات اجتماعية متباينة أساسها الاعتماد الوظيفي المتبادل، بمعنى كل عضو من أعضاء الجماعة بحاجة للآخر، فهي تعكس قيم المصلحة والمنفعة.

إنّ كل هذه العلاقات والتفاعلات داخل التجمعات المصغرة بالحي لا تتجاوز في عمومها كونها سطحية، بالرغم من أنها تبدو وطيدة أحيانا نستدل في ذلك قلة التزاور بينهما، ونقص تبادل الهدايا، فلا يكاد يظهر هذا إلاّ إذا احتاج بعضهم إلى بعض في المسائل الإدارية أو الاقتصادية كاقتراض مبالغ مالية أو مواد وآلات منزلية.

ثالثا:العوامل التي تؤثر في تكوين جماعات الجيرة

تعدّ جماعة الجيرة مجموعة من الأفراد يوجدون في حالة اعتماد متبادل، يعتمد بعضهم على بعض لإشباع حاجاتهم، و ينشأ من هذا الاعتماد سلسلة طويلة من الاتصالات. ويمكن تقسيم عوامل تكوين جماعة الجيرة إلى:

1- عامل الفضاء المجاور

يعتبر الفضاء المجاور أول فضاء لتكوين علاقات جواريه، فتلعب النوافذ والأبواب دورا لا يستهان به في خلق فرص للتفاعل بين نساء الحي، فضلا عن مداخل العمارات، وقد تطرق -ديبول-(Depaule.J.C) إلى ذلك بقوله:-إنّ عتبات المسكن، نوافذه، أبوابه، موقعه، كلها نقاط مهمة بواسطتها تتكون علاقات الساكن بالآخرين- (Depaule.J.C. 1987 : 181)

فالتقارب المجالي يؤثر في وجود التقاربات الاجتماعية بين سكان العمارة الواحدة والعمارات المقابلة لها، لأنّ من عادة الأسر الميل إلى إقامة علاقات تربطها بالأسر المجاورة لها خاصة التي تشغل العمارة الواحدة، ومن بين التصريحات التي تؤسس هذه الفكرة نذكر شهادة إحدى السيدات:- **نعرف جيراني غي تاع Bloc ، نعاونوا بعضانا إلا إحتجنا-** ثم سكتت و واصلت حديثها:-**Bon أنا عندي صراحة جاري لي إحدى إسبق. راكي فاهمتني Bien sur لي حداك Surtout لي En face ليك تلقيه في بزاف صوالح يكذب عليك الواحد لي يقولك ما يتلقاش-.**

وقد تشذ عن هذه القاعدة بعض الجماعات التي التقيناها في دراستنا، فيصبح قرب المكان عندها نقمة وليس نعمة، ويفضلون إقامة علاقة جيرة مع من يبعدون عنهم داخل الحي، ويرجعون سبب نفورهم من علاقاتهم بجيرانهم في نفس العمارة مثلا إلى

تجاربهم السابقة، حيث كسرت مثل هذه العلاقة حرمة مسكنهم، و تسبب الدخول الدائم و غير المأذون به والمفاجئ أحيانا، و التعدي على الخصوصيات في إيذاء أصحابها، و هو ما أكدته سيدة بقولها:- **أنا ماشي مدخلة روحي في جيراني أنتاع باطمي**

Par ce que j'aime pas faire des relations avec-eux pour beaucoup des choses comme leurs entrées a toute- heure- et sans permission

بصح علاقتي قوية مع زوجس يسكنوا بعيد على هذي الباطيمة

–je me trouve avec eux

إذن التقارب المجالي لا يؤدي حتما إلى التقارب الاجتماعي، و هذا أيضا ما أكدته دراسة **شومبردون ولومار** (Chaboredon.J.C.-Lemare.M, 1970 : 3-33) اللذان و ضحا مسألة التقارب المجالي وبُعدها في إقامة علاقات وتكوين جماعات الجيرة، بعدما تفحصا الوضعية الحقيقية لأشكال التعارف انطلاقا من دراسات ميدانية، يريأن نفس الباحثان أنّ التقارب المجالي لا يحقق دائما بوثقة اجتماعية تنصهر داخلها الجماعة بل بالعكس إنّ قرب المكان غالبا ما يتسبب في التباعد بين الجيران، فسكان العمارة الواحدة قد لا تنشأ بينهم علاقة اجتماعية.

2 -العوامل الثقافية

تساهم العوامل الثقافية في تشكيل جماعات الجيرة، ويمكن تقسيم هذه العوامل إلى قسمين: قسم يتعلق بالأصل الجغرافي وهي المكتسبات التي تدرج عليها فئة من النّاس في منطقة ما، فتتميز بها كاللهجة الواحدة والعادات والقيم والمعتقدات المشتركة. فالانتماء إلى ثقافة واحدة يسهّل عملية

التلاقي وتكوين علاقة الجيرة وهذا ما لمسناه عند المجموعة (ج) المذكورة سابقا.

وقسم آخر يتعلق بالمستوى الثقافي -التعليمي-؛ إذ يلعب هذا العامل دورا مهما في تكوين علاقة جيرة متينة لأنّ التقارب في المستوى الثقافي يقرب وجهات النظر ويوحد طريقة التفكير ورؤية الأشياء، مما يسهل عملية التواصل ويقوّيها، فإن انتفى هذا أصبحت العلاقة باردة وسطحية، يبدو هذا جليا في حديث إحدى سيدات المجموعة (د)، أدركنا من خلال المقابلة التي تمت معها مدى سطحية العلاقة الموجودة بين أفراد هذه المجموعة، وسبب ذلك هو شعور السيدة المبحوثة بتفوقها على الآخرين من الناحية التعليمية وكذلك المادية. إذن المستوى التعليمي كما يتضح لنا له أهمية كبيرة في تقوية العلاقة بين الأفراد.

3 -العامل الاجتماعي والاقتصادي

يتضح لدى عناصر عينة الدراسة وجود درجة عالية من التفاعل والاتصال بين أسر الميسورين اجتماعيا واقتصاديا، ومثلها بين أسر محدودي الدخل والذين يعيشون نفس ظروف العمل، ويتعرضون لنفس المشكلات الحياتية. هذا الطرح يحيلنا إلى التأكيد على أنّ تقارب مستويات الدخل والمستوى المعيشي يشجع الاتصال والتقارب بين الجيران، ويقويها أكثر علاقة الأزواج الذين يوحدهم العمل بالمصلحة الواحدة. وعليه فالعلاقة بين الأسر من نفس الفئة الاجتماعية تكون أكثر ترابطا إذا ما قورنت بين الأسر التي لا تنتمي إلى فئة اجتماعية واحدة.

والملاحظة الجديرة بالذكر أنّ كل من عامل الفضاء الخارجي، والعامل الثقافي والاجتماعي والاقتصادي يساهم في تشكيل جماعات الجيرة، فإن اجتمعت جميعها في جماعة ما كانت العلاقة بين أفرادها أقوى.

4 -ظروف أخرى لتشكيل جماعات الجيرة

إنّ جماعة الجيرة لا تتشكل انطلاقا من العوامل سالفة الذكر فحسب، بل هناك ظروف تدفع الأفراد إلى البحث عن إقامة علاقات مع الجيران، ومن هذه الظروف نذكر:

- **البعد عن الأهل**

إنّ الخروج من المنطقة الأصلية، والابتعاد عن الأهل والأقارب بسبب ظروف العمل وصعوبة الاتصال بهم لبعد المسافات والتكاليف الباهظة، وفقدان من يباح لهم بالأسرار، ومن يستشارون في الأمور... تولد لدى الساكن الشعور بالاغتراب والوحدة والخوف، وللتخلص من ذلك يلجأ هذا الساكن إلى البحث عن علاقة بديلة، ومعطي هذه العلاقة هم الجيران.

- **غياب الزوج**

يضطر بعض الأزواج إلى الغياب عن أسرهم بسبب التغير المستمر لمكان عملهم فينتقلون إلى العمل الجديد، ويخلفونها وراءهم. وتنشأ عن هذا الغياب حالتان:

- الحالة الأولى: فيها يوكّل الرجل مهام أسرته، وأمرها إلى صاحبه الجار ليقوم بدله بخدمتها وتلبية حاجاتها، فتضطر زوجة الغائب إلى التعرف على زوجة الصاحب، مما يؤسس العلاقة بين الأسرتين.

- الحالة الثانية: يؤدي غياب الزوج إلى إحداث فراغ داخل البيت، فالوقت الذي كان يملئه بواجباته الروحية والمادية أصبح فارغا يحمل معه الرتابة والملل، وللتحرر من هذا الشعور، تسعى الزوجة إلى ملئه بعلاقات مع جاراتها، تتعرف فيها عليهنّ وتصاحبهنّ.

- طول مدة الإقامة

إنّ إقامة سكان الحي مجال الدراسة مرهونة بالمدة التي يتطلبها عمل الأزواج، لذا تنعدم **لدى** معظمهم رغبة التواصل وإقامة علاقات عميقة، باعتبارها لن تدوم طويلا، فهم يعرفون أنّها ستزول بخروجهم من الحي. وإن كانت العلاقة لابد منها فهم يفضلونها جد سطحية يخدمون مصالحهم الآنية، ويحافظون بواسطتها على احترامهم بين الجيران. قالت السيدة:-**نعرف جيران كثر. بصح Mes relations ماديباسيتش (ne dépasse pas) les limites بناتنا سلام سلام-**

ويؤيد هذا الموقف رأي عبد الملك صياد في مقالته (Cf. SAYADE.A, 1980)، التي يذكر فيها أنّ الجيران لم تعد تربطهم علاقات كما كانت سابقا فقد حلت محلها علاقات سطحية وباردة، مختارة وعقلانية. فهذه هي طريقة الحياة داخل فضاء جديد، أطلق عليها -نموذج المخالطة الحالي -، خاصة إذا كان هؤلاء السكان غير مستقرين في مكان معين.

فعدم الاستقرار يجعل العلاقات تتميز بالمادية، ويتضح ذلك جليا في حديث إحدى السيدات:-**حبابنا قاع راحوا.لي رحل ولي بدل السكنة. الناس قاع تبدلت جوارين نتاع زمان ماشي كيما نتاع دروك .ولا وغير انتاعmatériel عندك يصحبوك، ما عندكش ما يعرفوكش حتى على الطريق .ما تخلطيش خير ما تبداي في حل**

وربط. كيما قالو نتاع زمان ...- وواصل زوجها قائلا: **-نقعدوا هكذا عزاز .ما نحلو دارنا ما يدو سرارنا ، و لا صحبنا نصحبوا في حدود-.** فالجيران أصبحوا يتجنبون عديمي المنفعة، ويخافون من القيل والقال وفضح الأسرار.

- **خاتمة**

إنّ محاولتنا لدراسة العلاقات بين الجيران وكيفية تشكيل الجماعات الاجتماعية داخل حي حضري، جعلنا نخلص إلى عدة عوامل تتداخل لتكوين جماعات الجيرة، من بين هذه العوامل مدى استقرار الجماعات بالحي، فطول مدة إقامة السكان تؤثر في تكوين علاقات جيرة، هذه العلاقات تكون أقوى لدى السكان البعدين عن منطقتهم الأصلية، وعن أهلهم وعائلاتهم الموسعة، في حين تنقص العلاقات الجيرة لدى الطبقات الميسورة ماديا واقتصاديا، بسبب اكتفائها الذاتي وفردانيتها، فقد سلمنا بأنّ التجمعات المصغرة داخل الحي تقوم على أساس المصلحة المتباينة، لا على أساس التجاور المكاني، فهذا الأخير يلعب دور في إنشاء تفاعلات بين الأسر، لكن لا يجعل من علاقاتهم أولية متماسكة في أغلب الأحيان، فالتقارب المكاني ينشأ نوع من الالتزام المتبادل بين الجيران، لتحقيق بعض الاحتياجات اليومية.

إنّ مجمل العلاقات الاجتماعية داخل الحي الحضري مجال الدراسة تتميز بأنّها اتصالات ثانوية، ذات طابع سطحي، مؤقت، غير شخصي ومنفعي، بالرغم من ذلك نشهد تضامنا اجتماعيا بين أعضاء هذا المجتمع المحلي، فبالرغم من اختلافاتهم السوسيوثقافية، وتباين الأدوار الاجتماعية ومكانتهم الاقتصادية، يتضامنون

ليكوّنوا وحدة واحدة، إذا ما ادعت الضرورة لذلك واحتاجوا إلى بعضهم البعض في جميع المناسبات.

- الملاحق (الخصائص السوسيوثقافية لأفراد العينة)

- المجموعة أ

رقم أسر العينة	أفراد الأسرة	السن (السنة)	المستوى التعليمي	المستوى الاقتصادي	الأصل الجغرافي	مدة الإقامة بالسكن
1	الأب	46	بكالوريا	متوسط	الجزائر العاصمة	8 سنوات
	الأم	39	أساسي			
	أربعة الأطفال	ما بين 14 والعام	متمدرسين			
2	الأب	33	أساسي	متوسط	وهران	سنة واحدة
	الأم	32	أساسي			
	طفلين	8 و5 سنوات	متمدرسين			
3	الأب	51	ابتدائي	متوسط	جيجل	11 سنة
	الأم	50	ابتدائي			
	خمسة أطفال	ما بين 22 و12	متمدرسين			

- المجموعة ب

رقم أسر العينة	أفراد الأسرة	السن (السنة)	المستوى التعليمي	المستوى الاقتصادي	الأصل الجغرافي	مدة الإقامة بالسكن
4	الأب	44	ابتدائي	متوسط	وهران	14 سنة
	الأم	40	ابتدائي			
	ثلاثة الأطفال	مابين 14 و 5	متمدرسين			
5	الأب	37	أساسي	متوسط	سوق أهراس	15 سنة
	الأم	32	أساسي			
	خمسة	مابين 13	متمدرسين			

	أطفال	و3 سنوات				

- **المجموعة ج**

رقم أسر العينة	أفراد الأسرة	السن (السنة)	المستوى التعليمي	المستوى الاقتصادي	الأصل الجغرافي	مدة الإقامة بالسكن
6	الأب	37	جامعي	عالي	باب الواد العاصمة	6 سنوات
	الأم	30	جامعي			
	طفلين	5 والعامين	متمدرسين			
7	الأب	38	ثانوي	عالي	عين الدفلة	6 سنوات
	الأم	30	ثانوي			
	ثلاث أطفال	ما بين 8 و3 سنوات	متمدرسين			
8	الأب	43	ابتدائي	عالي	الجزائر العاصمة	9 سنوات
	الأم	29	ابتدائي			
	ثلاث أطفال	ما بين 9 و3 سنوات	متمدرسين			

- **المجموعة د**

رقم أسر العينة	أفراد الأسرة	السن (السنة)	المستوى التعليمي	المستوى الاقتصادي	الأصل الجغرافي	مدة الإقامة بالسكن
9	الأب	40	ثانوي	متوسط	عين الصفراء	عام بالمسكن ومدة12 عاما بالحي
	الأم	32	ابتدائي			
	خمسة الأطفال	مابين 11 و العامين	متمدرسين			
10	الأب	46	ابتدائي	متوسط	الطارف	9 سنوات
	الأم	35	دون			
	أربعة أطفال	ما بين 12 و 6	متمدرسين			
11	الأب	38	ابتدائي	عالي	سطيف	عام بالمسكن ومدة 11عاما بالحي
	الأم	33	ابتدائي			
	ثلاثة أطفال	ما بين 10 و العام	متمدرسين			

- المراجع

ـــ أحمد الخشاب. (1981). التفكير الاجتماعي -دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية-. دار النهضة العربية. بيروت.

- طلعت إبراهيم لطفي.(1995). أثر الحضرية في جماعات الجيرة – من دراسات في علم الاجتماع الحضري-. ط1. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.

- محمد عاطف غيث وآخرون. (1979). قاموس علم الاجتماع. الهيئة المصرية العام للكتاب. القاهرة.

- CHABOREDON.J.C.et LEMARE.M. (1970). - Proximité Spatiale Et Distance Sociale. Les Grands Ensembles Et Leur Peuplement -. In Revue Française de sociologie. N° XI-1. Puf. Paris.□

-DEPAULE.J.C.(1987). - Vie Quotidienne et espace habité au Machrek -, In Espace des autres : Lectures anthropologique. Les éditions de la villette. Paris.□

- GRAFMEYER. Y et JOSEPH.I. (1998). L'école de Chicago. Aubier. Paris.□

-HADJIDJ.E. (2001). -Urbanification- et appropriation de l'espace. Le ca de la ville d'Oran. Thèse de doctorat d'état de sociologie. Université d'Oran.□

-LEDRUT.R. (1968). Sociologie urbaine. Puf. Paris.□

-LEFEUVRE. M.P. (1993). Grands ensembles et relations sociales : Proximité, distances, Positions. Doctorat du 3éme cycle. Institut français d'Urbanisme. Université Paris VIII.

-RAULIN.A. (2001). Anthropologie urbain. Armand colin. Paris.□

-SAYADE.A. (1980). - Les effets naturels de relogement -. In Revue des sciences sociales. Panorama, N°4.5, ONRS. Alger.

علاقة التمثلات الاجتماعية للعمل بالشعور بالانتماء إلى المؤسسة
دراسة ميدانية بمؤسسة -نافطال- لولاية معسكر

أ. بلال ريم،
جامعة معسكر.

مقدمة:

تميل الدراسات الحالية في مجال علم النفس الاجتماعي للعمل إلى الاهتمام بالمنظمات لأنها تعد النواة الرئيسية لمعظم فئات أفراد المجتمع وهي نظام اجتماعي يوفر الاستقرار لعمالها منفتحة على المحيط الخارجي متفاعلة معه ذلك لأن ممثليها هم مجموعة من الأفراد والجماعات التي تسخر جهدها للعمل داخلها بطريقة عقلانية، بغية تحقيق جملة من الأهداف المتوخاة، يتم بلوغ الأهداف المسطرة بفضل العمال داخلها الذين يعتبرون ركيزة المؤسسة الاجتماعية وحركيتها الفاعلة وذلك من خلال إحداث التجانس بينهم وبين المؤسسة، وتوحيد جهود العمال فبالتوحد تصل المنظمة إلى ما تصبو إليه والتي تترجم من خلال النتائج النهائية- أي الأهداف المسطرة مسبقا- التي تصبح واقعية وفعالة بفضل تجنيدها عمالها، وبمحاولة تنمية وترسيخ شعور الانتماء بالمؤسسة التي ينتمون إليها. تعد المؤسسة الجزائرية إحدى هذه المنظمات وقد طرأت عليها مؤخرا جملة من المتغيرات التي فرضتها المعطيات الحياتية فالأوضاع الحالية لسوق العمل التي تفتقر إلى مناصب الشغل، تبعدنا نوعا ما عن فكرة عدم ولاء ووفاء العمال للمؤسسة التي توظفهم بما أن سوق العمل أصبحت ضيقة فالعمال لا يبحثون عن مناصب غير التي يشغلونها، لأن فكرة البحث عن عمل آخر غير الذي يشغله تظهر صعبة جدا أو يمكن تسميتها انتحار مهني مقارنة مع الأوضاع الحالية حيث يكثر فيها الطلب على العمل ومنافسة قوية بين حاملي الشهادات ويقل العرض وإن وجد

فيلزم مجموعة من الشروط كالكفاءة والخبرة وغير ذلك ومع هذه الأوضاع هل يمكن الحكم على أن العمال أوفياء لمؤسساتهم؟

بالنظر إلى الواقع فالظاهرة ليست بسيطة كما تبدو عليه فالمؤسسات تبحث عن عمال لهم كفاءة مهنية ووفاء للمؤسسة، بمعنى تبحث المؤسسة عن فرص للتقليل من معدل التغيب ومعدل دوران العمل (Turn over) وتبحث عن عمال يعملون لصالح المؤسسة من أجل تحقيق أهدافها، لتحافظ المؤسسة على ولاء وانتماء العمال إليها فهي تعمل على أن يكون هناك توافق بين القيم الاجتماعية للعامل وقيم المؤسسة حيث بينت الدراسات التي أجريت حول فهم العلاقة بين العامل الجزائري والمؤسسة -أن الحاجات الأكثر أهمية لدى العامل الجزائري هي الحاجة إلى الأمن والحاجة إلى الانتماء وكلا الحاجتين لهما نفس الشدة-(Mercure, D, Harricane, B et all.1997:75)، وهذه النتيجة التي تم التوصل إليها تظهر مدى أهمية قيمة الانتماء لدى العامل الجزائري وتعتبر إحدى أولوياته وهو ما يغير تماما سلم الحاجات لماسلو المتعارف عليه لكن هل هناك شعور بالانتماء إلى المؤسسة؟ من خلال نتائج الدراسة السابقة نجد أن- المؤسسة الجزائرية تتميز بانقطاع ثقافي -hiatus culturel - كبير بين العناصر المكونة لها وطرق التسيير ونظام القيادة وبينت أن القيم الأكثر أهمية لدى العامل الجزائري (الانتماء والأمن)- Mercure, D, Harricane, B et all.1997:140)، هذه الفجوة الثقافية بين قيم العامل الجزائري وبين المؤسسة ناتج عن عدم قدرة المؤسسة الجزائرية على التوفيق بين قيمها وقيم الأفراد ويمكن القول على أنها عاجزة عن توفير شروط الانتماء التي تعتبر إحدى الحاجات الأساسية للعامل الجزائري، إذا كان هذا هو

حال المؤسسة الجزائرية في فترة التسعينات فما هو الحال بالنسبة للمؤسسة الجزائرية في الوقت الراهن؟

إن مجرد التطلع إلى دراسة الشعور بالانتماء إلى المؤسسة لا يعني أن المؤسسات تجد صعوبة في الحفاظ على عمالها ولكن المنطلقات النظرية وواقع المؤسسة في الجزائر يوحي إلى أن هناك مشاكل تعاني منها المؤسسة وهو ما ينعكس سلبا على العامل وطريقة تفكيره وتمثلاته للعمل، وعلاقته بالمؤسسة التي ينتمي إليها.

مفاهيم البحث:

مفهوم التمثلات الاجتماعية:

احتل مفهوم التمثل مكانة بارزة في علم النفس الاجتماعي ويعد أحد مفاتيح الأنشطة العقلية التي يستعين بها الفرد من أجل الاستجابة لمختلف الأوضاع التي يعيشها، ظهرت فكرة التمثلات الاجتماعية في البداية كمفهوم سوسيولوجي سواء كانت مجموع المعلومات أو علم خاص، بدأت أكثر من قرن والتي اقترحها عالم الاجتماع Emile Durkheim (1895- 1898) حيث كانت الجماعات الاجتماعية أو المجتمع هما أساس الدراسات الاجتماعية والتي كانت حسب -دوركاييم- -منظمة وتحدد بفضل نظام أو روح وهي الوعي الجماعي هذه الأخيرة تستعلي الطبقات الاجتماعية لتشكل دعامة للجماعة وتضمن لها ديمومتها. يمكن القول أن هذا الوعي الجماعي ذو طبيعة روحية لكنها أيضا أساسية تعطي للفرد طريقة للتفكير والتصرف وتصبح مادية داخل المؤسسات الاجتماعية بفضل وسائل كالقوانين الاجتماعية والأخلاقية أو السياسية كما في الرؤية الدينية عبر المعتقدات أوالطقوس الجماعية مثل المناسبات الدينية-(GUIMELLI,C.1999:63)، ميز دوركايم بين ما هو فردي وما هو

جماعي على مستوى التمثلات مؤكدا أن التمثلات الجماعية أكثر حضورا وأصدق دلالة من التمثلات الفردية، ويبدو هذا منطقيا في هذه الفترة لأن الاتجاهات السوسيولوجية تميل إلى الجماعة وتقصي الفرد باعتباره جزءا منها ويتأثر بها، يقول دوركايم أن -الوعي الجماعي يحرض التمثلات الجماعية التي تختلف حسب موضوعاتها(اقتصادي سياسي أخلاقي ديني...) وحسب طبيعتها مادية أو مثالية، وهي أشكال عقلية اجتماعية التي تجمع عناصر كثيرة أسطورية، أو نظرة حول المكان والوقت (تقاليد علم موحد ,آراء....) ولها علاقة مع الممارسات اليومية والسلوكات (فردية أوجماعية) ونتيجة لهذه الأسباب تشكل التمثلات الجماعية القاعدة الأساسية للأحكام الإنسانية-(SECA,J-M. 2001: 20) هذا التأكيد على أن التمثلات التي تنبني على أسس الجماعة وترتبط بالوعي العام الذي يسود المجتمع فهي في منأى عن التغيير ومستمرة ودائمة عبر الأجيال لكن لا يمكن القول عنها أنها حقيقة وواقع اجتماعي بل حقيقة ذاتية سواء كانت صحيحة أو خاطئة.

يرى الباحث أبريك- أن التمثلات الاجتماعية هي منتوج ونظام لنشاط عقلي بفضله الشخص أو الجماعة تعيد بناء الواقع الذي تواجهه وتسند له رموزا خاصة، كما يعتبره نسق لترجمة الواقع الذي يحكم العلاقات مع الأفراد ومحيطهم-(Abric, J-C. 1994 :13).

إن دراسة التمثلات الاجتماعية تعطينا معلومات حول العلاقة بين الأفراد وجماعة انتماءهم حسب الاتجاهات التي يكونونها حول موضوع التمثل إذ تعطي معنا مشتركا بين أعضاء الجماعة والتي تؤدي بردود فعل متشابهة.

وقد بينت ذلك الباحثة -د.جودلات(1989)- حيث تأكد أن التمثلات الاجتماعية هي -شكل من أشكال المعرفة لها معنى موحد وتظهر ميزتها في طبيعة أنظمتها الاجتماعية التي تشكلها وتتميز بالخصائص التالية:

- مكونة اجتماعيا ومتقاسمة بين أفراد المجتمع .
- لها نظرة واقعية لتنظيم والتحكم في المحيط (مادي، اجتماعي، مثالي) وتوجه السلوك والاتصالات.
- تساهم في تأسيس نظرة موحد لواقع الجماعات الاجتماعية أو ثقافة معينة-(JODELET, D. 1989 :64.)

ويقصد بالتمثلات الاجتماعية للعمل التشكيلة العقلية للعالم الحقيقي للعمل، وهي تشكيلة منظمة ومرتبة للعناصر المكونة للعمل والمتمثلة في قيم العمل حول عنصر أو مجموعة من العناصر حكم عليها من طرف العامل بأنها مركزية حسب القيمة التي تعكسها وهذا يدل على أن تصور العمل مرتبط بقيم العمل التي يكونها الفرد حسب حاجته، وحسب تكوينه وخبراته وتنشئته الاجتماعية والمعلومات التي يملكها حول عالم العمل، ومن خلال مختلف الدراسات السابقة التي تناولت موضوع التمثلات الاجتماعية للعمل تمكنا من رصد أربعة قيم للعمل التي تعتبر الصورة التي يكونها الفرد حول عمله والمتمثلة في:

- **القيمة الأخلاقية:** إن العمل في الإسلام يعتبر عبادة، بغض النظر عن القيم الاقتصادية التي يوفرها، فكل عامل يتقن عمله ينال جزاء هذا الإتقان، فيحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العمل يقول (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)، ولا تقتصر القيمة الأخلاقية للعمل على الإتقان بل تشمل هذه القيمة العلاقات بين العمال ومن خلال الاحترام المتبادل بينهم وتضامنهم داخل المنظمة

واحترام القوانين، واحترام الوقت، واللوائح رغم أن الواقع قد يظهر غير ذلك.

- **الهوية المهنية:** إن الهوية المهنية- لها بعد نفسي واجتماعي أو علائقي في محيط العمل، تتعلق بالفرد نفسه، لكن أيضا باعتراف الآخر، كما أنها تبنى بتفاعل بين أنساق التنظيمات والعمل، والتكوين والمسار المهني لكل فرد داخل العمل- (ALEXANDRE – BAILLY, F, BOURGOIS, D. 2004: 19). يسعى الانتماء إلى توطيد الهوية وهي في المقابل دليل على وجوده، فالبعد الاجتماعي للهوية المهنية يضمنه الانتماء إلى جماعة مهنية معينة، تقدم للفرد مختلف القيم والمعايير التي يعبر بها عن انتمائه ومن ثم يبرز سلوك معين كمؤشر لانتمائه.

- **تحقيق الذات:**-تأخذ بعد نفسي حيث نكشف عن ذات العامل - في الواقع الذي يعيشه ومدى تحقيقها أو إكمال قوته وأنه موجود لتحقيق أكبر الأشياء حيث يحس بفعاليته- (GAETANE, C , ANDRE, C.2004:97) ، ويظهر تحقيق الذات داخل التنظيمات من خلال قبول العمال على التكوينات محاولة منهم اكتساب خبرات مهنية تأهلهم للحصول على مناصب أعلى في السلم التنظيمي، كما نجدهم أكثر العمال تحملا للمسؤولية نظرا لما لديهم من خبرات مهنية، وينعكس كل هذا على حياة العامل خارج المؤسسة بحصوله على مكانة مميزة بين أفراد مجتمعه.

- **ربح المال:** يكون عن طريق الأجرة أو المكافآت التي يحصل عليها الفرد، فالشعور بضرورة المال يختلف من عامل لآخر حسب تمثله للعمل وحسب حاجاته ورغباته، فالعامل الذي يعتبر أن العمل كوسيلة لربح المال قيمة ضرورية وذات أهمية، زاد شعوره بالانتماء إلى المؤسسة التي تمنح فرص الحصول على هذه المكافآت.

مفهوم الانتماء إلى المؤسسة:

الإنسان كائن اجتماعي بالفطرة يحب العيش في جماعات مع أقرانه من البشر لا يستطيع أن يلبى جميع رغباته واحتياجاته بنفسه، فهو في حاجة مثلا إلى الشعور بالأمن والطمأنينة وإثبات ذاته وهــذا لا يكون إلا في وسط جماعة يتفاعل أعضاؤها لكي يحقق كل منهم رغباته واحتياجاته، وتمثل الجماعة البوتقة التي يتفاعل بداخلها الإنسان وطريقة العمل مع الجماعات بجانب كونها تساعده على تنمية قدرات اجتماعية فهي أيضا أسلوب يساعد الجماعة وأعضاؤها على تحقيق رغباتهم واحتياجاتهم وأهدافهم، تضاربت وجهات النظر لمفهوم الانتماء واختلفت في مجال العلوم الإنسانية ما بين المفهوم النفسي والاجتماعي والفلسفي، عرف - روجي مكاييلي- الانتماء على أنه الشعور بالجماعة حيث تتواجد والشعور بنفسه أنه من هذه الجماعة ويضم مجموعة من الاتجاهات الفردية والمشاعر، الانتماء لا يعني فقط التواجد مع أو داخل جماعة إذ يمكن التواجد فيها دون إرادتنا فهي تتضمن التقمص لهذه الجماعة، ووجود روابط عاطفية وتبني أعضاءها القيم والمعايير والعادات والشعور بالتضامن مع الذين هم جزء منها - (MUCCHIELLI, R. 1989:99)، وذكر Guertin (1987) أن الشعور بالانتماء هو نظام تفاعلي بفضله يرتبط الأفراد فيما بينهم ويعرفون أنفسهم بالعلاقات مع بعضهم البعض حسب المصالح والقرابة(ASSAAD, E-A, KLEIN,O, 1998 : 67) ويقصد بالشعور بالانتماء إلى المؤسسة أو الانتماء التنظيمي في هذه الدراسة، الانتساب إلى مؤسسة -نافطال-، وتبني العامل قيمها التنظيمية وأهدافها، وبذل أكبر جهد من أجل تحقيق ما تتطلع إليه المؤسسة، والالتزام بمعاييرها والمساهمة الفعالة في مختلف النشاطات التنظيمية مع

الرغبة القوية في الاستمرار في العمل فيها، وتحقيق الذات داخل هذه المؤسسة دون غيرها. الانتماء هو توحد بين الفرد والجماعة مع توفر الإحساس بالأمان والرضا والفخر والاعتزاز بهذه الجماعة وقد تم تحديد أربعة مؤشرات للشعور بالانتماء إلى المؤسسة وهي على النحو التالي:

- **الالتزام التنظيمي:** حسب Kiesler (1971) الالتزام هو العلاقة الموجودة بين الفرد وأفعاله، بمفهوم آخر يلتزم الأفراد بسلوك حيث يجدون صعوبة في التخلي عنه حتى في حالة الفشل أو الخطأ وهنا نتحدث عن التحكم الذاتي، بما أن الفرد قد التزم وانغلق على نفسه داخل هذا السلوك- (BAGGIO,S. 2006: 26) وعرف الالتزام التنظيمي بصفة عامة على أنه العلاقة العاطفية التي تربط الفرد بمؤسسته ويرتكز على تقاسم القيم المهنية والأخلاقية بين العمال والرغبة المتزايدة للبقاء عضوا داخل المنظمة والإرادة المتنامية للعمل الجماعي الجيد -(LEMIR,L, MARTEL, G. 2007:171) ونقصد بالالتزام في هذه الدراسة تلك العلاقة النفسية التي تربط العامل بمؤسسته بحيث تتجسد في سلوك معين يترجم الرغبة الحقيقية للعامل بالبقاء في المؤسسة، وبذل اكبر جهد لنجاح المؤسسة والولاء لها، وتبني قيم المؤسسة والتوحد بجماعة العمل، وتوافق قيم وأهداف العامل مع قيم وأهداف المؤسسة، ويظهر أيضا من خلال روح المبادرة، والحرص على القيام بما هو مطلوب منه لإنجاز العمل، كاحترام القوانين واللوائح والانضباط، وإدراك العامل على أن العمل نشاط يستدعي الحرص في إنجازه.

- **الاندماج:** يعرف الاندماج في معجم الأمن والصحة في العمل (Encyclopédie de sécurité et de santé au) travail)هو أن يصبح

شخصا خارج المؤسسة عضوا أو جزء من الكل، وقد بينت الدراسات الكلاسيكية أن التكيف والرضا المهني هي إحدى المؤشرات الأساسية للاندماج غير أن الدراسات الحديثة أصبحت تركز أكثر على الاندماج والقلق المهني حيث وجد أنه كلما كان الاندماج قويا كلما زاد القلق المهني-(STELLMAN,J-M. 2000 :33-34)، - نقصد بالاندماج توافق سلوك العامل مع السلوك التنظيمي المتعارف عليه في المنظمات المنظمة أي تبني أو الاستجابة لمعايير وقيم المنظمة التي تحكم هذه المجموعة المهنية كتشجيع لوحدة الجهود والتنسيق بين مختلف وحداتها-(DURAND,C. 2000 : 113). يهدف الاندماج إلى تحقيق المشاركة الجماعية للعمال، لتحقيق أهداف المنظمة دون تجاهل أهدافهم الخاصة، وكنتيجة لهذا الاندماج يحدث تقمص لمجموعة انتماء العامل كأنها مجموعته وإنجازاتها هي إنجازاته الخاصة.

- **المساهمة التنظيمية:** تتمثل المساهمة التنظيمية في علاقة العامل بالمنظمة و-تعرف المساهمة في العمل حسب أبعاد مختلفة، ترمي إلى هوية الشخص وتتعلق بمستوى معين من التقمص في العمل وبالمشاركة في انجازه، وبالأهمية المعطاة إلى كفاءة العامل في تقدير ذاته، وتختلف من عامل إلى آخر لأنها مرتبطة بالحاجات الفردية وصورة الذات أكثر من الحالات والشروط المهنية التي يصادفها العامل-(VANDERBERGHE, C. 2007:16)، و-تظهر المساهمة أيضا في شخصية العامل من خلال جانبين الأول يتمثل في الشعور بالمسؤولية، وشعوره بأنه معنيٌ بالعمل الذي يقوم به ومسؤول عن أفعاله وطريقة تعامله مع الآخرين، وتحقيق حاجاته وما يرغب فيه العامل، والجانب الثاني يظهر من خلال تقمص العامل لدوره المهني- (RAULET-CORSET,N, ROLAND – LEVY, C. 2003 :133)، يشمل

مفهوم المساهمة التنظيمية على مفهوم الالتزام فلا يكتمل التزام العامل دون مساهمته في العمل، كالمشاركة في مختلف المهام من أجل تحقيق أهداف المؤسسة، والعمل لساعات إضافية كما تعتبر المساهمة إحدى أسباب الرضا المهني.

- **الامتثال**: يقول ASCH أن -الأفراد يواجهون داخل المجتمع مجموعة لا متناهية من المعايير وعليه التكيف معها، والتكيف هو في الواقع عملية الامتثال تحت الضغط الخفي أو غير المعلن للجماعة، حيث يغير الأفراد آراءهم ومعتقداتهم وسلوكهم، وبالتالي يندمجون مع الجماعة، وبالتالي يتبنون معايير وقوانين ونماذج التصرف الخاصة بالجماعة- (BAGGIO, S.2006: 22) والامتثال داخل المؤسسة يتعلق بتبني قيم ومعايير المؤسسة لتصبح قيم العامل الخاصة به وأن يثق بمؤسسته ويتبع التوجيهات المطلوبة منه، لتحافظ الجماعة على تجانسها الذي يعتبر ضروريا لعملها.

تحديد إشكالية الدراسة: إن الاهتمام والتركيز على السلوك الإنساني داخل المنظمات ضرورة ملحة، لأنه يساعد الإدارة المعنية بالتوظيف الأمثل والصائب لمواردها البشرية، ومن خلال المشكل المطروح سابقا، نحاول من خلال هذه الدراسة إيضاح العلاقة الموجودة بين العامل ومؤسسته وتبيان مدى تأثير التمثلات الاجتماعية لموضوع العمل لدى العمال على شعورهم بالانتماء إلى المؤسسة. إن الحديث عن الشعور بالانتماء إلى المؤسسة يندرج ضمن مقاربتين أساسيتين: الأولى المقاربة السلوكية والثانية المقاربة المعرفية:

المقاربة السلوكية: هي محاولة تقصي السلوك الموضوعي للعامل داخل مؤسسته والتي تترجم شعوره بالانتماء إليها ويظهر ذلك جليا

من خلال التزامه واحترامه وامتثاله لقوانين المؤسسة والاندماج مع قيم ومعايير المؤسسة.

المقاربة المعرفية: وهي مقاربة تنحصر ضمن إطار التفكير الاجتماعي للعمال باعتباره تفكيرا للتسيير اليومي بمعنى آخر -نظام اجتماعي معرفي خلف كل سلوك ملاحظ، ناتج عن تفاعل الأفراد فيما بينهم- (GARNIER, C. 2002 :2)نحاول من خلال هذه المقاربة رصد التفكير الذي يشغل ذهن العامل فيما يتعلق بموضوع العمل ومدى تأثير قيم هذا الموضوع(العمل) في سلوك العامل داخل المؤسسة، وهو ما ينعكس على شعوره بالانتماء إلى المنظمة، وحسب النموذج الذي اقترحه Rouquette - فإن العناصر المتعلقة بالتفكير الاجتماعي للأفراد تتمثل في الأيديولوجيا، التمثلات الاجتماعية والاتجاهات والآراء.-(BAGGIO,S, 2006:107)

إن التمثل في معناه العام هو الكيفية التي ينظم بها الفرد فهمه للواقع وللحقيقة التي يعكسها، إذ يمثل التنظيم الفردي للحقيقة الجماعية وهو الطرح الذي اتجه إليه الباحث - أبريك- من خلال تعريفه حيث يقول أن- التمثل هو مجموعة المعلومات والمعتقدات والاتجاهات والآراء التي يبنيها الفرد حول موضوع معين، فهي نتاج سيرورة النشاط العقلي، الذي بفضله يعيد الفرد تشكيل واقعه فيعطيه معنى محددا-(Abric,J-C.2004: 13). يستند التنظيم الذاتي أو ما يعرف بإعادة البناء العقلي للحقيقة الاجتماعية على جملة من الأطر المرجعية، التي تنتج من خلال حضور عنصر الفاعل ضمن مجالات متعددة في المجتمع، بمعنى أن الرموز التي يستند إليها الفرد لتشكيله الصورة العقلية لموضوع التمثل يستمدها من انتمائه الاجتماعي. إن هذه الرموز محددة تاريخيا، ثقافيا واجتماعيا. التمثلات الاجتماعية هي

شكل من أشكال المعرفة الاجتماعية التي تمكننا من التفاعل مع المحيط الاجتماعي وبما أن الفرد يعد كائنا اجتماعيا لا يستطيع الحياة في معزل فإن حاجته للانتماء والتقبل من الجماعات أمر ضروري، لذا وجب عليه أن يتطلع دائما إلى البحث عن إقامة علاقات ذات معنى مع الآخرين، يعد التمثل أحد أهم الوسائل الفردية التي تسهل عملية التواصل والتفاهم بين الأفراد، إذ له علاقة بصيانة العلاقات الاجتماعية وقد أورد S.Moscovici على أن التمثلات الاجتماعية - مرجع ومعيار اجتماعي يحتاج إليه الفرد لفهم العالم الخارجي وتحديد مكانته في هذا العالم وتطوير علاقته مع أفراد المجتمع- (ROUSSIAU, N , BONARDI,C. 2001:106). يتشكل التمثل بفضل التجارب والمعلومات المستقبلة والمنقولة عن العادات والتربية والتواصل الاجتماعي، لذا نعده يحوي جملة المعلومات المكونة اجتماعيا، والمتشاركة بين أفراد المجتمع، لذا يعمل التمثل على ضبط وتوجيه سلوك الفرد نحو مختلف العلاقات الاجتماعية مع الجماعات التي ينتمي إليها الفرد.

إن العمل هو أساس النشاط الاجتماعي ومصدر ضروري للعائدات وتحقيق الذات وعنصر أساسي للمكانة الاجتماعية، يساهم العمل بشكل خاص في تشكيل تمثلات العامل والتي ترتكز على قيم العمل الخاصة بكل فرد، كربح المال أو اعتبار العمل كوسيلة لتحقيق الذات، أو تجسيد للهوية المهنية، أو ترسيخ صورة العمل كقيمة أخلاقية، وتختلف هذه التمثلات من عامل لآخر حسب الصورة التي يكونها العامل حول عمله وحسب المحيط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لهذا العامل، حيث لا يمكن فهم الأسس السيكولوجية للعلاقة بين العامل والمنظمة فهما جيدا دون القيام بتحليل مظاهرها المعرفية،

والتي تتمثل في تحليل التمثلات الاجتماعية للعمل لدى العمال وتحليل تأثيرها على سلوك العامل داخل المؤسسة، تؤثر هذه التمثلات في سلوك الفرد العامل داخل المؤسسة وفترة عمله، أو بصيغة أخرى تمثلات العمل هي التي تحدد سلوك العامل داخل المؤسسة، حسب الصورة والفكرة التي يكونها عن عمله، قد تتدخل في هذه السيرورة جملة من الأبعاد السيكولوجية والاجتماعية، وهو الطرح الذي يجعل التمثل ينحو منحى عمليا إذ يأخذ دور الوسيط بين الفرد والمؤسسة التي توظفه.

يعمل النظام الديناميكي للتمثلات الاجتماعية للعمل على إنتاج سلوك وعلاقات تتمحور حول محيط العمل، من أجل تلبية رغبات العامل وطموحاته المهنية والاجتماعية، وتحقيق القيمة المعطاة للعمل، وكل هذه العوامل تحقق غايات المؤسسة، باعتبار أن أهداف العامل تتوافق وأهداف المؤسسة، محققة انسجاما يدفع العامل إلى القيام بمهامه على أحسن صورة، ويجعله يحس بأهمية الأعمال الموكلة إليه.

إن العامل يترجم الحالة التي يعيشها داخل محيط عمله باختيار سلوك معين يحدد العلاقة بين العامل ومؤسسته، واختيار هذا السلوك يعتمد على مجموعة من المعارف والتمثلات الاجتماعية حول العمل الناتجة من ثقافة العامل وكذلك محيطه وحالته الاجتماعية.

من الطرح نخلص إلى القول أن المؤسسة الكفأة التي تعمل على ضمان تقدمها واستمرارها لا بد لها من الاهتمام بالمورد البشري لأنه يمثل الركيزة الأساسية لتحقيق الأهداف المنشودة، فبتحقق التوافق بينهما، يولد لدى الفرد العامل الإرادة، والطموح للنهوض بالمؤسسة إلى أعلى طاقاتها الخدماتية، وتحسين صورتها وسمعتها الخارجية، هذا ما يدفع بنا إلى القول بوجود شعور لدى العامل بانتمائه للمؤسسة ،

وهو الأمر الذي يعطيه دفعا لبذل أكبر جهد ممكن، حفاظا على منصبه الوظيفي والإحساس بالرغبة في البقاء داخل المؤسسة، والاستمرار ضمن عضويتها.

إن هذا السلوك المسجل هو في الواقع سلوك تنظيمي، وهو يترجم حالة الشعور بالانتماء، حيث يعتبر هذا الأخير -الانتماء- حسب ما ورد لدى - Maslow - حاجة اجتماعية، على العامل تلبيتها ليكون ضمن سلم اجتماعي، وأن يكون مندمجا، فيحصل على الاعتراف من طرف الآخرين سواء المؤسسة التي يعمل بها، أو زملاءه في العمل-(BANQUEFORT D'ANGLARDS,M.2002:59).

يمكننا أن نحدد -إذن- الشعور بالانتماء إلى المنظمة من خلال عنصر المشاركة والعلاقات مع العمال، ما ينتج عنه تضامن بين العمال وامتثالهم للمؤسسة ورغبتهم في المساهمة الفعلية لنجاحها، وهو ما يتم بالالتزام والإخلاص في خدمتها، مبرزين -بذلك- الرغبة القوية في الاستمرار ضمن عضويتها، لتحقيق أهداف المؤسسة، والتي تمنحهم هي الأخيرة حوافز مادية ومعنوية لبلوغ حاجاتهم المختلفة.

نحاول من خلال هذه الدراسة معرفة مدى تأثير تمثلات العمل على الشعور بالانتماء لدى العمال، وما هي صورة العمل التي لها علاقة مع الشعور بالانتماء لدى عمال -نافطال- فرع GPL لولاية معسكر؟

فرضية الدراسة:

يمكن صياغة فرضيات الدراسة بصورة ملخصة كالآتي إن التمثلات الاجتماعية للعمل لدى العمال قد يكون لها تأثير كبير على الشعور بالانتماء إلى المؤسسة، الشعور بالانتماء يختلف من عامل لآخر باختلاف التمثلات الاجتماعية للعمل، ونحاول من خلال هذا البحث دراسة العلاقة بين التمثلات الاجتماعية للعمل بأبعاده الأربعة والتي

تمثل قيم العمل(العمل كوسيلة لتحقيق الذات، العمل تجسيد للهوية المهنية، العمل كوسيلة لربح المال والعمل كقيمة أخلاقية) والشعور بالانتماء إلى المؤسسة وأبعاده الأربعة(الإمتثال، الالتزام، الاندماج والمساهمة).

الهدف من الدراسة: يكمن الهدف من الدراسة في تحديد العلاقة بين التمثلات الاجتماعية للعمل والشعور بالانتماء إلى المؤسسة والتعرف على التعرف على تمثلات العمل السائدة لدى عمال مؤسسة-نافطال- فرع (GPL) لولاية معسكر.

أهمية الدراسة: هذا البحث يعتبر دراسة مهمة في مجال دراسة العلاقة بين التمثلات الاجتماعية للعمل كمتغير معرفي والانتماء كمتغير نفسي، وتظهر أهمية هذه الدراسة في الطرح النظري لموضوع البحث وهو من الموضوعات الحديثة التي تحتاج لمزيد من التأطير النظري، كما قد يساهم البحث في تزويد المنظمات طرق تحفيز عمالها، واستفادة المجالات التربوية والمنظمات بنتائج البحث.

الأدوات المستخدمة في الدراسة: استخدمت الباحثة ثلاث تقنيات خلال هذه الدراسة حتى تتمكن من جمع أكبر قدر من المعلومات، تمثلت في المقابلة والملاحظة والاستبيان.

1-**المقابلة** : تم الاستعانة بالمقابلة من اجل الوصول إلى أحسن النتائج، حيث أجرت الباحثة 03 مقابلات نصف موجهة أتاحت لها الفرصة لملاحظة سلوك وتصرفات العمال وردة فعلهم اتجاه سلوك ما، وهو ما يساعد على تقدير نسبة الصدق في الإجابات ومدى ملاءمة صيغة الأسئلة مع لغة العامل والتأكد من أن عبارات الاستبيان المقترحة مفهومة وأنها موجودة فعلا في تفكير العامل أو أنها جزء من سلوكاته اليومية.

2- **الملاحظة:** تمكن الملاحظة من تمييز بعض السلوكات التي تعتبر كمؤشرات عن اتجاهات العامل وهي وسيلة هامة لجمع بيانات مختلفة في الميدان ومعرفة جو العمل والطرق المستعملة في التعامل بين الإدارة والعمال والعلاقات بين العمال ويوميات العامل.

3- **الاستبيان:** أعدت الباحثة أداة الدراسة التي تكونت من استمارتين: استمارة تتعلق بمتغير التمثلات الاجتماعية للعمل واستمارة مخصصة لمتغير الشعور بالانتماء إلى المؤسسة دون الفصل بينهما، لذلك نجد أداة الدراسة مقسمة إلى جزأين، تضمن الجزء الأول بيانات شخصية ومهنية خاصة بالعامل. وتكون الجزء الثاني من فقرات كلا المتغيرين؛ متغير التمثلات الاجتماعية للعمل والهدف من هذه الأداة هو التقرب أكثر ما يمكن من التفكير الحقيقي والواقعي للعمال حول العمل؛ تتكون هذه الأداة من 22 فقرة موزعة على أربعة أبعاد، بعد تمثل العمل كوسيلة لتحقيق الذات وبعد تمثل العمل كوسيلة لتجسيد للهوية المهنية وبعد تمثل العمل كوسيلة لربح المال وبعد تمثل العمل كقيمة أخلاقية أما المتغير الثاني تمثل في الشعور بالانتماء إلى المؤسسة تكون من 40 فقرة تصف السلوكات التنظيمية التي تترجم الشعور بالانتماء إلى المؤسسة، تهدف هذه الأداة لتشخيص العامل والكشف عن العلاقة التي تربطه بمؤسسته من خلال المتغيرات التحتية (الالتزام والمساهمة والامتثال والاندماج). بعد التأكد من صدق وثبات الاستبيان تم توزيعه على عينة الدراسة.

الحدود الجغرافية للدراسة: تعتبر مؤسسة -**نافطال**- من المؤسسات الرائدة في الجزائر لما تقدمه من خدمات في مجال تخزين ونقل المواد البترولية عبر كافة التراب الوطني، بعد استقلال الجزائر كان نشاط التخزين وتوزيع المحروقات من مهام مؤسسة **سونطراك** إلى أن أصدر

مرسوم رقم 80/ 101 في 6 أفريل 1981 والذي اقتضى إنشاء المؤسسة الوطنية لتكرير وتوزيع المنتجات البترولية(ERDP)*، بدأت المؤسسة نشاطها في الفاتح من جانفي 1982 واهتمت بصناعة وتكرير وتوزيع المنتجات البترولية، عدلت وقسمت فيما بعد وفق المرسوم 87/ 189 في 25أوت 1987 إلى مؤسستين وطنيتين:

- مؤسسة مختصة في تصفية وتكرير البترول **نفطاك (Naftec)**
- مؤسسة مختصة في توزيع وتسويق المنتجات البترولية ومشتقاتها على مستوى التراب الوطني تحت علامة **نفطال(Naftal)** وعرفت على الصعيد الوطني والدولي باسم المؤسسة الوطنية لتسويق وتوزيع المنتجات البترولية، يتكون المصطلح الأجنبي لمؤسسة **نفطال(Naftal)** من: **(Naft)** مصطلح عربي ويعني النفط و **(al)** اختصار لكلمة الجزائر(**Al**gérie**)**. اقتصرت دراستنا على فرع غاز البترول المميع(Branche GPL) وبالتحديد فرع غاز البترول المميع(GPL) لولاية معسكر.

الحدود البشرية للدراسة: إن المجتمع الأصلي يتكون من 133 عاملا حيث أختارت الباحثة منه لدراستها 100 عامل تمثل مجتمع الدراسة يعملون في شركة- نفطال- لولاية معسكر دائرة -الكرط- وهذا العدد اشتمل على أغلب عمال الشركة ومن جميع مصالحها وهي موزعة كالتالي في الجدول:

الجدول رقم (01) يوضح طريقة توزيع المجتمع الأصلي ومجتمع الدراسة.

	المجتمع الأصلي	مجتمع الدراسة

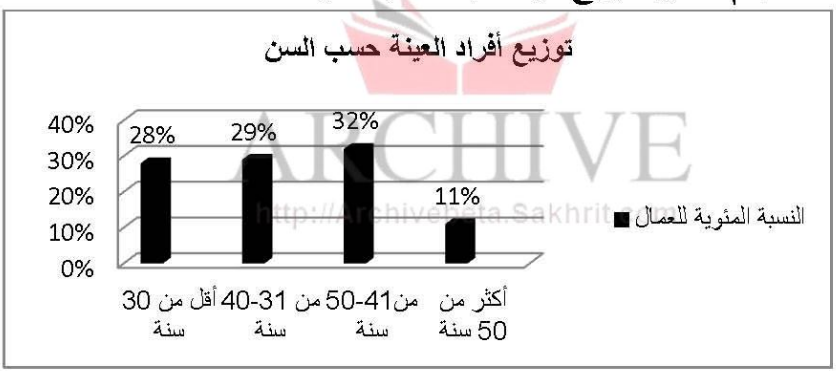
* **E**ntreprise **N**ational de **R**affinage et de **D**istribution des produits **P**étroliers.

الفئات / المصالح	إطارات	عامل مؤهل	عامل منفذ	مج	إطارات	عامل مؤهل	عامل منفذ	مج
الاستغلال	1	8	22	31	1	6	16	23
الصيانة	1	5	13	19	1	4	9	14
الأمن	1	14	34	49	1	10	26	37
المحاسبة والمالية	3	3	10	16	1	3	8	12
النقل	1	6	11	18	1	4	9	14
المجموع	7	36	90	133	5	27	68	100

مواصفات العينة:

- **توزيع العينة حسب السن:**

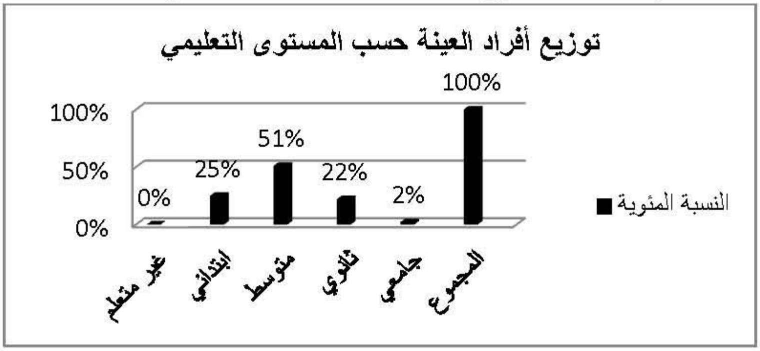
مخطط رقم 01 يبين توزيع أفراد العينة حسب السن



يتضح من خلال المخطط أن نسبة العمال الذين تتراوح أعمارهم ما بين 41 سنة و 50 سنة هي 32■ وهي أكبر نسبة مئوية مقارنة مع باقي الأعمار وتقل النسبة المئوية العمال الأكثر من50 سنة حيث تصل إلى 11■ أما فئة ما بين 31 و 40 فتصل نسبتها المئوية إلى 29■ كما نلاحظ أن فئة العمال الأقل من 30 سنة تصل نسبتهم المئوية إلى 28■ وهذا يعود إلى سياسة التوظيف التي تقوم بها المؤسسة من أجل الحفاظ على توازن مواردها البشرية.

- توزيع العينة حسب المستوى التعليمي:

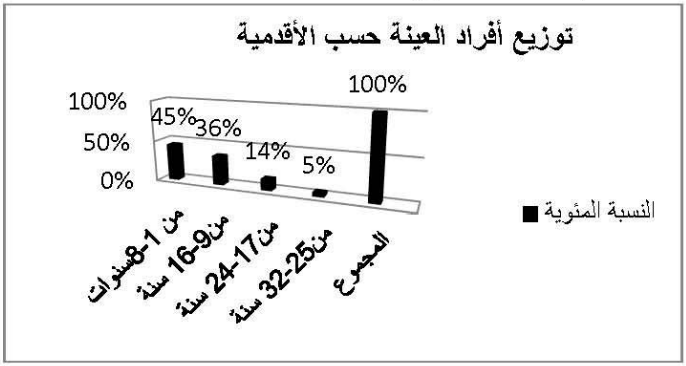
مخطط رقم(02) يبين توزيع العينة حسب المستوى التعليمي.



يتضح من خلال المخطط أن هناك اختلافات واضحة في المستوى التعليمي حيث 51 ■من العمال متحصلين على شهادة التعليم المتوسط وهي أكبر نسبة مقارنة مع باقي المستويات، و 25■ من العمال متحصلين على شهادة ابتدائية و 22■ من العمال متحصلين على شهادة ثانوية، 2■ من العمال متحصلين على شهادة جامعية وهي نسبة ضعيفة جدا مقارنة مع حجم وأهمية المؤسسة ويعود ذلك أيضا إلى نوع نشاط المركز.

- توزيع العينة حسب الأقدمية:

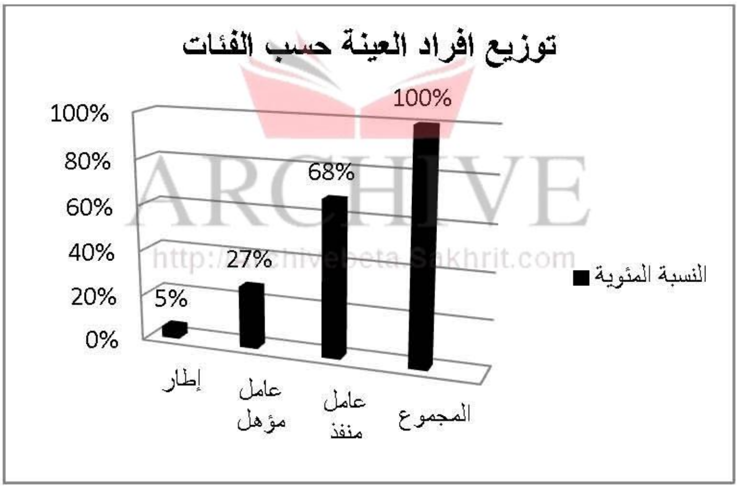
مخطط رقم (3) يبين توزيع أفراد العينة حسب الأقدمية



يتضح من خلال المخطط أن نسبة العمال الذين تتراوح أقدميتهم في المؤسسة ما بين 1 سنة و 8 سنة هي 45■ وهي أكبر نسبة مئوية مقارنة مع باقي الفئات وتقل النسبة المئوية للعمال من فئة 25-32 سنة حيث تبلغ إلى 5■ أما فئة ما بين 9-16سنة فتصل نسبتها المئوية إلى 36■ كما نلاحظ أن فئة العمال 17-24 سنة تصل نسبتهم المئوية إلى 14■ ويمكن أن نلاحظ أن هناك توزيع طبيعي للعمال من حيث الأقدمية وهذا التدرج يعتبر عنصر إيجابي بالنسبة للمؤسسة.

- **توزيع العينة حسب الفئات :**

مخطط رقم (3) يبين توزيع أفراد العينة حسب الفئات



من خلال الجدول نلاحظ 68■ من العمال المنفذين وهي أكبر نسبة ويرجع هذا إلى طبيعة عمل المؤسسة التي تعتمد على اليد العاملة المنفذة أكثر من باقي الفئات، حيث تليها النسبة المئوية للعمال المؤهلين التي تصل إلى 27 ■ 5ونجد في الأخير الإطارات وهي أقل نسبة تصل إلى 5■ .

المنهج المعتمد في الدراسة: اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يعبر عن الظاهرة المراد دراستها كميا وكيفيا بعد جمع

المعلومات وتحليلها والكشف عن العلاقة بين مختلف الأبعاد وتفسيرها والوصول إلى استنتاجات لها دور في تحسين واقع المؤسسات، ولمعالجة نتائج الدراسة الأساسية استخدمت الباحثة مجموعة من الأساليب الإحصائية كحساب النسب المئوية، ومعامل الارتباط سبيرمان براون لدراسة العلاقة بين أبعاد التمثلات الاجتماعية للعمل وأبعاد الشعور بالانتماء إلى المؤسسة.

عرض نتائج الدراسة وتحليلها:

1- عرض الفرضيات التي تحققت:

- **علاقة تمثل العمل كوسيلة لتحقيق الذات والالتزام في العمل:**

الجدول رقم(2) العلاقة الارتباطية بين تمثل العمل كتحقيق للذات والالتزام في العمل.

العلاقة الارتباطية	معامل الارتباط	العلاقة
العمل كتحقيق للذات- الالتزام في العمل	0.242	دالة عند مستوى 0.05

يتضح من خلال التحليل الكمي وكما يظهر في الجدول أن هناك علاقة دالة إحصائيا بين تمثل العمل كوسيلة لتحقيق الذات والالتزام في العمل حيث وجدنا قيمة سيبرمان تساوي0.242 وهي أكبر من الجدولية عند درجة الحرية (ن-2) و تحت مستوى الدلالة 0.05 ، إن صور ة العمل كوسيلة لتحقيق الذات لها علاقة مع السلوكات التي تترجم الالتزام في العمل من حيث علاقة العامل بالمؤسسة وعلاقة العامل مع النظام العام للمؤسسة.

- **علاقة تمثل العمل كتحقيق للذات والاندماج في العمل:**

جدول رقم(03) العلاقة الارتباطية بين تمثل العمل كتحقيق للذات والاندماج في العمل.

العلاقة الارتباطية	معامل الارتباط	العلاقة
العمل كوسيلة لتحقيق الذات- الاندماج	**0.329**	**دالة عند مستوى دلالة 0.05**

يتضح من خلال الجدول أن العلاقة بين تمثل العمل كتحقيق للذات مع متغير الاندماج داخل العمل دالة إحصائيا حيث وجدنا قيمتها تساوي0.329 تحت مستوى الدلالة 0.05. يندمج العمال داخل المؤسسة لأنهم يجدون فيها مصالحهم الشخصية، و كما بين -كروزيي- أن الاندماج يكون عن طريق الانقياد المفروض بالواجبات والالتزامات أو بالإرادة والرضا عن طريق المشاعر والأفكار-(CRROZIER ,M, ERHARD, F.1977:21). هنا يبين -كروزيي- أن الأفكار التي يملكها العامل لها دور في اندماج العامل داخل مؤسسته وبما أن التمثلات هي جملة لأفكار والآراء التي يملكها العامل حول عمله فالتمثلات لها دور في اندماج العامل داخل مؤسسته.

- **علاقة تمثل العمل كتحقيق للذات والامتثال للقوانين والمعايير:**

الجدول رقم(04) العلاقة الارتباطية بين تمثل العمل كتحقيق للذات والامتثال للقوانين.

العلاقة الارتباطية	معامل الارتباط	العلاقة
العمل كتحقيق للذات- الامتثال	**0.315**	**دالة عند مستوى دلالة 0.05**

هناك علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين تمثل العمل كتحقيق للذات وامتثال العامل للوائح وقوانين المؤسسة حيث وجدنا قيمتها تساوي 0.315 و هي أكبر من الجدولية عند درجة الحرية (ن-2) وتحت مستوى الدلالة 0.05 .

تمثل العمل كتجسيد للهوية المهنية والامتثال في العمل:

جدول رقم(05) العلاقة الارتباطية بين تمثل العمل كتجسيد للهوية المهنية والامتثال للقوانين.

العلاقة الارتباطية	معامل الارتباط	العلاقة
العمل كتجسيد الهوية المهنية- الامتثال للقوانين	0.299	دالة عند مستوى دلالة 0.05

يكشف لنا التحليل الكمي أن هناك علاقة ارتباطيه بين متغير تصور العمل كتجسيد للهوية المهنية والامتثال في العمل حيث تساوي قيمتها 0.299 و هي أكبر من الجدولية عند درجة الحرية (ن-2) وعند مستوى الدلالة 0.05.

- **تمثل العمل كوسيلة لربح المال والاندماج في العمل:**

جدول رقم(05) يبين العلاقة الارتباطية بين تمثل العمل كوسيلة لربح المال والاندماج في العمل.

العلاقة الارتباطية	معامل الارتباط	العلاقة
العمل كوسيلة لربح المال- الاندماج	0.214	دالة عند مستوى دلالة 0.05

نلاحظ من خلال الجدول أن هناك علاقة ارتباطية دالة احصائيا بين تمثل العمل كوسيلة لربح المال والاندماج تساوي 0.214 وهي قيمة دالة تحت مستوى الدلالة 0.05 غير أنها ضعيفة.

- **تمثل العمل كقيمة أخلاقية والامتثال للقوانين واللوائح:**

الجدول رقم(06) يبين العلاقة الارتباطية بين تمثل العمل كقيمة أخلاقية والامتثال للقوانين.

العلاقة الارتباطية	معامل الارتباط	العلاقة
العمل كقيمة أخلاقية- الامتثال للقوانين	0.315	دالة عند مستوى دلالة 0.05

يوجد علاقة بين تمثل العمل كقيمة أخلاقية الامتثال للقوانين واللوائح حيث وجدنا قيمة سبيرمان براون تساوي0.315 وهي قيمة دالة عند مستوى الدلالة 0.05.

- **تمثل العمل كقيمة أخلاقية والمساهمة في العمل:**

الجدول رقم(07) يبين العلاقة الارتباطية بين تمثل العمل كقيمة أخلاقية والمساهمة في العمل .

العلاقة الارتباطية	معامل الارتباط	العلاقة
العمل كقيمة أخلاقية- المساهمة في العمل	0.264	دالة عند مستوى دلالة 0.05

يوجد علاقة بين تمثل العمل كقيمة أخلاقية والمساهمة في العمل حيث وجدنا قيمة سبيرمان براون تساوي 0.264 وهي قيمة دالة عند مستوى الدلالة 0.05.

2- عرض الفرضيات التي لم تتحقق:

- **علاقة تمثل العمل كوسيلة لتحقيق الذات والمساهمة في المؤسسة:**

الجدول رقم(08) يبين العلاقة الارتباطية بين تمثل العمل كتحقيق للذات والمساهمة في العمل.

العلاقة الارتباطية	معامل الارتباط	العلاقة
العمل كتحقيق	0.198	غير دالة عند مستوى

للذات- المساهمة في العمل		**دلالة 0.05**

لا يوجد علاقة دالة إحصائيا بين متغير تمثل العمل كتحقيق للذات والمساهمة في العمل حيث وجدنا قيمتها تساوي 0.198 وهي أصغر من الجدولية تحت مستوى الدلالة 0.05.

- **علاقة تمثل العمل كتجسيد الهوية المهنية والالتزام في العمل:**

الجدول رقم(08) يبين العلاقة الارتباطية بين تمثل العمل كتجسيد للهوية المهنية والالتزام في العمل.

العلاقة الارتباطية	معامل الارتباط	العلاقة
العمل كتجسيد الهوية المهنية- الالتزام في العمل	0.141	غير دالة عند مستوى دلالة 0.05

لا يوجد علاقة دالة بين متغير تمثل العمل كتجسيد الهوية المهنية والالتزام في العمل حيث وجدنا قيمتها تساوي 0.141 وهي أصغر من الجدولية عند مستوى الدلالة 0.05 .

- **علاقة تمثل العمل كتجسيد للهوية المهنية والاندماج في العمل:**

الجدول رقم(09) يبين العلاقة الارتباطية بين تمثل العمل كتجسيد للهوية المهنية والاندماج في العمل.

العلاقة الارتباطية	**معامل الارتباط**	**العلاقة**
العمل كتجسيد الهوية المهنية- الاندماج	**0.141**	**غير دالة عند مستوى دلالة 0.05**

لا يوجد علاقة دالة إحصائيا بين متغير تمثل العمل كتجسيد الهوية المهنية والاندماج في العمل حيث وجدنا قيمتها تساوي0.141 وهي أصغر من الجدولية تحت مستوى الدلالة 0.05 .

تمثل العمل كتجسيد للهوية المهنية والمساهمة في العمل:

الجدول رقم(10) يبين العلاقة الارتباطية بين تمثل العمل كتجسيد للهوية المهنية والمساهمة في العمل بعد حساب سبيرمان براون.

معامل الارتباط	معامل الارتباط	العلاقة
العمل كتجسيد الهوية المهنية- المساهمة في العمل	0.188	غير دالة عند مستوى دلالة 0.05

لا يوجد علاقة بين تمثل العمل كتجسيد للهوية المهنية والمساهمة في العمل حيث وجدنا قيمة سبيرمان براون تساوي 0.188 وهي قيمة غير دالة تحت مستوى الدلالة 0.05.

- **تمثل العمل كوسيلة لربح المال والالتزام في العمل:**

الجدول رقم (11) يبين العلاقة الارتباطية بين تمثل العمل كوسيلة لربح المال والالتزام في العمل.

العالقة الارتباطية	معامل الارتباط	العلاقة
العمل كوسيلة لربح المال- الالتزام في العمل	0.112	غير دالة عند مستوى دلالة0.05

لا يوجد علاقة إرتباطية بين تمثل العمل كوسيلة لربح المال والالتزام في العمل حسب ما يظهر في الجدول حيث نجد أن قيمة معامل الارتباط سبيرمان براون تساوي 0.112 وهي قيمة غير دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.05.

- **علاقة تمثل العمل كوسيلة لربح المال والامتثال في العمل:**

الجدول رقم(12) يبين العلاقة الارتباطية بين تمثل العمل كوسيلة لربح المال والامتثال للقوانين.

العلاقة الارتباطية	معامل الارتباط	العلاقة
العمل كوسيلة لربح المال- الامتثال للقوانين	0.098	غير دالة عند مستوى دلالة 0.05

لا توجد علاقة دالة احصائيا بين تمثل العمل كوسيلة لربح المال والامتثال للقوانين واللوائح حسب ما يظهر في الجدول حيث نجد أن قيمة معامل الارتباط تساوي 0.098 وهي قيمة غير دالة عند مستوى الدلالة 0.05 .

تمثل العمل كوسيلة لربح المال والمساهمة في العمل:

الجدول رقم(13) يبين العلاقة الارتباطية بين تمثل العمل كوسيلة لربح المال والمساهمة في العمل بعد حساب سبيرمان براون.

العلاقة الارتباطية	معامل الارتباط	العلاقة
العمل كوسيلة لربح المال- المساهمة في العمل	0.182	غير دالة عند مستوى دلالة 0.05

لا يوجد علاقة ارتباطية دالة احصائيا بين تمثل العمل كوسيلة لربح المال والمساهمة حيث وجدنا قيمة سبيرمان براون تساوي 0.098 وهي قيمة غير دالة عند مستوى الدلالة 0.05.

- **تمثل العمل كقيمة أخلاقية والالتزام في العمل:**

الجدول رقم(14) يبن العلاقة الارتباطية بين تمثل العمل كقيمة أخلاقية والالتزام في العمل.

العلاقة الارتباطية	معامل الارتباط	العلاقة
العمل كقيمة أخلاقية- الالتزام في العمل	0.004	غير دالة عند مستوى دلالة 0.05

لا يوجد علاقة ارتباطية دالة احصائيا بين تمثل العمل كقيمة أخلاقية والالتزام حيث وجدنا قيمة سبيرمان براون تساوي 0.004 عند مستوى الدلالة 0.05.

- **تمثل العمل كقيمة أخلاقية والاندماج في العمل:**

الجدول رقم(15) يبين العلاقة الارتباطية بين تمثل العمل كقيمة أخلاقية والاندماج في العمل.

العلاقة الارتباطية	معامل الارتباط	العلاقة
العمل كقيمة أخلاقية- الاندماج في العمل	0.125	غير دالة عند مستوى دلالة 0.05

لا يوجد علاقة ارتباطية دالة احصائيا بين تمثل العمل كقيمة أخلاقية والاندماج في العمل حيث وجدنا قيمة سبيرمان براون تساوي 0.125 وهي قيمة غير دالة عند مستوى الدلالة 0.05.

- **مناقشة نتائج الدراسة:**

إن الهدف من دراسة التمثلات الاجتماعية هو محاولة فهم تفكير الفرد اتجاه جماعة معينة ومدى تأثير هذه التمثلات على سلوك الأفراد، يقول أبريك – التمثلات الاجتماعية هي مجموعة منظمة من المعلومات والمعتقدات والاتجاهات والآراء التي يكونها الفرد حول موضوع معين-(ABRIC.J-C. 2004 :13) كل المعلومات التي سبق وجودها داخل نظام التمثلات هي التي تساعد الفرد على التنبؤ بالموقف بمعنى أنه يكون محضرا معرفيا حول الموضوع أو الموقف حسب

ما اكتسبه من تعلمه حول الموضوع أو سبق لهذا الموقف الحدوث فبالتالي يهيئ الفرد نفسه حسبها ويكون سلوكه وفقا لها.

إن علاقة الفرد بمؤسسته باعتبارها إحدى جماعات الانتماء لها دور كبير في تلبية مختلف حاجاته وتحقيق أهدافه المرجوة، هذه الأهداف تحددها التمثلات الاجتماعية لموضوع العمل التي يتم استحضارها أثناء أداء العامل لعمله وبالتالي تؤثر على سلوكه التنظيمي وتوجهه من أجل تحقيق أهدافه وترتبط هذه العلاقة (تمثل/ سلوك) أيضا بمدى علم الفاعل بمحيط العمل وبقدراته الذاتية. التمثلات الاجتماعية باعتبارها عملية معرفية توجه تفكير العامل نحو جماعة العمل التي ينتمي إليها لها دور كبير في التأثير على سلوك الفرد اتجاه جماعة انتماءه ودرجة التزامه وولاءه لها واندماجه مع باقي أعضائها، حيث يؤكد على ذلك الباحث أبريك ويذكر إن- التمثلات الاجتماعية إعلامية وتفسيرية لطبيعة العلاقات الاجتماعية، داخل وبين الجماعات، وأيضا للعلاقات بين الأفراد ومحيطهم الاجتماعي، وبهذا فهي عنصر أساسي في فهم وتحديد السلوك والممارسات الاجتماعية-(ABRIC, J-C. 1994 : 18).

انطلقنا من الفكرة الأساسية أنه قد تكون هناك علاقة ارتباطية بين تمثل العمل والشعور بالانتماء إلى المؤسسة، حيث يعتبر الشعور بالانتماء عامل من عوامل الانسجام داخل المؤسسة واعتبرنا أن التمثلات هي العنصر الأساسي لشرح وفهم طريقة تفكير العمال وسلوكهم اتجاه المهمة وبالأخص علاقة العمال بالمؤسسة التي توظفهم وبعد البحث النظري والدراسة الميدانية في مؤسسة- نفطال- GPLلولاية معسكر أكدت الدراسة الحالية على وجود علاقة ارتباطية بين بعض أبعاد التمثلات الاجتماعية للعمل وأبعاد الشعور بالانتماء إلى المؤسسة.

إن حالية(تحيين) وتوفرية التمثلات الاجتماعية وسرعة ظهور المعلومات تضمن اتصال بين الأفراد وتوجه سلوكاهم فالعقل يقوم بتصنيف المعلومات داخل المحيط وتحليلها من أجل تكوين تمثلات لهذا المحيط مما يسمح للفرد بضبط سلوكه حسب تمثلاته -يعتبر التمثل مصفاة مترجمة (filter interpretative) ووسيلة لفك الرموز، تساعد الفرد على إنتاج وإعادة تكوين للواقع وتعتبر أيضا إعادة تنظيم معرفي حيث تأخذ كل من المفاهيم الأيديولوجية الشخصية (الاتجاهات والآراء) والجماعية (القيم والمعايير) مكان أساسي في المنتوج كما في آلية التكوين-(.SECA,J-M.2001:40). ومن خلال تحليلنا لنتائج الدراسة توصلت الباحثة إلى أن تمثل العمل كوسيلة لتحقيق الذات له تاثير كبير على السلوكات التي تترجم الشعور بالانتماء إلى المؤسسة والمتمثلة في الالتزام والاندماج والامتثال وهذا يعكس مدى رغبة العامل في الحصول على ترقية والنمو داخل المؤسسة وتطوير ذاته ويظهر ذلك من خلال مختلف السلوكات التي تتيح له الفرص داخل المؤسسة كما تبين من خلال الدراسة أن صورة العمل كوسيلة لتحقيق الذات لا تؤثر على مساهمة العامل داخل المؤسسة. إن صورة العمل كتجسيد للهوية المهنية تزيد من امتثال العامل لقيم وقوانين المؤسسة باعتبار هذه القوانين والقيم جزء من ثقافة المؤسسة التي تمد العامل هوية مهنية خاصة لذلك عليه الامتثال حتى لا يتعرض للإقصاء و بالتالي يفقد هذه الهوية غير أن هذه الصورة لم يكن لها تأثير على باقي مؤشرات الانتماء المتمثلة في الاندماج و المساهمة التنظيمية الذي يشمل بدوره على الالتزام فلا يكتمل التزام العامل دون مساهمته في العمل. وتوصلت الباحثة على أن تمثل العمل كوسيلة لربح المال يزيد من اندماج العمال داخل المؤسسة، إما مع الزملاء لتخفيف ضغط

العمل بمساعدتهم لبعضهم البعض وتضامنهم أو مع المهمة لمضاعفة أرباحه، فالاندماج هو في الواقع تحقيق المشاركة الجماعية للعمال وتوحد جهود العامل يؤدي مهامه كاملة وبالتالي يحصل على المكافآت. لا يؤثر هذا التمثل على باقي مؤشرات الانتماء إلى المؤسسة من التزام وامتثال ومساهمة ففي اعتقاد العامل أن المهمة هي الوحيدة التي تؤدي إلى الحصول على أجرة كاملة أو مكافآت أما باقي المؤشرات فلا علاقة لها في ذلك. إن العمل كقيمة أخلاقية يزيد من امتثال العمال باعتبار القيم الأخلاقية من ضمن أخلاقيات المهنة والامتثال للقوانين ومعايير المؤسسة ويبن ذلك إدراك العامل لأهمية هذه القيم والمعايير التنظيمية في تحقيق أهداف المؤسسة كما أن هذا التمثل يزيد من مساهمة العامل في المؤسسة تظهر المساهمة أيضا في شخصية العامل من خلال جانبين الأول يتمثل في الشعور بالمسؤولية، وشعوره بأنه معنيٌ بالعمل الذي يقوم به، ومسؤول عن أفعاله وطريقة تعامله مع الآخرين والعمل على إرضاء الزبائن وتقديم خدمة لهم والجانب الثاني يظهر من خلال تقمص العامل لدوره المهني مما يؤدي به إلى الرضا المهني.

المراجع:

1. ABRIC, JEAN- CLAUD. (2004). Psychologie de la communication, édition Armand Colin, collection cursus.
2. ABRIC. JEAN-CLAUDE (1994). Pratique sociale et représentation, édition, PUF.
3. ALEXANDRE – BAILLY, FREDERIQUE, BOURGOIS, DENIS. (2004). Comportements humains et managements, édition Pearson Education France.
4. BAGGIO STEPHNIE. (2006). Psychologie sociale, édition De Boeck Supérieur
5. BANQUEFORT D'ANGLARS, MEDLEINE. (2002). Motivations et compensation, ED Elsevier Masson.
6. CRROZIER ,MICHEL, ERHARD FRIEDBERG. (1977). L'acteur et le système, les contraintes de l'action collective, éditions du seuil.

7. Daniel Mercure, Baya Harricane, Smail Seghir, André Steenhaut.(1997). Culture et gestion en Algérie, édition LHARMATTAN.
8. DURAND, CLAUDE. (2000). Sociologie du travail, édition Octars.
9. ELIA AZZI , ASSAAD, OLIVIER KLEIN.(1998). Psychologie sociale et relations intergroupes, Dunod.
10. GAETANE, CHAPELLE, ANDRE CHRISTOPHE. (2004). Le moi du normale au pathologique, édition science humaines.
11. GARNIER CATHRINE. (2002). Les formes de la pensée sociale, édition Presses Universitaires de France.
12. GUIMELLI, CHRISTIAN. (1999). La pensée sociale, édition PUF.
13. JODELET.DENISE. (1989).Les représentations sociales, édition PUF
14. LEMIR LOUISE, MARTEL GAETAN. (2007). L'approche systématique de la gestion des ressources humaines, édition PUQ.
15. MUCCHEILLI, ROGER(1989). La dynamique des groupes, édition ESF.
16. RAULER – CROSET, NATHALIE, CHRISTINE ROLAND – LEVY. (2003). Comportements humains et management, édition Pearson.
17. ROUSSIAU. NICOLAS, BONARDI.CHRISTINE. (2001). Les représentations sociales, édition MARDAGA.
18. SECA, JEAN-MARIE(2001). Les représentations sociales, édition Armand colin.
19. STELLMAN, JEAN MAGER. (2000). Encyclopédie de sécurité et de santé au travail, volume 2, édition international labour organization.
20. VANDERBERGHE CHRISTIAN. (2003). L'engagement, édition l'ARMATTAN.

تشخيص اضطراب التوحد من خلال التقنية الاسقاطية: التحقق من فرضية الفردانية النفسية لحالات التوحد

د. جعدوني الزهراء،
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،
جامعة معسكر.

ملخص: يحمل هذا المقال نظرة جديدة عن اضطراب التوحد من خلال فرضية الفردانية النفسية الديناميكية لهذه الحالات؛ بحيث أننا نتعامل اليوم كمختصين في الصحة النفسية مع هذه الحالات بناءا على التشخيص العرضي لها، الذي يتم وفقا لمعايير تشخيصية معروفة وبوسائل عيادية وطبيّة تقوم في الدرجة الأولى على الملاحظة المباشرة للسلوك، لنتعامل مع المتوحد كجدول عيادي ونطبق بذلك نفس البرامج العلاجية مع مختلف الحالات، مما يجعل من الصعب تسجيل أي تقدّم في مسار هذه البرامج. تطبيق تقنيات تقويم الشخصية خاصة التقنية الاسقاطية في عملية التشخيص يقودنا الى رؤية هذا الاضطراب من زاوية جديدة، هي زاوية البناء الديناميكي لكل حالة بكل ما تحمله من صراعات ودفاعات واشكاليات بنيوية واستثمارات موضوعية ونرجسية تجعل من السهل تحديد وتفسير وتوقّع استجابات الحالة وسلوكاتها وبالتالي توجيه برامج التكفل النفسي والتربوي الفعّال.

الكلمات المفتاحية: اضطراب التوحد، التقنية الاسقاطية، اختبار الروشاخ، السيكوباثولوجية التحليلية.

مقدمـــة: يتم تشخيص اضطراب التوحد عموما قبل الالتحاق بالمدرسة، وغالبا ما ينسب الى التخلف العقلي أو الصمم أو الصرع وغيرها من الاضطرابات العقلية والعصبية الأخرى؛ لأنه وللأسف لا توجد أية فحوصات طبيّة مبكرة تكشف عن وجود هذا الاضطراب.

فالتشخيص يقوم في الدرجة الأولى على ملاحظة سلوكات الطفل من قبل المحيط والمتمثلة في غالبية الأحيان في الانعزال والانسحاب الاجتماعي؛ كون الطفل المتوحد لا يطوّر مهارات اجتماعية عادية، تترجمها الصعوبات اللغوية والصعوبات في النطق والاتصال، لنجد في المقابل فئة أخرى من الأطفال المتوحدين لا يكتسبون اللغة اطلاقا.

هذا الأمر يستدعي النظر بدقة وبعناية في ضبط المعايير التشخيصية لهذا الاضطراب ليس فقط من خلال الجداول العيادية، لكن من خلال فحوصات متخصصة تصب مباشرة في خصوصية الحالة وفردانيتها النفسية الديناميكية، مما يقودنا الى مفهوم الاسقاط والتقنية الاسقاطية التي يمكنها اعطائنا نتائج بنائية دقيقة.

اضطراب التوحد لا يمكن أن يبقى لغزا غامضا؛ نظرا لأنه يمكننا الآن قياسه بشكل دقيق، ويمكن تعديل الكثير من مكونات التوظيف النفسي للمتوحد بمساعدة الفحص النفسي الاسقاطي. فمدرسة التحليل النفسي والاختبارات الاسقاطية تظيف تفسيرات بنيوية معمّقة ودقيقة عن هذا التوظيف، خاصة عن اندماجية صورة الجسد ونوعية سيرورات التفكير، مما يؤّمن الأشخاص المتوحدين وعائلاتهم ويساعد الفريق الطبي والتربوي في تعديل البرامج العلاجية، وتجنب الهفوات والأخطاء التي ترتكب في تطبيق نفس البرامج التدريبية على توظيفات نفسية مختلفة بقناع عرضي واحد، ونطرح مع ذلك تصورا تشخيصيا جديدا يقوم على مبدأ الاسقاط.

الاشكالية: تشخيص اضطراب التوحد يتم وفقا لمجموعة من المعايير التشخيصية تم تحديدها وضبطها في التصنيفات العالمية للاضطرابات النفسية والعقلية الأمريكية (DSM IV) التي تدرجه ضمن الاضطرابات المشخّصة في الطفولة والمراهقة والتصنيفات الفرنسية التحليلة (CIM10) التي تتعامل مع المتوحد كمريض عقلي

وليس كشخص مشلول، والتي استمدت معاييرها التشخيصية من تصنيف (Leo Kanner) لهذا الاضطراب.

التشخيص يقوم اذن على ملاحظة مجموعة من المؤشرات المرضية المحددة بدقة في العديد من المراجع، فاذا ما توفرت هذه الأعراض المرضية لدى الطفل نشخّص الحالة على أنها توحد، ويتم تحويله (على أساس هذا التشخيص) الى مركز متخصص يحاول ببرامجه التدريبية المعروفة والثابتة التكفل بالحالة من خلال تدريبها على مهارات اجتماعية تفتقدها. هذه البرامج التدريبية تطبّق على مختلف الأطفال المتوحدين باختلاف خصوصياتهم النفسية والمعرفية العقلية، وكأننا نفرض على مجموعة مختلفة من الأطفال ومتمايزة بعضها عن بعض الخضوع لنفس البرامج التدريبية فقط لاشتراكها في نفس التشخيص العرضي الملاحظ من قبل المحيط والمختصين. فلتشخيص مركب توحد كامل حاليا يجب أن تتواجد خمسة أعراض أساسية: ظهور الاضطراب قبل ثلاث سنوات، اضطرابات حادة في العلاقات الاجتماعية، خلل حاد في نمو اللغة يمس الفهم، الروتين التكراري المعقد للأشياء، استجابات حسية (ادراكية) غير عادية، لكن التوحد قد يرافقه تخلف عقلي أو على العكس ذكاء عادي أو عالي.

ماذا يمكن اذن أن تقدم لنا التقنية الاسقاطية عن ظهور وتشخيص اضطراب التوحد وتطور سيرورات التقمص والهوية والتنبأ باستجابات المتوحدين ؟

فرضيتنا تقول بأن تشخيص اضطراب التوحد من خلال التقنية الاسقاطية يوصلنا الى مؤشرات بنيوية هامة معرفية ونفسية (المؤشرات التي يمكن من خلالها التفريق بين مختلف حالات التوحد وليس أنواع التوحد) تخدم بشكل مباشر البرنامج التدريبي من خلال تعديل بعض النقاط فيه حسب هذه المؤشرات بشكل يتناسب وخصوصية الحالة

البنائية أو بناء برنامج جديد اذا ما كانت البرامج المتوفرة لا تفي بغرض تسهيل عملية ادماج الطفل المتوحد في الحياة اليومية لممارسة مهاراته الاجتماعية والعناية بنفسه والاتصال مع الآخرين.

هذه التقنية هي من أهم التقنيات العيادية لدراسة الشخصية، يمكننا من خلالها أن نقود شخصا إلى الاشتراك إلى حد الاندماج في اختبار ما، بأن نقدم له مثيرات غامضة أو مبهمة (Chabert, 1998a) . هذا الأمر يسمح بالتوصّل الى تشخيص بنيوي لاضطراب التوحد والمساهمة في علاجه؛ لأن التوحد ليس فقط اضطرابا في الاتصال بل هو توظيف نفسي نوعي.

1. المسار التاريخي لتطور اضطراب التوحد: سنعرض في هذا العنصر أهم المحطات التاريخية لتطور مفهوم اضطراب التوحد. هذا المسار التاريخي الذي قادنا الى اقتراح فرضيتنا القائلة بخصوصية التوظيف النفسي للشخص المتوحد.

مصطلح التوحد المترجم عن اللغة الفرنسية (autisme) ينحدر من أصل يوناني يعني الذات، استعمل لأول مرة عام 1911 من قبل الطبيب العقلي بلولر (Bleuler) ليشير به الى الهروب خارج الواقع والانسحاب الى العالم الداخلي لدى المرضى الفصاميين الراشدين، واعتبر بعد ذلك اضطرابا عقليا ناتجا عن خلل في النمو المعرفي. عام 1930 ومن منظور نفسي تحليلي أشارت ميلاني كلاين في مقالها: أهمية تكوين الرمز في نمو الأنا – L'importance de la formation du symbole dans le développement du Moi– الى حالة الطفل (Dick) البالغ من العمر أربع سنوات والذي قدّم جدولا عياديا لاضطراب التوحد، يظهر من خلال اللاتمايز أمام حضور أو غياب الأم والبلادة العاطفية وعدم الاهتمام لأي شيئ ما عدا غلق وفتح الأبواب والقطارات المتحركة، غياب كل أنواع التواصل مع

المحيط والآخرين، وأشارت ميلاني كلاين الى الصعوبة المتواجدة لدى هذا الطفل في تكوين الرموز. ليصنّف هذا الاضطراب عام 1943 من قبل الطبيب الأمريكي (Leo Kanner) في مقاله الأصلي - Autistic disturbances of affective contact- الذي تناول فيه دراسة أحداعشر طفلا كاضطراب خاص بالأطفال وسماه بـتوحد الطفولة المبكرة (Autisme infantile précoce)، والذي يتميّز باضطراب جوهري يخص عدم قدرة الطفل على اقامة علاقات عادية مع الأشخاص والاستجابة الطبيعية للوضعيات في بداية الحياة.

2. تصنيف (Kanner) لاضطراب توحد الطفولة: هذا التصنيف هو من أقدم التصنيفات والأكثر اعتمادا حاليا؛ (Kanner) وفي المقال المشار اليه أعلاه وفي مقالاته الموالية حدّد الميزات العيادية لهذا الاضطراب والمتمثلة في العناصر الستة التالية:

1.2. الانسحاب التوحدي: المتمثل في الغياب الحاد للاتصال بالواقع الخارجي، والذي قد يصل الى حالة العزلة الحادة التي تقصي وتنكر كل ما يأتي من الخارج، فيظهر الطفل وكأنه لا يرى المواضيع الخارجية ويتصرف وكأن الآخر غير موجود.

2.2. حاجة الطفل المتوحد الملّحة الى البقاء ثابتا والقلق الحاد من تغيير الوضعيات أو الأشياء في المحيط . الطفل لديه طقوس لتفتيش محيطه للتأكد من غياب أي تغيير ولو بسيط، خاصة وأنه يملك ذاكرة قوية تحفظ بدقة تفاصيل ترتيب الأشياء.

3.2. النمطية المتمثلة في التكرير المستمر لمجموعة من الحركات خلال اليوم، تحدث استثارة عالية واشباعا شبقيا كبيرا. تمس هذه الحركات الرأس أو أحد الأطراف العلوية والسفلية أو الأصابع أو النمطية اللغوية.

4.2. اضطرابات اللغة: في عينته المدروسة وضّح (Kanner) أن ثمانية من بين أحداعشر طفلا اكتسبوا اللغة في مرحلة متأخرة، والطفل لديه القدرة على فهم اللغة لكن هذه الأخيرة لا تملك سمة التواصل وتتميز بالعديد من الاختلالات أهمها:

أولا، عكس الضمير: بحيث يتحدث الطفل المتوحد عن نفسه في المقام الثاني أو الثالث لأنه لا يستطيع استعمال الضمير -أنا- للحديث عن نفسه.

ثانيا، صدى التكرار من خلال تكرير بعض الجمل أو الأجزاء منها، يسمعها حوله وتكون عموما في سياق آخر غير السياق الحالي، مما يعطي للحديث غموضا وفقدا للمعنى. فيحدث ابدال مجازي يبقى فيه المعنى لدى الطفل وحده يرتبط بتجربة داخلية معاشة ولا يخدم عملية التواصل مع الآخر.

5.2. يعطي هؤلاء الأطفال احساسا للآخر بأنهم أذكياء، في حين أوضحت دراسة كل من (Ritvo et Freemann) بأن معامل الذكاء لديهم لا يتجاوز 70 (مشار اليه في Ferrari. 2010: 09).

6.2. النمو الجسدي يكون عموما طبيعيا رغم ظهور نوبات الصرع لدى حوالي خمسةعشر (15) الى عشرين (20) بالمائة من الأطفال المتوحدين.

3. تشخيص اضطراب التوحد: يمكن تشخيص هذا الاضطراب مبكرا من خلال مؤشرات أساسية ملاحظة تتمثل في التأخر في النمو المبكر للطفل؛ لأن هذا النوع من التشخيص قبل السنتين يكون سهلا بالرجوع الى السواء في علم نفس النمو، وهنا تظهر احتمالية ظهور اضطراب التوحد أو التخلف العقلي اذا كان التأخر هاما. أما اذا كان التأخر في النمو يمس جانبا واحدا أو يكون بسيطا فان التشخيص يكون صعبا؛ لأن أعراض التوحد تكون متأخرة خاصة اذا كان التأخر يمسّ

اللغة فقط. مما يجعل اللجوء الى العديد من الفحوصات المتكاملة والضرورية حتميا؛ لأن فحص الطفل المتوحد ليس بالأمر البسيط وانما يفترض فحصا نفسيا وجسديا دقيقا يتمحور أساسا في الفحوصات التالية:

1.3. الفحص العيادي: الذي يقوم على دراسة الحالة؛ مما يسمح بتصنيف الطفل في أحد الوحدات العيادية الأربعةالمتواجدة في التصنيفات العالمية للاظطرابات النفسية والعقلية :

1.2.3. توحد الطفولة (L'autisme infantile) يقوم تشخيصه على المعايير التالية (ظهور الاضطراب قبل ثلاث سنوات، الاصابة النوعية في التفاعل الاجتماعي، الاصابة النوعية للاتصال واللغة، سلوكات واهتمامات ونشاطات محدودة مع النمطية والتكرير).

2.1.3. التوحد اللانموذجي (L'autisme atypique) يختلف هذا النوع عن النوع الأول بظهوره المتأخر بعد ثلاث سنوات وبأعراضه غير الكاملة وارتباطه أحيانا بالتأخر العقلي الذي قد يكون حادا.

3.1.3. الذهانات المبكرة (Les psychoses précoces déficitaires) تم فصل هذا النوع من الذهانات في التصنيفات الفرنسية للاضطرابات النفسية والعقلية (CIM 10). تظهر هذه الذهانات لدى الأطفال المتخلفين عقليا وتحدث اضطرابا في الوظائف المعرفية، وتظهر صعوبات في التواصل مع سلوكات للانغلاق على الذات ونوبات قلق وسلوكات انفجارية خاصة العدوانية على الذات.

4.1.3. اللاتجانسات الذهانية (Les dysharmonies psychotiques) هذا النوع من الذهانات المبكرة تم عزله أيضا في التصنيفات الفرنسية، في حين تبقى التصنيفات الأمريكية (DSM)

تتحدث عن -المركب المتعدد لاضطراب النمو- الذي يتميز بالأعراض التالية: ظهور الاضطراب ابتداء من ثلاث الى أربع سنوات، الأعراض قد تختلف من طفل الى آخر ولدى نفس الطفل خلال نموه، مع فشل متكرر في التمدرس، القلق النفسي الحاد الذي يأخذ أشكالا مختلفة، كالقلق الاكتئابي أو قلق التفريق او المخاوف المرضية المختلفة، العلاقة مع الواقع هشة ومهددة بالقطيعة، اضطراب سيرورات التفكير بفعل الاجتياح العاطفي الحاد، والانسياب الكبير للتصورات والاستهامات مع خطر الخلط بين العالم الداخلي المهدد والعالم الخارجي، السلوكات الانسحابية والمحدودية في التفاعل الاجتماعي.

2.3. الفحص الجسدي: ضروري جدا في مختلف ذهانات الطفولة، للبحث عن خلل وراثية أو سوابق جنينية أو نزيف عصبي أو سوء التروية أو وجود صرع، مع ضرورة الفحص الحسي للتأكد من غياب الصمم أو الاضطرابات في الرؤية.

3.3. الفحص اللغوي: يجب فحص اللغة من خلال تقويم اللغة التلقائية (وجود أو غياب اللغة، استعمال ضمير المتكلم أنا، طبيعة الاجابات اللغوية) وتقويم الكفاءات النفسية اللغوية.

4.3. الفحص النفسي الحركي: من خلال تتبع النمو النفسي الحركي وكيفية تعامل الطفل مع جسده وكيفية استعمال هذا الأخير، التأخر في النمو، التأخر في المشي، النمطية الحركية، سلوكات الهيجان.

5.3 . الفحص النفسي الديناميكي: يهدف الى تحديد المستوى العقلي ومستوى القدرات المعرفية وتحديد ميزات الشخصية والبحث في مختلف الميكانيزمات النفسية المرضية. هنا نلجأ الى القياس النفسي بشرط احتواء الطفل وتأمينه لانقاص حدة القلق لديه، ويمكن الاعتماد على العديد من الاختبارات النفسية مثل اختبار (Brunet-Lezine) للأطفال أقل من 30 شهر واختبارات الذكاء (Wechsler-Wais)

وسلالم التقويم للتقويم النوعي أو الكمي لمختلف الأعراض والسلوكات التوحدية والاختبارات الاسقاطية وهو ما سنتناوله في هذه الدراسة.

4. تشخيص اضطراب التوحد من خلال التقنية الاسقاطية:

تعيد التقنية الاسقاطية إلى جانب من ميكانيزم الإسقاط الذي تحدث عنه سغموند فرويد (Freud. S). أقدم أنواع هذه التقنيات هو اختبار ترابط الكلمات لصاحبه كارل يونغ (Jung. C) المنشور عام 1904، لكن الأكثر انتشارا واستعمالا في مجال الفحص العيادي هي الاختبارات التالية: اختبار التشخيص النفسي (الروشاخ)، اختبارات تفهم الموضوع (TAT) و(CAT) و(patte noire)، الرسم، اختبار استراتيجيات مواجهة الإحباط لـ (Rosenweig).

الهدف الأساسي لهذه التقنية هو التوصّل إلى تشخيص فارقي لبنية الشخصية السوّية والمرضية ودراسة التوظيف النفسي للفرد من منظور ديناميكي. تضع هذه التقنية الشخص في وضعية شبيهة بوضعية التحليل النفسي، يتفاعل ويجيب من خلالها بوساطة الاختبار الاسقاطي مشكلا علاقة ثلاثية (فاحص- اختبار – مفحوص) بدلا عن العلاقة الثنائية. يجيب الشخص المفحوص تبعا للمعنى الذي لديه؛ لأن المثير المستعمل (الاختبار) ضعيف التنظيم يفسح المجال واسعا لعدد كبير من الإجابات المختلفة، وهو بذلك - يستدعي ميكانيزمات التكيّف مع الواقع التي تفرض استعمالا سليما للإدراك...وميكانيزمات الإسقاط التي تترجم من خلالها العناصر الاستهامية والعاطفية المشكّلة لخصوصية الفرد- (Postel. 1998: 359).

الاختبارات الاسقاطية تعطي نتائج دقيقة وحاسمة في تشخيص الحالة؛ بحيث تدعو المفحوص للتحدث بحرية انطلاقا من النوعية

الخاصة لمادة الاختبار المقترحة عليه والمتميِّزة بأنها ملموسة ومبهمة في آن واحد، تساهم بهاتين الميزتين في خلق مجال علائقي جديد ونوعي بين الفاحص والمفحوص يسمح بإثارة العمليات العقلية الناشطة خلال اجتياز الاختبار مع الفرضية التي تترجم نمط التوظيف النفسي للشخص. وهنا تتدخل المرجعية النظرية التي تشكل إطارا تحليليا للمعطيات المجمعة من الاختبار.

تعتبر فرصة التعبير الحر خلال اجتياز الاختبار الاسقاطي أول مرحلة لإدراك مثيرات الاختبار كنوع من التعامل الإجباري مع موضوع من العالم الخارجي وهو الأمر الذي يفتقر اليه المصاب باضطراب التوحد وتعمل التقنية الاسقاطية على علاجه. يمتلك الاختبار محتوى ظاهر ومحتوى كامن يسمى بحركية الاستهامات والعواطف، التي تعبِّر عن إشكاليات تقوم على سجلات من الصراع النفسي. تعليمة الاختبار الالزامية -...كما في وضعية التحليل النفسي... تترك حرية كبيرة للشخص وهي في نفس الوقت إجبارا له، تجعله محكوما في الحرية المعطاة له؛ بمعنى أن يكشف نفسه أمام نفسه- (Anzieu et Chabert. 1992: 89) . يحدث في الوضعية الاسقاطية التحويل الايجابي -...نظرا لتنشيط الحركات النكوصية بواسطة مادة الاختبار فتحدث ضعفا في المراقبة النفسية، وتظهر الصراعات النفسية في شكل رغبات واحباطات- (Chabert. 1998a: 38) ويتواجد هذا التحويل في منظور مضاعف كآلية انقال تسمح بالتعبير عن المحتوى (محتوى الاختبار) وعن محتوى اللاشعور، أما المنظور الثاني فيتمثل في إعادة تنشيط الوضعيات العلائقية الخاصة وتكون فيها المرجعية لاشعورية ترتبط مباشرة بالصور الأبوية. الاعتماد على المرجعية النفسية التحليلة لتحليل التقنية الاسقاطية يسمح بجمع المعطيات المعمّقة والتي لا يمكن جمعها في جداول عيادية؛ إذ أن -...استعمال

التقنية الاسقاطية يشكل مرجعية قيّمة كلما كانت النتائج العيادية غامضة، أو عندما يطرح إشكال التشخيص الفارقي بهدف إعداد أنماط علاجية خاصة- (Chabert. 1998b: 32) .

الاختبارات الاسقاطية توقظ وتستحضر السيرورات النفسية والمعرفية التي لا يتمكن النفساني من التوصل إليها بالملاحظة أو خلال المقابلة العيادية، وتسمح أيضا بتقويم ديناميكي للجهاز النفسي للفرد لمعرفة نقاط العطب فيه وللفحص المعمق. يقوم هذا الفحص على مبدأ (الإدراك- الإسقاط) للوحات؛ بحيث يظهر الاختبار سلوكات إدراكية (وصف صور مترابطة انطلاقا من واقع الاختبار) واسقاطية (الإحساس، اهتمامات الشخص، العلاقة بالمواضيع الداخلية والخارجية، الاستهامات والعاطفة المرافقة للإجابات)، ويعتبر -...اختبارا للحدود في مجال بناء تصور الذات والاستثمار النرجسي، كما أن المرجعية للعلاقة بالموضوع حاضرة لأنه لا يمكننا عزل مختلف الاستثمارات النرجسية والموضوعية...وتسجّل (الاستثمارات) في جدلية هامة، كونها تشكل أساسا لتقويم التوظيف النفسي واحتمالية تغيره- (Chabert. 1998a: 133-134). وينبني على أساس قيام علاقة بين الإدراك والشخصية؛ بحيث يترجم إدراك الفرد لبقع الحبر في الروشاخ مثلا طبيعة وظائفه النفسية من خلال أنّ البقع تستثير بغموضها استجابات ترتبط بخبرات الفرد السابقة، خاصة وأنّ البقع لا تضبطها أية خلفية اجتماعية أو ثقافية؛ لذا لا تستوجب إعطاء إجابات صحيحة أو خاطئة، فكل اجابة يعطيها الفرد هي صحيحة. يساعد هذا الاختبار على تحديد طبيعة ومستوى ثلاثة جوانب أساسية في الشخصية هي:

أولا، الجوانب المعرفية والعقلية، وتشمل مستوى القدرة العقلية وفاعليتها، أسلوب معالجة المعطيات، قوة الملاحظة، القدرة على

الإنتاجية الذاتية ونوعيتها، أصالة التفكير (ابتكاري، خيالي، واقعي). يمكن من خلال هذا الجانب أن نستغني عن اختبارات تقويم القدرات العقلية في تشخيص اضطراب التوحد وحساب معامل الذكاء.

ثانيا، الجوانب الوجدانية والانفعالية وتشمل السمة الانفعالية العامة (قلق، اكتآب، انسحاب، عدوان...) والمشاعر نحو الذات، والعلاقات مع المواضيع الخارجية، ضبط والتحكم في النزعات والدوافع والقدرة على الإشباع وعلى تأجيل الإشباع وهو ما تعجز عن القيام به معظم التقنيات العيادية المعتمدة أمام اضطراب التوحد.

ثالثا، جوانب فاعلية الأنا، والتي تشمل قوة الأنا وقدرته على التكيف مع الواقع وإدراك مواضيعه وتقديره لذاته، ثم مجالات الصراع النفسي (الجنسية، العدوانية، المرتبطة بالسلطة، الاتكالية، المرتبطة بتأكيد مفهوم الذات وغيرها) والبنية الدفاعية. أمام انغلاق أنا المتوحد يستحيل البحث في هذه البنية بعيدا عن اختبار الروشاخ.

يحمل الاختبار خمس لوحات (IX–VI–V–IV–I) تعيد إلى تصور الذات وترتبط مباشرة بمفهوم الهوّية، مع ميزة فهم الحدود (داخل/ خارج) و(ذات/آخر) وتعطي للشخص الفرصة لتصور نفسه كوحدة كلية من خلال صورة الجسد المتميّزة في خصوصيتها الذاتية. اذن هو تقنية علاجية تعمل على محاولة لم أجزاء صورة الجسد التي يفتقدها المتوحد، أما اللوحات(VII–III–II) فتثير تصورات العلاقة في اختلافها التناظري النرجسي أو العلاقة المتصارعة بسبب الحركات الموضوعية الليبيدية أو العدوانية، وهي اللوحات التي تكشف عن العلاقة بالمواضيع الداخلية لدى المتوحدين وسبب اشكالية التواصل مع الآخر. اللوحة (VIII) ترتبط بالمرجعية إلى تصور الذات وتصورات العلاقة، أما اللوحة (X) فتثير حركات نكوصية وتعرف بلوحة التفريق.

قدّم (H Rorschach) في كتابه التشخيص النفسي عام 1921 مقاربة جديدة للشخصية تنبني على مبدأ الإدراك/ التصور. يقوم هذا المبدأ على ثلاث سيرورات هي: الإحساس، ذكريات التجارب الماضية، وعمليات الربط. هذه السيرورات أثارت الاهتمام حول عاملين أساسيين: أولهما، تطبيق اختبار الروشاخ يحفّز إسقاط الحركة الإنسانية والحيوانية لدى الأسوياء، ويرافقها اندماج في الهوية وفي التقمص. هذه العملية الأخيرة تغيب كلية لدى الأشخاص ذوي التفكير النمطي ولدى المتوحدين، ويعمل الاختبار على ترميمها باعتباره اختبار تفكيكي للشخصية. أما الربط بين سيرورة التفكير ونوعية وكمية العواطف التي يكشفها الاختبار أيضا يقال فيها الكثير لدى المتوحدين المنغلقين على ذواتهم بسحب كل الاستثمارات الموضوعية وإرجاعها إلى الأنا الذي يبقى رغم ذلك فقيرا من الاستثمارات النرجسية. هذا الاستفهام لن يجيب عنه إلا اختبار الروشاخ الذي يبحث في بنية الأنا.

ثانيهما، ضرورة تطبيق الاختبار قبل وبعد العلاج النفسي للتأكد من – التغيّر في العاطفة وتطوّر التثبيتات الغريزية-. هذه الطريقة مهمة في حالة اضطراب التوحد خلال البرنامج العلاجي لفهم مسار تكوين وتطوّر شخصية المتوحد وطبيعة دفاعاته المستعملة من قبل الأنا لمقاومة الاتصال مع مواضيع العالم الخارجي وكيفية بناء مواضيعه الداخلية.

إشكالية الخلط بين الاختبارات المستعملة وتأويل هذه الاختبارات فصلت فيه بشكل نهائي Chabert (2001) من خلال اعتماد نظرية التحليل النفسي في تحليل الاختبارات الاسقاطية؛ بحيث أثارت فكرة الخلط الابستيمولوجي المتمثل في أن -المقاربات التحليلية تتناول كموضوع للدراسة ليس الاختبار الاسقاطي في حد ذاته لكن

التوظيف النفسي- وتضيف - لا الروشاخ ولا TAT يحتويان على نظرية- الشيء نفسه يقال عن اختبارات التوظيف المعرفي التي تقيس القدرات الفكرية، التي لا تحوي نظرية تفسيرية كاختبار (Weschler) أو اختبارات النمو كاختبار (Brunet-Lezine) ما يحكمها فقط هو قوانين النمو التي تطبّق أيضا على التوظيف النفسي.

من الخطر أن نحصر أنفسنا كنفسانيين ممارسين في ملاحظة سلوك كمي دون تحليل التوظيف النفسي الديناميكي للشخص. S. Tordjman (2002) أشارت إلى خطر التحليل الكمي لمؤشر وحيد من أجل التشخيص، واستشهدت بأعمال كل من D. Anzieu و J. Guillaumin و C. Chabert و M. Emmanuelli حول الذاتية في تطبيق وترميز الاختبارات؛ لذا علينا التوجه إلى تقنيات أخرى أكثر دقة وشمولية.

اختبار الروشاخ هو اختبار لتقييم الهوّية وتتبع وفهم التقمصات؛ وقد أوضحت (Chabert) إمكانية التبادل بين الادراكات والتصورات في التمايز الأولي للحدود بين الداخل والخارج، وإدراك الأشكال المنتظمة حول محور واحد في الروشاخ يثير إسقاط صورة الجسد ونوعية التنظيم العاطفي. هذه الميزات تقودنا إلى البحث عن مؤشرات ذات صلة بسيرورات التوحد في المحطات الأولى للبناء النفسي الجسدي، وتسمح لنا الأشكال الأولى للتقمصات التي يكشف عنها الروشاخ بالوصول إلى التمايزات المبكرة، مما يوضح إمكانية وكيفية انتظام البنيات النفسية والغريزية والمراحل التي يتم العودة إليها أمام صدمة التمزق والانفجار القوي.

5. المشاكل المنهجية: قد تطرح العديد من التساؤلات حول امكانية تطبيق التقنية الاسقاطية مع المتوحدين، سنحاول في هذا المقام الاجابة عن أهمها.

مشكلة اللغة لدى المتوحد: أشرنا فيما سبق الى الصعوبات اللغوية لدى المتوحدين التي قد تمثل عائقا كبيرا أمام تطبيق الاختبار الاسقاطي القائم على اسقاط العالم الداخلي من خلال الكلمة على مادة الاختبار. أكدت العديد من الدراسات المشار الى بعضها أعلاه أن الطفل المتوحد لديه القدرة على فهم اللغة مما يسّهل فهم تعليمة الاختبار هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يمكن تسجيل الاجابات بحضور شخص قريب جدا من الحالة، يكون قادرا على فهم الغموض في الحديث ان وجد، ومن ناحية ثالثة فان مهمة تطبيق الاختبار يجب أن توكل الى أخصائي نفسي سبق وتعامل معه الطفل تكون لديه علاقة واتصال جيّد معه يسهّل كثيرا المقابلة العيادية التي يتم خلالها تطبيق الاختبار؛ خاصة وأن التوجهات الحديثة في التقنية الاسقاطية توكل مهمة الفحص الاسقاطي الى فاحص غير المعالج، وهذا من أجل تفادي الجانب الذاتي في التقنية الاسقاطية وفي التقييم النفسي للشخص المفحوص.

يجب تطبيق الاختبارات الاسقاطية على الأطفال المتوحدين ذوي الذكاء العادي أو المرتفع لتجنب الدخول في دوامة التأخر العقلي لدى المتوحدين ذوي الذكاء المنخفض، وبالتالي استحالة تطبيق الاختبار الاسقاطي واستحالة الحصول على نتائج اسقاطية دقيقة.

اذا غابت اللغة المنطوقة كلية لدى المتوحد، يمكننا تطبيق اختبار الرسم بشكل فردي أو جماعي خاصة وأنه سهل التطبيق ولا يرفض عموما من قبل الطفل أو تركيب الصور (Collage) أو التجسيم (Modelage) أو اسقاط المشكلات من خلال التعبير الجسدي واسقاط المفهوم على دعائم بصرية أو حسيّة أخرى أو ما يعرف بالاتصال الاجباري والخلق الخيالي للرفيق، الذي يتم عموما من

خلال لعب الأدوار الواقعي أو من خلال حلم اليقضة خاصة وأن فهم اللغة تم الفصل فيه لدى المتوحد.

الرسم لدى الطفل هو فعل ابداعي وفعل للاتصال وأثر يتركه الطفل يمكنه العودة اليه خاصة أمام عجز اللغة أو غيابها. الطفل يظهر فرحة كبيرة برسوماته في الفترة العمرية الممتدة من أربع الى عشر سنوات ومن خلال السرعة في انجازه فانه يشبع الضغط العاطفي والانفعالي الذي لم يكتسب المتوحد التحكم فيه وضبطه بسبب عدم استدخال ثنائية حضور وغياب الأم والعجز عن تكوين الرمز والكلمة؛ فالصورة أقدم بكثير من الكلمة. يلعب الايحاء المباشر وغير المباشر للطفل المتوحد والتشجيع الدائم من قبل الراشدين دورا هاما في تفعيل استراتيجية الاتصال بالرسم، ليشكل بذلك تعبيرا واضحا عن الشخصية ومكانا مفضلا للاسقاط. الرسم هو وسيلة تشخيصية وعلاجية تستجيب لمعاناة الطفل، لذا يجب اختيار نوع الرسم الذي يطلب من الطفل انجازه بدقة وبعناية (رسم حر، أو رسم مقيد:عائلة، شجرة، الشخص، AT9، D 10 ...) وهي اختبارات تحفز الخيال والابداع ككل الاختبارات الاسقاطية.

خاتمة: التصور النظري المقترح في هذا المقال، والقائم على فكرة تشخيص وعلاج اضطراب التوحد من خلال التقنية الاسقاطية وفردانية هذه الحالات جاء بعد ملاحظة دقيقة وطويلة لكيفية تعامل النفسانيين الممارسين مع حالات المتوحدين داخل مراكز التكفل بفئة ذوي الاحتياجات الخاصة والمتوحدين. ما لاحظناه هو افتقار النفسانيين العياديين خاصة لوسائل تشخيصية نفسية فعّالة، مما يجعلهم يرتكزون فقط على التشخيص العرضي من خلال الملاحظة العيادية أو شبكات الملاحظة أو المقابلة العيادية التي تعاني عموما من الفقر في المحتوى واضطراب في عملية الاتصال بين المعاش النفسي للفاحص

والمفحوص. فكرة الربط بين قطبي التوحد والتقنية الاسقاطية لاقت للأسف رفضا من قبل هؤلاء النفسانيين في البداية، خاصة منهم الأرطفونيون الذين يغلقون على أنفسهم داخل المقاربة المعرفية ويرفضون مختلف المقاربات النفسية التفسيرية والعلاجية، ويكتفون بتفسير هذا الاضطراب على أنه خلل في وظائف الجهاز العصبي يحدث قطيعة في التواصل مع العالم الخارجي، ويهملون بذلك البناء النفسي الديناميكي الذي يختفي وراء مجموع الأعراض الملاحظة. هذا الأمر صعّب نوعا ما التطبيق الفعلي لهذه الفكرة في الميدان لكنه لم يجعل ذلك مستحيلا، خاصة وأننا اقترحنا حلولا للمشاكل المنهجية التي قد تطرح، والمتمثلة أساسا في مشكلة فقر التواصل لدى هذه الحالات مع العالم الخارجي. وقد أوضحنا كيف يساهم مثلا اختبار الروشاخ في علاج وترميم هذا الجزء الفعّال في اضطراب التوحد. ونحن نساهم حاليا في التطبيق الفعلي لهذا التصور النظري من خلال تطبيق رباعية التقنية الاسقاطية (الرسم، اللعب، الاختبارات البنيوية، اختبارات تفهم الموضوع) في التشخيص البنيوي وفي الترميم العلاجي لأهم ثغرات التوظيف النفسي التوحدي.

المراجع

- Anzieu. D et Chabert. C (1992). **Les méthodes projectives**. 9eme édition. PUF. Paris.
- Chabert. C (1998a). **La psychopathologie à l'épreuve du Rorschach**. 2eme édition. Dunod. Paris.
- Chabert. C (1998b). **Psychanalyse et méthodes projectives**. Dunod. Paris.
- Chabert. C (2001). - La psychanalyse au service de la psychologie projective- **Psychologie clinique et projective**. vol 7. pp 55-69.
- **DSM IV-TR, Manuel diagnostique et statistique des troubles mentaux** (2000) . 4 eme édition. trad française. S/D. P. Boyer, J. Guelfi, C-B. Pull, M-C. Pull. Masson. Paris.
- Ferrari. P (2010). **L'autisme infantile**. 6eme édition. 1 ere édition 1999. PUF. Paris.
- Frith. U (2010). **L'énigme de l'autisme**. Traduction française par Basil Blackwell. 2003. Edition Odile Jacob. Paris.

- Hochmann. J (2009). **Histoire de l'autisme**. édition Odile jacob. Paris.
- Laboureur. M (2011). **Jérome et ses quelques traits d'autisme: séparation et inquiétude, une analyse**. édition l'harmattan. Paris.
- Lefort. R et R (1995). **La distinction de l'autisme**. Edition du Seuil. Paris.
- Lemay. M (2004). **L'autisme aujourd'hui**. édition Odile jacob. Paris.
- Postel. J (1998). **Dictionnaire de psychiatrie et de psychopathologie clinique**. Larousse. Paris.
- Tordjman S (2002). **Les instruments d'évaluation de l'autisme : intérêts et limites**. In Psychiatrie de l'enfant, XIV, 2, pp 533- 558.
- Suarez Labat. H (2006). **Les apports des épreuves projectives dans les évaluations de l'autisme**. In Perspectives Psychiatriques, Volume 45, N° 3. France.

التدخل التربوي لمساعدة المتعلمين ذوي الصعوبات في القراءة

د. سجلماسي محمد الأمين
قسم علم النفس
كلية العلوم الاجتماعية
جامعة تلمسان

الملخص:

يدور الحديث في هذا المقال حول سلسلة من المساعدات التربوية التي يمكن تقديمها للمتعلمين ذوي الصعوبات في القراءة. بدأنا بتقديم عمل مسحي يحدد أنواع التلاميذ الذين لديهم صعوبات في القراءة، وأيضا تحديد طبيعة ضعف الاستيعاب القرائي كما يظهر لدى المتعلمين في الطور الابتدائي. ما هي أشكال الصعوبات القرائية، وكيف يكون نهج المساعدات التربوية لكي يعطي الثمار المنتظر منه ؟

المقدمة:

يوجد بكل مؤسسة تربوية تلاميذ لهم صعوبات في التعلم، كما يوجد فيها من يتجاوز هذه الصعوبات ويصيبون دراسيا. إن الكثير من الدراسات النفسية للفروق الفردية في الأداء المدرسي أقرت بارتباط صعوبات التعلم بمشكلات القراءة، وغالبا ما يقترن النجاح المدرسي بالقدرة العالية في الفهم القرائي (فتحي عبد الرحيم،1990،ومحمد عدس، 1998). أخذا بهذه الحقيقة الميدانية، نريد أن نبحث في مشكلات القراءة بدءا بالحديث عن التصنيفات التي وردت حول التلاميذ ذوي الصعوبات في القراءة في الطور الابتدائي، مع الإشارة إلى المبادرة البحثية الخاصة التي قمنا بها في مجال التعرف على التلاميذ ذوي الصعوبات القرائية من خلال الدراسة المقارنة للنشاط القرائي للأقوياء والضعفاء في الاستيعاب القرائي. ثم يلي ذالك الحديث عن التدخلات التربوية الممكنة لمساعدة هؤلاء التلاميذ.

تصنيف التلاميذ ذوي الصعوبات في القراءة والتدخل التربوي المناسب لهم

إن التلاميذ الذين يعانون من صعوبات في تعلم القراءة ليسوا على نمط واحد، بل يختلفون في ما يتلقونه من صعوبات في بدايتهم لتعلم القراءة. قامت الباحثة جوسلين جياسون من جامعة لافال في الكيبك بكندا (2004) بدراسة مسحية قيمة، وفتحت لنا المجال لتحديد مختلف الفئات للتلاميذ ذوي الصعوبات في القراءة، فوجدت الباحثة أنه يوجد منهم من يعاني في الحقيقة من صعوبة في تعلم الكتابة، ومن لديه صعوبة في متابعة وتيرة التلقي في الصف، وفئة ثالثة تعاني من صعوبة مستدامة في تعلم القراءة. إن القائمة التي جاءت بها هذه الباحثة الكنادية تتحدد بهذه الفئات الثلاث، لكنه يوجد فئات أخرى من التلاميذ لهم صعوبات أخرى مع القراءة سيأتي الحديث عنها لاحقا.

من هم التلاميذ الذين يعانون من صعوبة في تعلم الكتابة؟

إن الأطفال الذين يعرفون مشاكل في تعاملهم مع الكتابة لأول مرة، مع التحاقهم بالصف المدرسي، هم أطفال لهم في الحقيقة مشكلة مع القراءة. وتتمثل هذه المشكلة في عدم إدراك الفائدة من القراءة، وعدم الفهم لما ينبغي على القارئ فعله لكي يحسن تعلم القراءة والكتابة، وسبب إخفاق هؤلاء التلاميذ في التعامل مع الكتابة هو غياب فرص التآلف مع هذه الملكة في الوسط الأسري أو الحضانة قبل دخولهم إلى المدرسة. إن مشكلة التعامل مع الكتابة ترتبط بعدم اكتساب القدرة على معالجة الأصوات اللغوية (إيهري ونونس، 2002).

ما علاقة المعالجة الشفهية لأصوات اللغة بموضوع الصعوبة في تعلم القراءة والكتابة؟

إن المعالجة للأصوات اللغوية هي القدرة على المعالجة الشفوية للكلمات والمقاطع اللفظية، ويستطيع القارئ أن يتعلم القراءة من خلال تنفيذ العمليات المعرفية لبناء التمثل الذهني للأصوات اللغوية. إن اكتساب القدرة على المعالجة الشفوية للكلمات والمقاطع اللفظية هو عنصر مؤثر في التحصيل القرائي ، كما أن التحصيل القرائي بدوره يؤثر في اكتساب القدرة على معالجة الأصوات اللغوية، فالعلاقة بينهما تبادلية. إن التدريب على عمليات التجزئة للمقاطع الصوتية ثم تركيبها، ينمي القدرة على المعالجة الصوتية للكلمات والمقاطع اللفظية، فيتمكن القارئ بالتدريب من تكوين الأبنية المعرفية للأصوات اللغوية ، فيتحسن بذالك مستواه القرائي بصورة ملحوظة. إن القدرة على تكوين الأبنية المعرفية لأصوات اللغة هي عنصر هام في تفسير التباين بين القراء الماهرين والقراء ذوي الصعوبات في القراءة (إيهري وتونس 2002). إن المعالجة الشفهية للكلمات هي من أحد الشروط الضرورية لتعلم القراءة، لكن ليس كل التلاميذ يستفيدون من التدريب، ويبقى البعض يعاني من مشكلة القراءة، وهم معرضون لخطر الفشل الدراسي (طورقزين 2000).

من هم الأطفال المعرضون لخطر الفشل الدراسي في الطور الابتدائي؟

أجريت بحوث تربوية على مجموعات من الأطفال المعرضين لخط الرسوب المدرسي في الطور الابتدائي، وكان موضوع الدراسة هو تقييم برامج المساعدة التربوية الموجهة لهم (أوكونور وسيميك 2002 ، وبوليولس 2000)

من هم هؤلاء الأطفال؟ وما هي مشكلتهم الحقيقية؟

لقد تم تطبيق في هذه الدراسات برامج نموذجية للمساعدة التربوية لهؤلاء التلاميذ، فتبين أن لديهم في الحقيقة صعوبات في تعلم القراءة. وبهذه المساعدة التربوية تحسن مستواهم القرائي بصورة ملحوظة من خلال التعامل

الفردي مع التلميذ، في حدود ثلاثون دقيقة في اليوم، وعلى مدى ستة إلى ثمانية أسابيع، وكانت تعطى الأولية في المقابلات مع الطفل إلى قراءة الكتب والتدريب على مراقبة نظام الكتابة لقصص من صنع التلاميذ أنفسهم. وما ألح عليه أصحاب هذه الدراسات هو أن الارتقاء السريع للأطفال الذين هم في حاجة إلى المساعدة التربوية يكون ممكنا إذا كان على يد تربويون خبراء، وذوي مهنية عالية. إلا أن برامج المساعدة التربوية هذه، وبالرغم لما لها من أثر إيجابي واضح على الأطفال ذوي الحاجة إليها، فإنها لا تحل كل المشاكل التي يتعرض لها الأطفال ذوي الصعوبات في تعلم القراءة. يوجد صنف آخر من أطفال المدرسة الابتدائية صعوباتهم في تعلم القراءة تظهر من خلال صعوبة المتابعة لوتيرة التلقي في الصف.

من هم التلاميذ الذين لديهم صعوبة في متابعة وتيرة التلقي في الصف؟

إنهم أطفال لديهم مشكلة إتباع وتيرة التلقي في الصف. قد يكون في وسعهم اكتساب ملكة التعرف على الكلمات في القراءة إلا أنهم يخفقون في التكيف مع المستوى المدرسي كما هو الحال بالنسبة لزملائهم في الصف. إن الفشل القرائي الذي يعانون منه هو سبب ذلك، لكن غالبا ما يبقى خفيا لمدة طويلة ويظهر في ضعفهم المدرسي. أما مشكلتهم مع القراءة إنما هي في الحقيقة مشكلة الفهم القرائي.

ما هي أنواع تعثر الفهم في القراءة؟

توجد عوامل كثيرة يمكن أن تكون هي سبب تعثر الفهم القرائي لدى المتعلمين في الابتدائي. هنالك أطفال يعانون من ضعف في التعرف على الكلمات وبالتالي مشكلتهم في القراءة هي مشكلة السيولة. صنف آخر من التلاميذ قد تكون مشكلته مع القراءة هي ضعف المفردات وضعف المعرفة اللغوية، وصنف ثالث قد تكون مشكلتهم هي مشكلة سوء استخدام استراتيجيات الفهم القرائي.

مشكلة السيولة في القراءة:

إن مشكلة السيولة في القراءة هي مشكلة التعرف على الكلمات المقروءة بسرعة. إن عدم التحكم في سيولة القراءة يشكل سببا جوهريا في تفسير ضعف الفهم القرائي (كون وستال، 2003). لا يوجد توافق تام لدى الباحثين فيما يتعلق بكيفية تدريس التلاميذ تقنية التعرف على الكلمات المقروءة، لكنهم يتفقون على أن قدرة التعرف على الكلمات المقروءة هي ضرورية لتحقيق الفهم القرائي. كما أنه على عكس ما كان المعتقد سابقا، فإن التلاميذ الضعفاء في القراءة هم اللذين يرجعون إلى السياق للتعرف على الكلمات في النص، لا الجيدين، في حين أن التلاميذ الجيدين يستخدمون السياق كإحدى الاستراتيجيات لاستكشاف الدلالة للكلمات المجهولة، ونادرا جدا ما يستخدمون السياق للتعرف على الكلمات في النص. ثم إن البحوث التي جرت حول المساعدة التربوية لتحسين القراءة بينت بأن التعليم الذي يهدف إلى تحسين قدرة التعرف على الكلمات هو في الحقيقة تعليم لاستراتيجيات القراءة، وهو تعليم موجه نحو شرح لاستراتيجيات الفهم القرائي (نيشد 2000). ومن استراتيجيات الفهم القرائي التي نلمسها لدى الجيدين في القراءة، نجد تبني فكرة عن نظام لغة القراءة، التدريب على التعرف على الكلمات في النص بسرعة، ولملمة معاني الكلمات في محاولتهم لفهم النص. وفي المقابل، لو نظرنا في ما يفعلونه القراء الضعفاء للاحظنا أن قراءتهم للنص هي على شكل كلمة- كلمة (القراءة البطيئة)، ويقرون الكلمات بعناء شديد، كما يكون النشاط القرائي عندهم موجه أكثر نحو محاولة التعرف على الكلمات المقروءة، وفي الغالب يكون ذالك على حساب فهمهم للنص.

مشكلة ضعف سجل المفردات في القراءة:

إن ضعف سجل المفردات لدى التلاميذ ذوي الصعوبات في القراءة يمكن أن يفسر الكثير من مشاكل الفهم القرائي لديهم. إن عملية اكتساب

مفردات لغة القراءة، وكذالك امتلاك القدرة على استرجاع المحتوى الدلالي للمفردات عند القراءة للنصوص هو المقصود من سجل المفردات، وحاجة القارئ لبنائه في تعلم القراءة. إن التحصيل الطبيعي للكلمات الجديدة (أي سجل المفردات) لدى التلاميذ في الابتدائي يتراوح من 2000 إلى 3000 كلمة في كل سنة. إلا أن التباين كبير في اكتساب الكلمات الجديدة بين التلاميذ، ويتراوح الفرق البيني من 300 إلى 500 كلمة من تلميذ لآخر، والملاحظ هو أن ظهور الفرق في اكتساب الكلمات الجديدة يبدأ في مرحلة ما قبل المدرسة، ويزيد هذا الفرق سعة خلال الطور الابتدائي.

ما الذي يمكن فعله لتعليم المفردات للتلاميذ؟

إن البحوث التي عالجت موضوع تعليم المفردات للتلاميذ بينت بأنه توجد طرق تعليمية عديدة أثبتت فعاليتها، لكن لم يظهر تفوق طريقة تعليمية على أخرى، كما أن تدريس المفردات للتلاميذ بطرق مختلفة لا يجعل الفرق بين التلاميذ ينقص في اكتسابهم للمفردات (بلاقوفيتش وفيشر 2000). ثم إن المنتظر من طرق تعليم المفردات هو تحقيق التلقائية في تعلم الكلمات الجديدة لدى التلاميذ، إلا أن هذا تحد لم يرفع بعد باعتراف العديد من المساعدين التربويين.

مشكلة سوء استخدام استراتيجيات الفهم القرائي:

وقد تكون مشكلة القراءة لدى التلاميذ هي في الحقيقة مشكلة سوء استخدام استراتيجيات الفهم القرائي. يمكن تقديم المساعدة التربوية للتلاميذ لتحسين الفهم القرائي عن طريق تدريس استراتيجيات النشاط القرائي، وهي محددة مسبقا، ويتلقى المتعلم مواصفات هذه الاستراتيجيات عن طريق التعليم. بينت العديد من الدراسات أن تحسين مستوى الفهم القرائي بتدريس استراتيجيات الفهم القرائي شيء قائم، ولا يخص فقط التلاميذ ذوي

الصعوبات في تعلم القراءة (جيرستين 2001) ، بل التلاميذ كلهم يستفيدون من هذا التعليم (نيتش 2000).

توجد طرق عديدة للمساعدة التربوية عن طريق تدريس استراتيجيات الفهم القرائي (نيتشد 2000). والبحوث في هذا المجال أكدت نجاح عدة طرق تعليمية بغية تحقيق الاستيعاب القرائي، كتعليم التلميذ كيف يدير عمليات الفهم القرائي، أو استخدام الرسوم البيانية وخرائط نظامية للبحث عن الدلالة، أو طرح أسئلة عالية المستوى على التلاميذ لإدارة عمليات الفهم للنص، أو تعليم التلاميذ توليد الأسئلة الذاتية ، وكذالك تلخيص النص كله أو البعض منه من طرف التلاميذ أنفسهم.

كما أكدت دراسات أخرى أنه حينما تكون استراتيجيات الفهم القرائي هي موضوع التعليم، يتحسن الاستيعاب القرائي لدى التلاميذ، ويشمل هذا التحسن الفهم للنصوص السردية أوالإخبارية (جيرستين وأعوانه 2001). وخرجت الدراسة الأخيرة لجيرستين بملاحظتين هامتين، الأولى هي أن المعلم يجب أن يبين للتلاميذ بصورة ملموسة كيف تستخدم استراتيجيات الفهم القرائي في تدريسه لعمليات القراءة. والملاحظة الثانية هي أن يجعل المعلم تلاميذه يرجعون إلى أنفسهم أكثر في تعلمهم لاستراتيجيات الفهم القرائي، ليدرك القارئ ما ذا وكيف يفعل وهو يقرأ. إن إدراك القارئ لما يفعل وهو يحاول تحقيق الفهم للنص هو ما يطلق عليه بعمليات ما وراء المعرفة في الفهم القرائي.

عمليات ما وراء المعرفة في الفهم القرائي ومشكلة ضعفاء الفهم القرائي:

يعتبر النشاط القرائي من الأنشطة العقلية المعقدة، ويتطلب استخدام جملة من العمليات المعرفية لحل مشكلات واستنباط فروض والتحقق من استنتاجات. يتعلم القارئ بهذه الطرق التعرف على الكلمات المرئية والتفكير المركز لتوقع المعاني من النص (حسن شحاتة 1992). فالنشاط القرائي يتضمن عمليات معرفية وعمليات ما وراء المعرفة. أما العمليات المعرفية فإنها

تمثل كل ما يوصل القارئ إلى إدراك المعاني من النص، في حين أن ما وراء المعرفة فهو كل عملية تأملية يكون موضوعها المعرفة نفسها، ويعمل الفرد بموجبها على توظيف وإدارة عملياته المعرفية. يصف براوون (1978) ومن بعده وودورف (1991) ما وراء المعرفة بأنها الدراية بمهارات القراءة وحسن استخدام هذه المهارات، وهو ما يحتاج إلى التوفيق بين مختلف العمليات العقلية التي تؤدي إلى الفهم القرائي.

إن الدراسات التي تناولت موضوع استخدام ما وراء المعرفة في النشاط القرائي بينت بأن المفهوم الخاطئ لما وراء المعرفة وسوء استخدامها يبدوا الأكثر ارتباطا بذوي صعوبات القراءة (يوسف قطامي 1990، فتحي الزيات 1998)، وذالك لكون أن مستوى مراقبة الذات أثناء القراءة يبقى ضعيفا لديهم (قارنير 1987). ولتحسين المستوى القرائي لهذه الفئة من التلاميذ، تم تدريبهم على استخدام مهارات التعرف على الكلمات. فاتضح أن الحاجة إلى تعلم استراتيجيات الفهم القرائي ظلت قائمة رغم التدريب، ثم تبين أنهم يفتقدون إلى تصور نموذجي لكيفية بناء النصوص والتراكيب اللغوية (فتحي الزيات، 1998). كما ظهر من نفس الدراسة أن هؤلاء التلاميذ ليس لهم دافع قوي للقراءة، وهذا ما أضعف الحصيلة المعرفية لديهم، ثم إن شعورهم بالقلق والتوتر الناشئ عن ضعف فهمهم للمادة موضوع القراءة، جعلهم يأخذون اتجاهات خاطئة نحوها. وهذا ما بينته دراسة رفاييل وبيرسن (1997) وهو أن ضعفاء الفهم القرائي لا يدركون بأن مهمة القراءة تثير أنواع مختلفة من التساؤلات الموقفية بما فيها الحرفية، ويغفلون التساؤل الذي ينبئ بالبحث عن المعنى العام للنص بالاعتماد على المعرفة السابقة. وتشير دراسة مارقاريت (2000) إلى أن ضعفاء الفهم القرائي يعتقدون خطأ بأن القراءة هي مجرد لفظ الكلمات، وإنهم يقرؤون ببطء شديد لأن مهارة التعرف على الكلمات ضعيفة لديهم، ويوزعون انتباههم أكثر نحو الجمل على حساب النص. في حين أن التلاميذ الجيدين يتوقفون كثيرا، ويبحثون عن التلميحات التي يضعها المؤلف للوصول إلى الأفكار الرئيسية والتعرف على نظام الكتابة، كما أن

القراءة لا تكون على وتيرة واحدة عندهم، ويحددون الهدف من القراءة مسبقا، ويحاولون الإلمام بالأفكار التي يضعها المؤلف في الكلمات، ويرجعون إلى المعلومات السابقة، كما يلخصون معاني النص لأنفسهم باستمرار . هذا ومن دراسة يوسف قطامي (1990) ظهر بأن الأطفال ذوي صعوبات القراءة يفتقدون إلى استراتيجيات ما وراء المعرفة العالية المفعول، وبالتالي فإن

استخدام استراتيجيات

حاجتهم للمساعدة الخارجية كبيرة لتغيير الاستراتيجيات وأساليب القراءة لديهم. كما بينت دراسة هلاسر (1989) أن السبيل إلى زيادة الوعي بالمعارف وخبرات القراءة يتصل برفع القدرة على استخدام استراتيجيات ما وراء المعرفة التي تتعلق بتحديد الغرض من القراءة، وكيفية تنشيط المعرفة السابقة وتوظيفها. وهنالك دراسات أخرى أقيمت لتبين أهمية استخدام استراتيجيات ما وراء المعرفة لتنمية مهارات الفهم القرائي. نجد في النموذج الدراسي لمارسير (1997) إجراءات التعامل مع إستراتيجية التنبؤ لتوقع الأفكار من خلال قراءة العناوين، وإستراتيجية التنظيم الاستدلالي للأفكار باستخدام الخرائط المعرفية. إن هذه الاستراتيجيات هي معروضة على التلاميذ للتعرف على عمليات ما وراء المعرفة التي ينجزها القارئ لاستكشاف معاني النص. بينت هذه الدراسة أن الإلمام بهذه الاستراتيجيات والتدريب علي استخدامها يساهم كثيرا في تنمية مهارات الفهم القرائي.

الاستيعاب القرائي	استراتيجيات الاستيعاب القرائي الدنيا	استراتيجيات الاستيعاب القرائي العليا
المستوى القرائي الضعيف	34,48	65,51
المستوى القرائي الجيد	26,47	*73,52

***ك2= 7,52 > من القيمة الجدولية المطلوبة= 6,64 ، درجة الحرية 1، ك2 دالة إحصائيا عند مستوى 0,01.**

الجدول 1

وإذا قارنا بين القارئ القوي والقارئ الضعيف في تعاملهما مع القراءة، للاحظنا أن كلاهما يدرك بأن القراءة تحتاج إلى المعرفة بالاستراتيجيات الدنيا (العمليات المعرفية التي يحتاج إليها النشاط القرائي) وبالاستراتيجيات العليا أي باستراتيجيات ما وراء المعرفة (عمليات ما وراء المعرفة). إلا أن استراتيجيات ما وراء المعرفة تستخدم أكثر لدى التلاميذ ذوي المستوى الجيد (73.52■،الجدول1) تدل هذه النتيجة أن ضعف الاستيعاب القرائي لا يتعلق بمستوى وعي القارئ باستراتيجيات ما وراء المعرفة بقدر ما يرتبط بكيفية توظيفها في القراءة. وعلى هذا يبدوا أن حاجة التلاميذ ذوي صعوبات القراءة قائمة للتدريب على كيفية توظيف استراتيجيات ما وراء المعرفة في القراءة .

مشكلة التصور الذهني لمهمة القراءة:

إن ضعف الاستيعاب القرائي لدى المتعلمين في الصف المدرسي يمكن أن يظهر سببه من خلال وصف نمطية بناء التصور الذهني لمهمة القراءة

لدى المتعلم. يحتاج النشاط القرائي السليم إلى بناء تصور ذهني لمهمة القراءة يتطابق مع محددات مهمة القراءة ومتطلبات الاستيعاب القرائي.

هل يتطابق تصور مهمة القراءة لدى القارئ القوي والضعيف؟

يمكن إرجاع ضعف الاستيعاب القرائي إلى بناء تصور ذهني سطحي لمهمة القراءة، وهو تمثل للنشاط القرائي يناسب اعتقاد الفرد بأن القراءة هي مجرد لفظ الكلمات وتحديد معاني المفردات. إلا أن القارئ الذي يتبنى تصور أعمق لمهمة القراءة يعتبر أن القراءة هي أكثر من ذالك وتحتاج إلى تدريب على مهارة التعرف على الكلمات المقروءة، ووضع هدف من القراءة، وإدراك نظام النص، والتوقف للتفكير للتنبؤ بالأفكار، وتلخيص معاني النص، والرجوع باستمرار إلى المعرفة السابقة. نتوقع أن يتبنى المفهوم السطحي لمهمة القراءة التلاميذ ذوي صعوبات في القراءة، أما المفهوم العميق فيبرز أكثر لدى التلاميذ الأقوياء.

التصور الذهني لمهمة القراءة		
	التصور القرائي السطحي	التصور القرائي العميق
المستوى القرائي الضعيف	*67,4	32,25
المستوى القرائي الجيد	38,23	61,76

***ك2= 4,06 > من القيمة الجدولية المطلوبة = 3,84 ، درجة الحرية 1، ك2 دالة إحصائيا عند مستوى 0,05.**

الجدول 2

يعطي الجدول 2 معلومات تخص نمطية التصور الذهني لمهمة القراءة، ويظهر من هذا الجدول أن التلاميذ الذين يميلون أكثر إلى بناء تصور سطحي للقراءة يوجدون بنسبة عالية من بين التلاميذ ذوي المستوى القرائي الضعيف (%67.4). إن التلميذ الضعيف له تصور سطحي لمهمة القراءة حيث يعتبر أنها مجرد لفظ للكلمات، والهدف منها هو تحديد معاني المفردات، ويشدد انتباهه أكثر نحو الجملة على حساب النص. أما التلاميذ الذين لديهم تصور عميق فتكون نسبتهم عالية إذا كانوا من بين التلاميذ ذوي المستوى القرائي الجيد (%61.76). إن التلميذ ذوي المستوى الجيد في القراءة له تصور عميق لمهمة القراءة، وهو التصور الذي يوجه القارئ نحو التفكير والتنبؤ والتحليل والرجوع إلى المعرفة السابقة في قراءته للنصوص. وهذا ما أكده الباحث طعيمة (1998) من دراسته للقراءة حيث أنه بين بأنها عملية ذهنية تأملية تستند إلى عمليات عقلية عليا، من تفكير وتقويم وتحليل وتعليل وحل مشكلات. إنها عملية تتعدى النشاط البصري الذي يسمح بالتعرف على الرموز المطبوعة للنطق بها، بل تتطلب قدرات وإمكانات عقلية أخرى يوظفها القارئ لكي يحقق الاستيعاب القرائي (جاد 2003). فهي ليست عملية سهلة تحدث فجأة، وإنما تحتاج إلى التدريب وتطوير الاستراتيجيات المعرفية وما وراء المعرفة لكي يحدث التفاعل بين أفكار الكاتب والمعرفة السابقة للقارئ، ومنه للوصول إلى استنتاجات خاصة تساعد على الفهم واستيعاب مضمون النص (كوفمان 1985). وجاءت دراسة بالينكار (1995) لتؤكد على أن الاستيعاب القرائي الواسع لن يتحقق بالصورة المطلوبة إلا إذا توفر لدى القارئ المستوى المناسب من الوعي بما تتطلبه مهمة القراءة من أنماط ذهنية تنعكس في أدائه القرائي.

التلاميذ الذين يعانون من صعوبة مستدامة في تعلم القراءة:

إن هذه الفئة من التلاميذ تبقى على حالها بالرغم من توفير تعليم جيد وخدمة تربوية إضافية لهم. إنهم يظلون يعانون من مشاكل القراءة والكتابة طوال الطور الابتدائي وحتى في الطور الثانوي للبعض منهم. لذالك أصبحوا يصنفون بأنهم تلاميذ يعانون من ضعف مستدام في القراءة.

ما هي علامات الفئة المصنفة بالضعف المستدام في القراءة؟

إن هذا الضعف يكمن في الغالب بالأول في عدم القدرة على التعرف على الكلمات المقروءة، حينما يكون من السهل على زملاء الصف تعلم ذالك، ثم تظهر أيضا لدى هذه الفئة من التلاميذ مشكلة تعلم ضبط فك الترميز للكلمات في مرحلة ما من تعلم القراءة. كما يظهر لدى هؤلاء التلاميذ بأن لديهم أيضا صعوبات شديدة في الربط بين الحروف والأصوات اللغوية. إنهم يُعرفون بما سموه أهل الاختصاص بتلاميذ عسر القراءة (ليون وأعوانه، 2001)، لأن استجابتهم للمساعدة التربوية كانت سلبية، ولم يستفيدوا من البرامج التعليمية الخاصة، ولا من تدخل المساعدين التربويين، وتنفيذ المناهج التعليمية الخاصة بالتلاميذ ذوي الصعوبة في القراءة.

إن دراسات ليون (2001) ومودي (2000) التي جرت على هؤلاء التلاميذ بينت بأن القليل منهم يستفيدون من المساعدة التربوية، وإذا اعتبرنا أن المساعدة التربوية تبقى ممكنة بالنسبة لهم، فإنهم يحتاجون إلى رعاية خاصة خلافا لما يقع لزملائهم. إذا احتاج التلميذ العادي إلى تكرار ثلاثي أو رباعي للكلمات لترسيخها في الذاكرة، وكذالك التلميذ الذي يعاني من مشكلة في الكتابة الذي يحتاج إلى تكرار المحاولات من خمسة عشر إلى خمسة وعشرون محاولة لكي تستكين الكلمات في الذاكرة، فإن التلميذ الذي يعاني من صعوبة مستدامة في تعلم القراءة يحتاج إلى خمسة وسبعون إلى مئة محاولة لكي ينجح في ذالك (كارفير 2000).

ومن حيث المساعدة التربوية لهذه الفئة من التلاميذ، فإن القليل منهم يستفيد من المساعدة التربوية العادية في الصف المدرسي، بل حاجاتهم إلى الرعاية الفردية عالية على يد معلمين مختصين. لقد بينت نتائج البحث في مجال الارتقاء في القراءة بأنه يصبح أمرا ممكنا بالنسبة لهؤلاء التلاميذ إذا اعتني في التدخل التربوي نحوهم بالتدريب الفردي على معالجة الأصوات اللغوية، وتعليمهم لفك الترميز اللغوي لكي يتم بسرعة، وكذالك بتقوية ذاكرتهم اللغوية (أليقتون 2001، تورجيزين 2002، راموس 2003، شاويدس

2001). يبقى أن هؤلاء التلاميذ ذوي الصعوبة المستدامة في القراءة، لوحظ بأنهم يعانون من مشكل إضافي آخر، ألا وهو ضعف الدافعية تجاه القراءة. قد يكون سبب ذالك هو الغياب المستدام لتحسن مستواهم في القراءة. ولكن يمكن أن يرجع السبب إلى الكتاب المدرسي والنصوص المقترحة لتعليم القراءة في الصف المدرسي. إن تعرض التلاميذ لقراءة النصوص المعقدة يوميا ولسنوات عديدة، يجعل دافعية القراءة تنقص عندهم (ألينقتون 2001).

لا بد أن نظيف، بالنسبة للمساعدة التربوية لتحقيق الارتقاء لدى التلاميذ عسيري القراءة، أنه يبقى الكثير ما يجب فعله نحوهم لإحياء دافعية القراءة من جديد. لا توجد دراسات تخص برامج المساعدة لهذه الفئة من التلاميذ على المدى الطويل (3 أو 5 سنوات)، بل إن معظم برامج المساعدة التي اعتمدت تجاه هؤلاء التلاميذ لم يتعدى مداها السنة الواحدة (أليينقتون 2001). إنه لمن الممكن جدا تخفيض عدد هؤلاء التلاميذ في المدارس بتقديم برامج تربوية ثمينة ومكيفة لحاجياتهم التربوية، ويجب أن تشمل هذه البرامج تعليما للقراءة عالي الجودة بداخل الصف، وبرامج وقائية محكمة تراعي نتائج الدراسات في مجال المساعدة التربوية، ومتابعة دقيقة للتلاميذ ذوي الصعوبة في القراءة من بداية الطور الابتدائي.

المنهج التربوي الوقائي من ظهور ضعف الاستيعاب القرائي:

إن الملاحظة الأولى التي خرجت من الدراسات التي جرت على المتعلمين ذوي الصعوبات في القراءة هو أنه لا توجد طريقة واحدة لمساعدة هؤلاء التلاميذ، لأن حاجياتهم تجاه القراءة كبيرة وذات أوجه مختلفة، ولكي نعمل على تفادي رسوبهم المدرسي بسبب ضعفهم في التعامل مع القراءة، يجب أن تتضافر الجهود لتحديد منهج تربوي شمولي تكون فيه معالم المساعدة التربوية واضحة وملموسة. إن معظم الباحثين في صعوبات القراءة (ألينقتون 2001، قراهام وهاريس 2000) خلصوا إلى قول شبه موحد وهو أن مكونات منهج المساعدة التربوية يجب أن يشمل المستويات الثلاثة التالية، هي تحسين جودة تعليم القراءة في الصف، العمل الوقائي والمتابعة الفعالة

للمتعلمين خلال الطور الابتدائي، ثم تكثيف تدخل المختصين ورفع المدة الزمنية المقررة للقراءة.

كيف يتم تحسين جودة التعليم في الصف؟

يتفق الخبراء في مجال صعوبات القراءة بأن السلاح الأنجع للوقاية من الفشل في تعلم القراءة هو توفير من البداية تعليم ذو جودة عالية. إنها الوصية الرئيسة التي أشارت إليها دراسات عديدة خصت التعليم ذو القدوة (بريسلي 2001، تايلور وبيرسون 2002) الذي يركز على عناصر هامة، كتوفير الأدوات التربوية الضرورية، والتنظيم الفعال لحصة التدريس، والتعامل مع مجموعات صفية معقولة العدد. إلا أن العنصر الرئيسي في التعليم ذو القدوة فهو، ولا شك في ذالك، كفاءة المعلم والمواقف التعليمية التي يوفرها لتلاميذه في الصف. إن تحسين كفاءة المعلم تؤثر إيجابا في المردود القرائي للتلاميذ. لقد بينت الدراسات التربوية الحديثة مواصفات المعلم القدوة الذي يعلم تلاميذه القراءة، ولخصها الباحث تايلور (2002) في العناصر التسعة التالية:

- إن المعلم القدوة يوفق في تعليمه بين تعليم القراءة وتعليم استراتيجيات القراءة.
- يحث تلاميذه على استخدام الملكات المعرفية العليا في النشاط القرائي.
- يقوم بتعليم استراتيجيات التعرف على الكلمات واستراتيجيات الفهم القرائي، ويحرص في تعليمه على جعل التلاميذ يكتسبون الكفاءة الذاتية لتطبيق هذه الاستراتيجيات في القراءة.
- يعلم القراءة الرجعية ومعاودة القراءة الآنية، لما لها من فائدة لتحقيق الاستيعاب القرائي.
- يشجع على التقويم الذاتي لدى المتعلمين.
- يتيح فرص للمتعلمين للخوض في أنشطة قرائية على المستوى الدلالي.

- يملك صورة عالية السقف عن مفهوم الارتقاء في الاستيعاب القرائي ويؤمن بإمكانية تحسن مستوى المتعلمين في القراءة.
- يملك كفاءة عالية في تسيير الصف.
- ينمي علاقات جيدة مع أولياء التلاميذ.

ولهذا يظهر بأن تعليم القراءة المنهجية لا يعتمد على اختيار طريقة تعليمية واحدة، وإنما يجب تفعيل المنهج الشمولي بكل مكوناته لكي يتم تحقيق الأهداف التربوية في تعليم القراءة (جوسيلين جياسون 2004).

العمل الوقائي والمتابعة الفعالة للمتعلمين خلال الطور الابتدائي:

توجد دراسات كثيرة حول الرسوب المدرسي في أوروبا، بينت بأن الفشل في تعلم القراءة في السنة الأولى يؤدي إلى التخلي عن الدراسة فيما بعد، وهذا ما دفع الجهات الرسمية في أوروبا إلى إعطاء أهمية كبيرة للوقاية، باعتبارها الحل الأنجع لمواجهة الرسوب المدرسي. إن الفشل في تعلم القراءة مع بداية عمليات التعلم المدرسي يؤدي لا محال إلى الفشل في تعلم المواد المدرسية، وهذا ما أكدته بحوث أوروبية في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، وهو الذي دفع أهل الاختصاص للتفكير في إعداد برامج وقائية تخص مرحلة الحضانة والسنة الأولى الابتدائية. وبعد مرور فترة زمنية كافية تم فيها تطبيق هذه البرامج الوقائية، وكذالك بعد أن تم تقييم هذه البرامج على يد خبراء، تبين أنها ساهمت كثيرا في تخفيض نسبة المتعلمين ذوي الصعوبات في التعلم (هايبرت وتايلور 2000، ستورايكلند 2002، يادان 2000)، كما تم بموجب هذه البرامج الوقائية علاج مشكلات تعلم القراءة في الابتدائي بنسبة 70 ■ (ليون 2001).

إن للعمل الوقائي فائدة كبيرة لتجنب الرسوب المدرسي وعلاج مشكلة التخلي عن الدراسة، لكن يبقى عدد كبير من التلاميذ لا يرتقون مدرسيا في ظل العمل

الوقائي. وهذا ما دفع الخبراء الإقرار بوجوب الاقتران بين برامج العمل الوقائي والمتابعة الفعلية للتلاميذ ذوي الصعوبات في تعلم القراءة من الطور الابتدائي.

تكثيف تدخل المختصين ورفع المدة الزمنية المقررة للقراءة:

إن التلاميذ ذوي صعوبات تعلم القراءة، حينما يظهر عليهم أي عجز في الارتقاء المدرسي بالمقارنة مع الأقران، من المفروض أن يستفيدوا من برامج تربوية خاصة تمكنهم من الالتحاق من جديد بزملائهم في الصف. ثم إن الدراسات التي قيمت جودة برامج المساعدة التربوية بينت بأن هذه الأخيرة لا تعطي ثمارها بالكامل (كلانك وكيبي 2000) لأنه لم يُراعى فيها جوانب ثلاث، وهي 1/ عدد التلاميذ في المجموعة التي تتلقى المساعدة التربوية من المعلم، 2/ حجم المساعدات التربوية في الزمن، 3/ ثم الثقل النوعي لهذه المساعدات. دلت حاصلة كبيرة من الدراسات حول المساعدة التربوية الخاصة بالأطفال ذوي الصعوبات في التعلم أن المساعدة الفردية أو تعامل المساعد التربوي مع مجموعات ذات عدد صغير من التلاميذ (أقل من ثلاثة أفراد)، تكون فائدتها أكبر من التعامل مع مجموعات ذات الحجم الكبير(من خمسة إلى تسعة أفراد). ثم إن المساعدات التربوية اليومية تعطي نتائج أفضل من المساعدات المتباعدة في الزمن. كما أن التدخل التربوي الذي يُدرج فيه التدريب على الأداء القرائي النموذجي، ولمدة زمنية كافية يتعلم التلميذ فيها القراءة، يكون مفعوله أكبر من المساعدات التربوية العامة (أليكتون 2001).

إن الغالب في الساحة هو أن المساعد التربوي للتلميذ ذوي الحاجة يكون هو المعلم نفسه المسؤول عن الصف كله، وهذا ما يجعل تلاميذ الحاجة إلى المساعدة لا يستفيدون بالشكل الكافي، لأن المعلم لا يقدم مع تلاميذ الصف العادي الإضافات الضرورية التي يحتاج إليها لا محال تلاميذ الحاجة. فقد بينت دراسات عديدة أن حاجياتهم التربوية أكبر من غيرهم، ويجب أن تكون برامج

المساعدة معدة لهم دون غيرهم، بالأخص لأنه يعرف عليهم بأنهم لا يوفرون بالعادة وقتا كافيا للقراءة بصورة تلقائية سواء في المنزل أو في الصف المدرسي. لهذا يصبح لزاما لمساعدة هؤلاء التلاميذ، بأن يتم إعداد برامج تربوية خاصة بهم، لتعليم القراءة خارج أوقات المدرسة بمراعاة حاجياتهم التربوية، ويجب أن يكون ذالك على يد مساعدين تربويين خبراء ومؤهلين في تقديم الخدمة التربوية (ألبوم 2000، ألينكتون 2001).

الخاتمة:

إن البحث المسحي حول فئات التلاميذ ذوي الصعوبات في القراءة في الطور الابتدائي يعتبر ضروري قبل تناول موضوع المساعدات التربوية المناسبة لتلاميذ الحاجة. حاولنا تصنيف هؤلاء التلاميذ ووصلنا إلى نتيجة مفادها أن جوانب المساعدة التربوية لهم تقترن بتشخيص ما لديهم من صعوبات في تعلمهم للقراءة. يوجد من المتعلمين للقراءة من يشكوا من عدم اكتساب بعد القدرة على المعالجة الشفهية لأصوات لغة القراءة، وهنالك من يتابهم خطر الفشل الدراسي بسرعة في المسار المدرسي، فيخفي فشلهم الدراسي هذا مشكلتهم مع القراءة لتتحول إلى مشكلة قرائية مستدامة. ويوجد من أطفال الصعوبات في القراءة من لديهم صعوبة في متابعة وتيرة التلقي في الصف، حينما تبين أنهم أطفال يعانون في الحقيقة من مشكلة تعثر عملية الفهم بأنواعها في القراءة، كمشكلة السيولة، أو ضعف سجل المفردات، أو سوء استخدام استراتيجيات ما وراء المعرفة في الفهم القرائي، أو مشكلة التصور الذهني لمهمة القراءة، كما تبين من اختلاف بناء المفهوم لمهمة القراءة بين القارئ القوي والقارئ الضعيف. وهكذا، فمن هذا المنطلق السليم في رأينا، والذي يضع مبدأ التعرف على أنواع صعوبات التلاميذ القرائية في الواجهة قبل الحديث عن أنواع التدخلات للمساعدة التربوية، فإن هذا النهج

للتدخل التربوي ليعالج في رأينا الكثير من أنواع الصعوبات القرائية، ويقي تلاميذ الطور الابتدائي من خطورة الفشل الدراسي المبكر الناجم عن فشلهم في تعلم القراءة.

المراجع باللغة العربية:

1/ أحمد عبد الله & فهيم محمد، 1994، - الطفل ومشكلات القراءة -، الدار المصرية.

2/ أوجيني مدانات، 1992، - الطفل ومشكلاته القرائية في الصفوف الابتدائية - ، دار مجدلاوي
للنشر والتوزيع.

3/ باسمة فهد الشايجي، 2000، - تنمية مهارات القراءة الفعالة -، جامعة الخليج العربي.

4/ جاد محمد لطفي محمد، 2003، - فعالية استراتيجية مقترحة في تنمية مهارات الاستيعاب القرائي -، مجلة القراءة والمعرفة، العدد 22، مصر.

5/ شافية الزيد، 1997، - استخدام طريقة التدريس المباشر في تنمية مهارات الفهم القرائي -، جامعة الخليج العربي.

6/ عادل محمد العدل، 2002، - ما وراء المعرفة والدافعية واستراتيجيات التنظيم الذاتي للتعلم لدى العاديين وذوي صعوبات التعلم - ، مجلة كلية التربية، العدد 26، جامعة عين الشمس.

7/ محمد العدل & صلاح شريف عبد الوهاب، 2003، - القدرة على حل المشكلات ومهارات ما وراء المعرفة لدى العاديين والمتفوقين عقليا -، مجلة كلية التربية، العدد 27، جامعة عين الشمس.

8/ وليام تاودروس ، 2003، - ما وراء المعرفة ، المفهوم والدلالة- ، مجلة القراءة والمعرفة، العدد الأول، مصر.

المراجع باللغة الأجنبية:

1/ Blachowicz, C. L. & Fisher, P. (2000). " Vocabulary instruction. In M. L. Kamil, P. B. Mosenthal, P. D. Pearson & R. Barr (Eds), Handbook of reading research (pp. 503-524).□

2/ Brown, A. L., (1978) " Knowing when, where and how to remember: A problem of metacognition", Ed NJ: Lawrence Erlbaum.

3/ Brown, A. L., 1981, "Metacognition: the developpement of selective attention strategies For learning from texts -, M. L. Kamil (Eds) Washington.

4/ Ehri, L. C. & Nunes, S. R. (2002), " The role of phonemic awareness in learning to read". In A. Farstrup & S. J.

5/ Elbaum, B., Vaughn, S., Hughes, M. T. & Moody, S. W., (2000), " How effective are one-to-one tutoring programs in reading for elementary students at risk for reading failure ? A meta-analysis of the intervention research. Journal of Educational Psychology, 92 (4), 605-619.

6/ Gersten, R., Fuchs, L. S., Williams, J. P. & Baker, S. (2001). " Teachin reading comprehension strategies to students with learning disabilities : A review of research. Review of Educational Research, 71 (2), 279-320.

7/ Kuhn, M. R. & Stahl, S. A. (2003). " Fluency : A review of developmental and remedial practices" . Journal of Educational Psychology, 95 (1), 3-21.

8/ O'Connor, E. & Simic, O., 2002, " The effect of Reading Recovery on special education referrals and placements " , Psychology in the Schools (eds), 39 (6), 635-646.

9/ Plewis, I. , 2000, " Evaluating educational interventions using multilevel growth curves : The case of Reading Recovery. Educational Research and Evaluation, 6 (1), 83-101.

10/ Pressley, M., Allington, R., Wharton-McDonald, R., Block, C. & Morrow, L. 2001, " Learning to read : Lessons from exemplary first-grade classrooms ", New York : Guilford Press.

11/ Taylor, B. M. & Pearson, P. D. ,2002, " Teaching reading : Effective schools, accomplished teacher. Mahwah, NJ : Lawrence Erlbaum.□

12/ Torgesen, J. K., 2002," The prevention of reading difficulties", Journal of School Psychology, 40 (1), 7-26.□

13/ Torgesen, J. K. ,2000, " Individual differences in response to early interventions in reading : The lingering problem of treatment resisters. Learning Disabilities Research & Practice, 15 (1), 55-64.

الليبرالية ومسارات السلطة

د. رباني الحاج،
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،
جامعة معسكر,

إن الحداثة الغربية استغرقتنا وجعلتنا نزعم أننا حداثيين ولو كان ذلك علي سبيل الادعاء والمواكبة، بل وحتى الدخول في نمط من المجاراة ذات الطابع الاستهلاكي البسيط أو الطابع الاستهجاني السطحي، وفي الحالتين يغيب عنا، أننا مسئولون عن أفكارنا ومواقفنا وتصوراتنا التي نحملها معنا حول الحداثة وما بعد الحداثة والعقلانية التي أثمرتها الفلسفة الليبرالية في العصر الحديث، والمسؤولية في هذا الإطار تعني أننا نفكر في مفاهيمنا التي ننتجها أو نتلقاها قبل الارتباط بها أو الانفصال عنها، وهو ما يتطلب منا التسلح بوعي تاريخي يقتضي منا التفكير ككائنات بشرية تعيش داخل تاريخيتها الراهنة والمأمولة، وأن نميز بين الخيالي وبين المثالي، بين العقلاني والواقعي، بين الممكن والمستحيل. هذا التفكير المسؤول هو وحده الذي يسمح لنا بالتحرر من عشوائية المواقف وتلقائية الأفكار، والخلط بين المتناقضات، وفقداننا لماهية الأشياء، ولذلك إذا كانت الحداثة هي ما شغل أفكارنا لزمن طويل، وكثيرا ما ظلت هذه الحداثة عقيدة غير مطاعة، فكنا حداثيين غير مؤمنين بحداثتنا، فقد آن الأوان للتفكير في الأساس الذي قامت عليه وانتهت إليه، إنه المشروع الليبرالي للحداثة الذي عدلته فلسفات ما بعد الحداثة، التي أنتجتها المجتمعات التقنية عندما وصلت إلى استبدال القيمة الإنسانية للمعرفة بالقيمة المادية والسيبرنيطيقية، بحيث أصبح العلم هو مجموع المعلومات القابلة للاستعمال المباشر، والسؤال الذي نطرحه هنا، أليست الليبرالية هي

ما أثمرته المجتمعات الحديثة سواء في مرحلتها الحداثية أو ما بعد الحداثية ؟ وإذا كان الأمر بهذا الشكل فما هي الأسس التي قامت عليها الليبرالية ؟

إننا هنا أمام ذواتنا دون أقنعة سحرية أو استلاب ثيولوجي، وعلينا أن نتحرر من كل تبعية للقيم والحقائق التي تدعي الإطلاقية، من هنا تمنح الليبرالية الاعتبار للوجود الاجتماعي - كنتاج للعبة تلقائية للتكرار (عادات، اتجاهات، وبطريقة ما، تقاليد) مرتبطة بتصور ما لطبيعة الإنسان.(Garandeau, M,1998: 14)

تنطلق الليبرالية من الربط بين الواقع والمعرفة، بين وجودنا الاجتماعي وبين تصورنا لطبيعتنا، ومن ثم فهي تنزع إلى الانفتاح على تاريخيتنا، والتاريخية هنا لا تعني مرحلة تاريخية محدودة، بقدر ما تعني التحرر من الرؤى والتصورات السطحية، والإنصات إلى صوت الكينونة فينا حتى لا نعمل ضد كينونتنا، ولذلك يجب علينا التمييز بين الانفتاح على الطبيعة وبين التبعية لها، كما يجب علينا التمييز بين الانفتاح على واقعنا والتبعية له، هذا البين بين هو وحده الذي يخترق السياج المغلق التي أرست قواعده سلطة اللاهوت التي يمكن لكل سلطة أن تكون متمرسة أو متسترة وراءها مهما كان العصر الذي جاءت فيه والمصدر الذي انبثقت منه، ذلك أن كل سلطة من حيث هي سلطة تنزع نحو الانغلاق والإطلاق، وترفض كل محدودية مهما كانت مبرراتها، لذلك أعلنت الليبرالية التحرر من قداسة الشرعية المضفاة على السلطة سواء كانت هذه السلطة دينية أو سياسية، ومع ذلك ارتبطت الليبرالية بعقيدة فلسفية تعطي أولوية للذات الإنسانية ككيان مستقل مزود بملكة عقلانية، ففتحت بذلك المجال لإرساء قواعد ومبادئ الحداثة الفكرية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية التي

أفضت إلى تأسيس حقوق الإنسان في المجالات المختلفة، انطلاقا من الاعتراف بذاتيته وأنانيته، وعليه أولت الليبرالية أهميتها للعدل في أساسه الديونتولوجي، أكثر من انخراطها في الأفق الفكري التليولوجي، مما يعني - ضرورة إعادة توزيع الخيرات والثروات انطلاقا من وضع اجتماعي قائم بشكل تلقائي، أي لا أحد اختار فيه الوضع الذي هو عليه – المساواة بين جميع الأفراد – فالمجتمع هو عبارة عن تفاعل غير محدود بين الأفعال الفردية، انطلاقا من التسليم بوجود مبدأ طبيعي للتوازن، يستبعد ما هو اصطناعي مثل الدولة، ويمكن اعتبار نظريات الحق الطبيعي الحديث، وكذلك الصيغة المعاصرة لليبرالية قائمة على إجراءات قانونية -محايدة - تحيل على نفس هذه التلقائية: فهي تريد إقامة أشكال تضامن اجتماعي، انطلاقا من خطر الموت العنيف الذي يأتي من الغير في حالة الطبيعة، أو على حالة الجهل بوضعنا في المجتمع المستقبلي حسب ستار الجهل الراولزي (Garandeau, M, 1998: 14 -15)

إن هذا الربط بين السياسي والاقتصادي يمر عبر أرضية فكرية شاملة استندت إليها الليبرالية، فقبل التحرر السياسي والاقتصادي لا بد من التحرر الفكري والأخلاقي، أي الاعتراف بأننا أحرار في أفكارنا واعتقاداتنا ومذاهبنا واتجاهاتنا السياسية، والإعلان عنها أمام الآخرين، من هنا ارتبطت الليبرالية تاريخيا بالمذهب الذي سار عليه لوك، مونتسكيو، روسو، والذي يقوم على التسامح، واحترام حرية الأفراد – خاصة الحرية الفكرية –ولتحقيق ذلك يجب الحد من سلطة الدولة (على سبيل المثال: الفصل بين السلطات) – Girard, André, R,1990:198-199)هذا من جهة الليبرالية السياسية أما من جهة الليبرالية الاقتصادية، فإن الليبرالية ارتبطت تاريخيا بكل من كسنايQuesnay، ساي Say، آدم سميث AdamSmith، مالتوس

Malthus، ريكاردوRiccardo، جون ستيوارت ميل J. StuartMill)وهي قائمة على تصور يرفض تدخل الدولة في المجال الاقتصادي(إذا لم يكن ذلك من أجل الدفاع عن المبادرة الفردية) ويطرح كبديل وجود قوانين طبيعية قادرة على ضمان التوازن بين العرض والطلب، بشرط أن يؤدي ذلك إلى احترام المنافسة والملكية الفردية لوسائل الإنتاج، أما الليبرالية الجديدة Néolibéralisme، فهي مذهب، في وقتنا الحالي، وأمام فشل أو أزمة الليبرالية الكلاسيكية، يسمح بنوع من تدخل الدولة في المجال الاقتصادي، دون أن يؤدي ذلك إلى إعادة النظر بشكل كامل في مبدأ المنافسة، وحرية العمل – (Durozol,G, Roussel,A : 1990 -199).

رغم صعوبة التحديد الدقيق الجامع المانع لما ينصرف إليه القصد عند تلفظنا بكلمة الليبرالية، ورغم تعدد المجالات التي ترتبط بها والأبعاد المختلفة وربما المتناقضة التي تنطوي عليها، إلا أن ذلك لا يعني أنها تفتقد إلى مبادئ أساسية تقوم عليها، وفي مقدمتها مبدأ الحرية الذي يرتبط بمبدأ آخر ضروري لتحققه هو مبدأ الحد من سلطة كل سلطة مهما كانت طبيعتها، وعلى رأسها سلطة الدولة، أي السلطة السياسية التي هي بالتعريف – أس الدولة التي تفصح عن فحواها بالسيادة، أي بالقوة القاهرة. إنها ما يسري في الدولة ويتداول في النظام السياسي، أي في شبكة علاقات السلطة وآليات تداولها. وينبغي ألا يفهم من القول إن السلطة تنساب في النظام السياسي أنها تتماهى فيه وتتوقف عند حدوده. فالسلطة تتسم بخاصيتين. أولهما هي حركيتها، أي نزوعها الدائم إلى التمدد والتوسع، واندفاعها المستمر في داخل النظام السياسي إلى تجاوز حدودها وكسر قواعدها وأعرافها، وخاصيتها الثانية هي الإفصاح الاستعراضي عن تعبيرات القوة وشارات المقدرة وحالاتهما – (مناع، ه، 2000: 268 – 269).

هكذا تعمل الليبرالية على الحد من نفوذ السلطة ومن امتداد قدرتها واستطاعتها إلى تجاوز الحدود التي وضعت لها من طرف الأفراد الذين يرضخون لها، ومع أنها أي الليبرالية تميز بين ما ينتمي إلى الدولة وما ينتمي إلى المجتمع المدني، أو إلى ما هو فردي، وتعمل على انخراطها في بني من التعاون التلقائي فإن- هذه التمايزات لا تعبر بالدرجة الأولى عن التناقضات التي عادة ما نعرف من خلالها الليبرالية وهي تناقضات بين الفرد والمجتمع المدني، بين المجتمع المدني والدولة... فإذا قوضت الروابط الطبيعية، عن طريق الدم، الأرض، وقامت بتفكيك ما هو قائم من وحدات أو مؤسسات « instances » فالليبرالية تنتج بالموازاة ارتباطات أو روابط جديدة بين عدة استقلاليات. فهي تدشن بذلك وجود نظام توافقي، قائم على ضبط ذاتي للمجتمعات، بدون تدخل الله أو الملك، فهو نظام ناتج عن إرادة شخصية تتدخل لتضبط السلوكيات. هذه الانضباطية تقوم على بلورة صيغ سلوكية (اتجاهات)، أو تشريعية (قوانين). (Garandeau, M, 1998: 15-16)

إن الليبرالية، بهذا الشكل، تنفي وجود سلطة مطلقة صادرة عن إرادة غير بشرية، فالسلطة شأنها في ذلك شأن بقية الأشياء التي نملكها، يجب توزيعها بشكل يرضي جميع الناس، فهي ليست حكرا للبعض على حساب البعض الآخر، ولذلك هي خاضعة للتداول، مثل الأشياء المادية والرمزية التي هي من إنتاج التفاعل الحاصل بين الأفراد في جميع المجالات الحيوية، فالحاكم ليس قديسا ولا إلهً، وإنما هو مفوض من طرف المحكومين الذين لا يفضلهم في شيء، يفترض التقليد الليبرالي، فكرة الحرية والمساواة، بطريقة راديكالية تقوم على نوع من الخيال والاستبطان، أي النظر إلى الأفراد مثلما كانوا عليه، قبل وجود كل سلطة سياسية أو اجتماعية، وهو تقليد يؤسس للفلسفة الفردانية، التي

تعزو إلى الأفراد في الدول الحديثة، -حقوقا، أي منافع شخصية مصانة (بشكل خاص من طرف القانون)، لكن هذه الحقوق المسماة وضعية، هي حقوق وضعها المشرع، عن طريق السلطة السياسية، وهي منبثقة عنها، فبدون إرادة السلطة، لا وجود لهذه الحقوق. لكن هناك حقوق أخرى، وهي حقوق طبيعية يفترض فيها الارتباط بالأفراد من حيث هم أفراد، وهي حقوق أساسية لا معنى لأية حياة كريمة بدونها فهي سابقة على كل سلطة أو دولة -(Haarsher,G,1993:14-15). وهذا ما أقره إعلان حقوق الإنسان والمواطن الذي تولد عن الثورة الفرنسية في سنة 1789، ففي مادته الثانية، ينص على أن الهدف من - كل جمعية سياسية هو المحافظة على الحقوق الطبيعية غير القابلة للتنازل، والخاصة بكل إنسان، وهي الحرية، الملكية، الأمن، ومقاومة الاضطهاد - (Durain,C, 1998:31). بهذا أصبح الإنسان – الفرد – هو مالك ذاته وسيد مصيره ومتحمل مسؤوليته وحارس كرامته، ومبدع قيمته، وهذا كله بفضل الأرضية الفكرية التي قامت عليها الليبرالية التي لا تعني هنا بالضرورة أنها رديفة للرأسمالية، إذ قام هذا الفكر الليبرالي على - إيمان الإنسان بنفسه، وبإرادته، وبعقله، وقدرته على تغيير الأشياء وتسخيرها لمصلحته من خلال الإيمان بأن العمل هو الطريق الوحيد نحو خلاص الإنسانية وسعادتها، فصار الفرد غاية في ذاته - (بليمان، ن، 2008: 21).

وإذا كان لا بد من وجود سلطة تضبط حياة الأفراد وعلاقتهم بعضهم ببعض فهي سلطتهم هم أنفسهم، إنها سلطة لهم الحق فيها من حيث هم أحرار ومتساوون، تقوم على توافقهم وتراضيهم على شكل من أشكال التشريع المنوط بهم والملائم لحماية حقوقهم، أي حرياتهم وإراداتهم، وبذلك - فالليبرالية اتجاه يشدد على الحرية واحترام الإرادة ويرفض أية قيود قد تمارس على الأفراد فتحد من قيمة

مبادراتهم، ليبقى الإنسان هذا الكائن العاقل سيد نفسه لا غير، فمن الناحية السياسية رفضت أية وصاية على دور الفرد لأنه يملك غرائز توجهه نحو الخير، ومن الناحية الاقتصادية رفض أي دور للدولة أمام قوانين ثابتة مصدرها العقل أو الطبيعة، لذلك نفهم أن تصور الليبرالية يقترن بفكرة الحرية التي أشتق اسمه منها وهي مجموعة من الأفكار والقيم تدور حول الفرد وحريته وقد أسهم مفكرون عديدين في صياغتها نهلوا من مصادر فكرية وبيئات متباينة – (بليمان، ن، 2008: 14).

وبفضل تأكيدها على قيمة الحرية، تجمع الليبرالية بين المذهبية أي الدفاع عن نظريات وأفكار ذات مضامين محددة وبين الفكر الحر الذي يتملص من كل مرجعية فكرية أو سياسية ذات منحى إيديولوجي، لكننا نرى في ذلك صورة شكلانية قد تتسع إلى أبعد حد إلا أنها ليست من غير حدود، لأن ذلك يجعلها إما فكرة مذهبية منغلقة على ذاتها وإما فكرة مفارقة ومتناقضة مع ذاتها تماما، مما يفرغها من أي معنى، ويدخلها في حلقة مفرغة، بحجة الحرية التي تقوم عليها في ذاتها وذلك تحت طائلة الحيل العقلية، وهنا نقول أن الليبرالية تقبل التعدد والتغير لكنها لا تقبل التبدد الذي يقودها نحو العدم مما يجعلنا نرى أن مقولة الفيلسوف الفرنسي بول ريكور Paul Ricœur التي تحمل شعار-لا للمبالغة- تمثل روح الليبرالية. فلا يجب علينا أن ننسى أن الحرية – متماهية مع العقل. وهي من الناحية الأخلاقية ليست أكثر من التحديد الذاتي للفرد. وهذا التحديد الذاتي لا يمكن فهمه إلا على أساس أنه تحديد للعقل من طرف العقل، بالتعارض مع التحديد السالب (الانفعالي) للفرد الواقعي عن طريق خصائصه الواقعية أو التجريبية – (Weil, E, 1871: 27).وبالتالي فالليبرالية رغم اتساع ما صدقها وارتباك مفهومها إلا أن ذلك لا يلغي مبادئها

الكبرى، المتمثلة في استقلالية الفرد كذات عاقلة وفاعلة وآملة ومقاومة من أجل بناء سلطة متوافقة مع الحرية المستندة إلى تقاطع الإرادات أو ما سماه راولز بالإجماع المتقطع، وهو ما حاولت نماذج التعاقد منذ هوبز إلى روسو وربما بشكل ما حتى نظرية العدالة عند راولز، العمل على إرسائه وذلك باكتشاف الروابط الأساسية لكل مؤسسة سياسية، أي الكشف عن الكيفية الأكثر عقلانية التي تجعل الأفراد يعيشون مع بعضهم والذين نعتبرهم عقلانيون بالتساوي – (Fabre,G, 1990:147).

لما كان الأفراد من حيث هم بشر معرضون للانحراف عن ما يمليه عليهم العقل السليم، كان من الضروري لكل واحد منهم أن يحمي نفسه من سلطة الغير، وهكذا يضع لسلطتهم عليه حدا لا ينبغي لهم تجاوزه، وتكون السلطة عند ذلك شركة بين الجميع، تعمل لصالح كل واحد منهم، ولا يملكها أي شخص كان، بشكل من الأشكال، وإن حصل ذلك، فهو دليل على فساد الوضع الذي يعيشون في ظله، وهو وضع واقعي لكنه غير معقول وغير تاريخي بالتعبير الهيغلي F.Hegel.والمعقول الذي نقصده في هذا السياق، هو ما يتوافق مع ذاتية الإنسان – المتكلم الحاضر الذي ينظر إلى الكائنات الأخرى وبتمثلها، فيستمد يقينياته من ذاته، وليس كما كان الشأن في العصور الوسطى، من تعاليم عقيدة أو سلطة أخرى غير سلطة ذاته: وهذا هو مبدأ أساسي من مبادئ الحداثة، أي مبدأ الذاتية، الذي رفع عن العالم كل الأقنعة والأغلفة، مما أفضى إلى مبدأ آخر لا يقل عنه أهمية، وهو مبدأ العقلانية الذي يقرر أنه – لكل شيء سبب معقول –، وهذا المبدأ يتولد عنه هو الآخر مبدأ العدمية الذي يرى أن – ما كان في العصور السالفة مبادئ راسخة، صار مع مجيء عصر الحداثة عدما أفقد القيم كل معنى أو حقيقة – (الشيخ، م، الطائري، ي، 1996: 13-14).

انتصرت الليبرالية لمبادئ الحداثة الجوهرية، الذاتية والعقلانية والعدمية أو الروح النقدية، وكانت أقرب إلى الروح السقراطية الباحثة عن عقد الصلة بين المتضادات داخل النفس الإنسانية، ففي حياة سقراط – يجب أن نجد النموذج لوجود بشري حقيقي، حر وعقلاني، نمط الحياة يضمن لنا الأساس الصلب للصداقة الدائمة والكرم الحقيقي... والتعايش بين الحسي والأخلاقي في الإطار العائلي، وبين الدين والمواطنة، وهو تعايش في إطار جدلي، هش، لكنه افتراضيا مفيد وممكن – (Strauss,L:15).

فالليبرالية ترتبط بالفردانية والعقلانية والروح النقدية، وتنتهي كلها إلى وضع حد للسلطة عبر مسار تاريخي طويل، يمتد من سلطة الكنيسة إلى سلطة العائلة والمجتمع والدولة، ونستحضر هنا – روسو الذي يستعيد فكرة السيادة الشعبية، كحق للشعوب في الانتظام داخل مجتمع سياسي عن طريق اتفاق إرادي، وهي خلاصة ما كان يسعى إليه لوك قبله. لكنه من الجدير الإشارة إلى أن الأدبيات التاريخية تقصي فكرة السيادة الشعبية من نظرية جون لوك، وتربطها من حيث هي تعارض بين الشعب وحكامه بروسو لوحده فقط – (Gauthier, F, 1992:18 -19).

لم تصبح السلطة مطلقة، بدون حدود، بل أصبحت نتيجة لعلاقة اتفاق وتعاقد بين الحكام الذين يمارسونها والمحكومين الذين يخضعون لها، ونشير إلى الدور الأساسي الذي لعبته مسألة الملكية التي لم تصبح محتكرة على فئة واحدة. فمن الإنصاف القول أن – الكثرة العظمى من زعماء الثورة الفرنسية، سواء أكانوا زعماء يعاقبة أو زعماء جماعات أكثر اعتدالا– اعتبرت أن مهمة الثورة هي توسيع حقوق الملكية الخاصة على نحو يخفف من ضروب التفاوت الاجتماعي

الأكثر قبحا وفظاعة ويلغي أشكال الامتياز القديمة (كول، ج، د، ه: 32).

أصبحت الحرية مرتبطة بالملكية، فليست الحرية مجرد شعور ذاتي بل هي مسألة أنطولوجية لها مضمونها الاجتماعي والسياسي، - فالفرد لم يعد سوى جزء من كل جماعي، فلا يحيا ولا يعمل إلا تبعا لهذا الكل، فهو في وجوده وفي توجيهات حياته محكوم بقوانين لها وحدها سلطة التحكم بحياة الفرد - (غروتويزن، ب، 1982: 174).

فالفرد لم يعد تابعا لسلطة فئة أو لسلطة فرد مثله وإنما خاضع لسلطة قانون يسري مفعوله على جميع المواطنين بغض النظر عنهم حكاما كانوا أم محكومين، وذلك من الناحية المبدئية على الأقل، وبحسب ما تفترضه المساواة أمام القانون الذي أفرزته ديمقراطية الاختيار للممثلين أو المشرعين، هذه الديمقراطية التي تقوم من وجهة النظر العمومية على افتراضات ترى أن - كل فرد يتحرك وفقا لمصالحه الخاصة، ففي هذه المصالح يعتبر هو الحاكم الأفضل، فالنظام الديمقراطي ولأنه يسمح للمواطنين بالاختيار بين سياسات متعددة، هو الأكثر نجاعة لتحقيق مصالحهم، سواء كان ذلك في المجال الاقتصادي أوفي المجال السياسي.(Birnbaum,P, et Leca,J, 1991: 330)

إن حرية الاختيار هذه هي كل ما يؤسس التصور الليبرالي للسلطة، فهي سلطة من بين أشكال متعددة للسلطة، ولا يتم تفضيلها على غيرها إلا لأنها تضمن حريات وحقوق الأفراد وهي مشروطة بذلك، ومن ثم فهي ليست غاية في ذاتها وإنما هي وسيلة لتحقيق غاية أسمى منها، تلك الغاية هي التي تمنحها سيادتها، - فقد اعتبر جون ستيوارت ميل MillJohnStuart العدالة ‹‹أهم جزء وأكثره قدسية وإلزاما على الإطلاق في الأخلاق كلها ›› بينما ذهب جون لوك

JOHN LOCKE إلى أن حقوق الإنسان الطبيعية هي أقوى من أن يبطلها أي نظام سياسي مهما كان – (ساندل، م، 2009: 37).

يبدو أنه لهذا السبب استطاعت الليبرالية أن تنفتح على الإنسان في مختلف وضعياته التاريخية وأن تواكب تحولاته، وتعيد النظر في أفكارها وتصوراتها حول الإنسان والمجتمع والتاريخ، وبالخصوص حول السلطة والدولة، لوك أب الليبرالية الحديثة – يفترض بالأساس وجود انسجام طبيعي عفوي بين متطلبات المصلحة الفردية المفهومة جيدا، ومتطلبات المصلحة العامة. وفي هذا تتجلى بالضبط المسلمة المتفائلة بشكل ملحوظ للفردية الليبرالية – (شوفا لييه، ج، ج، 1998: 388).

إن ما هو أكيد في الليبرالية هو تحرير المجال الإنساني، وزرع الثقة في قدرة الفرد على تحرير طاقاته الفكرية، والوصول إلى تنظيم حياته وفقا لمقتضيات الطبيعة والعقل والإرادة، في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وبذلك رسخت ذاتيته التي أرست عليها الحداثة فضاءها الجديد، المسلح بوعي ذاتي للعالم الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والأخلاقي، فبدون الحرية، حرية الاختيار، ليس من الممكن الحديث عن الذاتية والاستقلالية والفردانية والمواطنة، وغيرها من القيم التي قامت عليها الحداثة بصفة عامة، والحداثة السياسية والأخلاقية في بعدها ومضمونها التحرري بصفة خاصة.

لهذا ليس من الممكن أن يدور النقاش عن الحداثة في غياب أرضية فكرية ليبرالية، تؤكد على تحرير الفرد من كل سلطة تدعي التعالي والفوقية والأصالة المطلقة التي تجعلها لا تقبل التحديد ولا الحدود، ولا حتى التفكير في حقيقتها، إلى الدرجة التي تنفي فيها السؤال والمساءلة، لجذورها ومصادرها.

إن الدولة الحديثة حتى وإن قامت على سلطة مطلقة في عصور النهضة الأولى، إلا أن مفكريها أمثال توماس هوبز ومكيا فيلي وغيرهما، وربما حتى دولة ماكس فيبر البيروقراطية، ظلت جذورها مغروسة في أفق الفضاء الليبرالي أي ضمن التصورات العقلية حول الطبيعة البشرية، فمع هوبز تم تأكيد فردانية الفرد بشكل أكثر جذرية، وتم الربط بين العقل والمصلحة، وهو ما يمكن أن نفهم منه الأرضية الصلبة لأنسنة السلطة حتى وإن كانت شبيهة بالليفياتان عند هوبز أو عبارة عن جهاز إداري معقلن بشكل صارم عند فيبر، لكن لطالما تعرضت السلطة المعاصرة في أشكالها ومظاهرها المختلفة، للمراجعة والنقد والفضح والمقاومة، من طرف الفلسفات المعاصرة، من مدرسة فرانكفورت النقدية ومراجعتها للماركسية، إلى ميشال فوكو وإعادة رسمه للمجال الذي تتحرك فيه السلطة، بحيث تخترق عدة فضاءات كانت تبدو لنا بعيدة عنها، بوسائلها وتقنياتها المتعددة، التي تسري علينا دون أن ننتبه إليها، مما يجعلنا نفقد حريتنا الأخلاقية والسياسية دون وعي منا، بل أكثر من ذلك نعمل ضدها دون قصد أو سبب من أسباب العجز، كفقدان القدرة على تحقيق استقلاليتنا، بمعنى التحديد الذاتي لما نحن عليه، ولهذا تعرضت السلطة المعاصرة إلى النقد والكشف عن آليات سيطرتها من طرف نظريات عديدة، كالنزعة العدمية (ليوتار J.François Lyotard)والنظرية النقدية (مدرسة فرانكفورت)، والنزعة السوقية الاقتصادية (هايك Hayek)، ونقطة الالتقاء في هذه النظريات – تكمن في نقد فكرة الدولة القائمة على العلم والتقنية، ومحاولة إرجاع القيمة الإنسانية الحقيقية إلى الإنسان الفرد في المجتمعات التي هيمنت عليها الأنساق، وأناخ عليها العنصر التكنولوجي بكلكله – (التريكي، ف: 61).

هكذا ظل تحرير الفرد عقلا وإرادة وقيمة هو التحدي الذي ثارت من أجله الليبرالية ضد التقاليد التيولوجية التي استلبته، وجعلته فاقدا لوعيه وإرادته أنطولوجيا، وفاقدا لكرامته أخلاقيا، ولحريته سياسيا، ولما كانت الدولة هي سلطة السلطات ومؤسسات المؤسسات، ورمز السيادة والسيطرة والقوة والهيمنة، كانت الحرية السياسية هي السبيل الوحيد للحد من عنفها، وجعلها منفتحة على الحوار الذي يتضمن ويتكفل بالجمع بين - الإجماع والخلاف المرتبطان بالتأكيد - (فرانك، م، 2003: 109)، وهذا وحده ما ينقذ الفرد المواطن من الذوبان في النسق السلطوي القائم على نسق بيروقراطي فيبري، بحيث يرى -إريك فروم - أن الكثيرين لا يزالون يعتقدون بأن أي إدارة بمقياس كبير، لا بد بالضرورة، من أن تكون إدارة بيروقراطية، أي أن تكون نوعا من الإدارة الإغترابية. وليست أغلبية الناس على وعي بكم هي مميتة الروح البيروقراطية، وإلى أي حد تمكنت من اجتياح كل مجالات الحياة حتى تلك التي تبدو أبعد ما تكون عن ذلك، مثل مجالات العلاقات بين الأطباء والمرضى، وبين الأزواج والزوجات. ذلك أننا يمكن أن نعرف الأسلوب البيروقراطي بأنه:(أ) يدير شؤون البشر وكأنهم مجرد أشياء، (ب) ينظر إلى الجانب الكمي في الأشياء أكثر من الاهتمام بنوعيتها - (فروم، إ: 199).إن سلطة البيروقراطية والتقنية هي هيمنة معقلنة على الإنسان الفرد والمواطن، وتحكم صارمgouvernement -مصيرية، مما يؤدي به إلى فقدان استقلاليته، وجعل سلطة الدولة تمتد إلى كيانه الداخلي، فقط ما يشفع لهذا الفرد هو وعيه النقدي الذي كانت قد قامت عليه الروح الليبرالية، الأمر الذي يكشف عن الآليات المختلفة التي يتم تجنيدها لشرعنة السلطة، وعلى رأسها المعرفة الفلسفية والدينية سابقا والمعرفة العلمية لاحقا، بحيث تصبح السلطة والمعرفة وجهين لمسألة واحدة، كما يذهب

فرانسوا ليوتار إلى ذلك عندما يتساءل قائلا - من الذي يقرر ما هي المعرفة، ومن الذي يعرف من له الحق في اتخاذ القرار ؟ إن مسألة المعرفة في عصر الإعلام الآلي هي أكثر من أي وقت آخر مسألة حكم Question du gouvernement - (Lyotard, J, F,1994: 24).

يشير ليوتار إلى مسألة أساسية في المجتمع المعاصر، وهي التداخل بين العلم والتقنية من جهة والمعرفة والسلطة من جهة أخرى، بحيث أصبحت السلطة عبارة عن مجموعة من التقنيات التي يتحكم فيها من يطلق عليهم صفة الخبراء، مما يجعل الأغلبية من الناس، غير قادرة على فهم طبيعة السلطة التي يخضعون لها بحكم عدم امتلاكهم لبعض التقنيات والمعلومات الدقيقة التي تتطلب تكوينا متخصصا وليس مجرد معلومات عامة، أو أفكار سياسية مذهبية، لهذا السبب حاولت الليبرالية المعاصرة تجديد نفسها، بإعادة النظر في منطلقاتها الأساسية، وقد لعب الفيلسوف الأمريكي جون راولز دورا مهما في هذا الصدد، باستهدافه لتجديد نظرية العقد الاجتماعي، كركيزة أساسية لليبرالية الحديثة، وكان ذلك من خلال طرحه الجديد لنظرية العدالة التي تقوم على تجريد نظرية العقد الاجتماعي، إلى أقصى حد ممكن على حد تعبيره،حيث يقول،- هدفي هو تقديم تصور للعدالة يعمم ويحمل إلى أقصى حد من التجريد النظرية المعروفة جيدا، للعقد الاجتماعي، كما نجدها، عند آخرين، أمثال لوك، روسو وكانط - (Rawls, J, 1997: 37)، وبناء على تجريد نظرية العقد الاجتماعي ينطلق راولز من فكرة ستار أوحجاب الجهل، التي تجعل الأفراد يتحررون من كل الضغوط الطبيعية (الولادة) أو الاجتماعية (العائلة والطبقة)، ويفكرون في العدالة كمشروع مستقبلي، يشاركون فيه جميعا، - فمبادئ العدالة يتم اختيارها من وراء ستار الجهل وهذا يضمن أن لا شخص يكون محظوظا أو غير محظوظ عند اختيارها لمبادئ العدالة، بفضل التلقائية

الطبيعية أو الاجتماعية، وكأنهم جميعا يعيشون في نفس الوضعية، ولا أحد بإمكانه صياغة مبادئ تخدم وضعه الخاص، فمبادئ العدالة هي ثمرة اتفاق أو تفاوض منصف – (Rawls, J, 1997:38).

هكذا يستند راولز إلى فرضية ستار الجهل وفكرة العقد الاجتماعي ليجدد الليبرالية من أجل انفتاحها على تناقضات المجتمع المعاصر، وحتى يعيد إلى هذا المجتمع السياسي أساسه الإنساني ووهجه التاريخي والأخلاقي، بمحاولة ترسيخ الحرية والمساواة في ثقافته الاجتماعية والسياسية.

في إطار مجتمع تعددي يقوم على الاختلاف من جهة وعلى التضامن من جهة أخرى، أراد راولز تخليص الليبرالية من نزعتها المذهبية أو الإيديولوجية، وإعطاءها بعدها الإنساني والاجتماعي،انطلاقا من فكرة العدالة كإنصاف، كفكرة تحررنا من كل تصور مسبق عن العدالة، وهو تصور يفرض علينا سلطته، ويجعلنا مدافعين عنه أو متسترين خلفه دون القدرة على مراجعته أو مناقشته، وعليه، – لا شيء يقف أمام إرادة الأفراد، فحتى حظوظهم البائسة تغدو حافزا للعمل وليست قدرا معطلا لإرادة التغيير، وبالتالي لا غايات سابقة عليهم، فالفرد إذن سابق على غاياته، منزاح عن كل مركز، منخلع وعائم في الفضاء، وطالما هو على هذه الهيئة العارية، فهو غير ملزم بتقاليد جماعية سابقة عليه ولا بغايات أخلاقية مؤسسية جاهزة.إنه كائن حر لا ينصاع إلا لسلطة القوانين التي شارك في وضعها والتي تؤمن له التحرك في كل الاتجاهات واختيار نمط الحياة الذي تهواه نفسه –. (بن تمسك، م، 2007: 28-36).

ففي مرحلة تراجع استقلالية الفرد، وتعقيد الحياة الاجتماعية والسياسية، وطغيان النزعة التقنية على الروح الإنسانية، جاءت النزعات الليبرالية الجديدة، لتدافع عن حرية الفرد، وتحريره من سلطة

الدولة البيروقراطية والتقنوقراطية، التي تفرض عليه نمط حياة معين، وتوجهه نحوه باستعمال قوانين وتقنيات، يفترض أنها صحيحة ودقيقة في تعبيرها عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي، ويصوغ بنجامين كونستان Benjamin constantهذا المبدأ بالقول، - إننا نأمل ألا تتجاوز السلطة حدودها وأن تكون عادلة، وسنتولى مسألة سعادتنا بأنفسنا -(بن تمسك، م، 2007: 28-36).

لكن أولوية الحق والعدالة كما تطرحها إحدى أهم النظريات الجددة لليبرالية أي نظرية العدالة كإنصاف، ليست بالضرورة هي الاقتراح الوحيد لهذا التجديد، الذي دارت حوله مناقشات كثيرة جدا، على خلفية العدالة الاجتماعية بين اليسار واليمين، والجماعي والفردي، والاجتماعي والاقتصادي ،الغائي والواجبي وغيرها، فالفيلسوف الأنجلوساكسوني - وايل كيمليكا - صاحب كتاب - نظريات العدالة - يرى أن جميع التيارات لم تقدم حلا لمشكلة العدالة، ويرى أن - المظهر الفكري الأكثر رواجا في الفلسفة الأخلاقية الأمريكية هو النفعية الذي تقاس العدالة فيه بمدى فائدة ونفع عمل ما أو قاعدة وليس بقصدها (جورنيه،ن.2009: 200).وهذا يجعله يرى أن الأولوية الممنوحة للعدالة والحق - يجب أن تراهن على تحقيق خير دائم وليس فقط إبراز قيمة حرية الاختيار. ولهذا فغائية الخير يجب أن تحظى بأهمية أكثر من مجرد قيمة حرية الاختيار التي يركز عليها الليبراليون -(بن تمسك، م، 2007: 28-36).

ولذلك يصل - وايل كيمليكا -Weil Kumlika إلى نتيجة مفادها أننا لم نصل بعد إلى أي صيغة لمجتمع كامل، وفكرة المنفعة مازال لها دور كبير في بناء مجتمع منظم، ولهذا يرى بول ريكور أن -التعطش إلى العدالة ليس مقصورا على مستوى الواجب والإلزام. إن ذلك التعطش مكون أساسي من مكونات التوق إلى الحياة الجيدة. والحال

هذه، فإن الحياة المشتركة لا تتبدى في الحياة مع الأقارب فحسب وإنما في الحياة مع كل الآخرين المنضوين في المؤسسات المختلفة التي تهيكل الحياة في المجتمع - (ريكور، ب، 2003: 608).

لا نفكر في السلطة فقط من المنظور الديونتولوجي للحق والعدل، وإنما أيضا من منظور الغايات التي نسعى إليها،أي من جهة الخير والمنفعة أو المصلحة، وهنا تنفتح الليبرالية على الغائية الأرسطية بدل الاكتفاء بالواجبية الكانطية التي تقدس استقلالية الفرد عن أي سلطة، فيتم التفكير في التعايش والتسامح في ظل حياة جيدة قائمة على التضامن. في واقع أساسه الرئيس هو التعددية التي يتعذر علينا تحديد مفهوم جوهري لما هو خير في إطارها، وهو ما يتطلب حيادية الدولة وعدم تدخلها في خيارات الأفراد لأفكارهم وتصوراتهم وقناعاتهم ومصالحهم ومبادئهم وغاياتهم حول ما هو أفضل بالنسبة إليهم، ولكن يجب أن نحتاط من أن - نظرية حياد الدولة عن كل تحديد للحياة الجيدة والخيرة، يمكن أن تخفي عن أنظارنا العنف الذي تمارسه بعض الطوائف والجماعات العرقية والأصولية الدينية، على أفرادها. وعليه فواقع ‹‹التعددية ›› لا يلزم عنه آليا فكرة التسامح، إذ قد توجد حالات من التعصب والقهر داخل واقع التعددية. في غياب الدولة وحياديتها تنتهك حقوق الإنسان الأساسية. ولهذا يتعين أن يعبر كل فرد علنا، وأن يختار بكل حرية، رؤيته للحياة الجيدة كما يرتئيها وأن يتخلى عنها متى بداله ذلك ضروريا (بن تمسك، م، 2007: 28-36).

هذا ما يجعل بعض الليبراليين، يرون أن تدخل الدولة، ولو بشكل محدود مسألة ضرورية، وهو ما يجعل الليبرالية تبحث عن وضع حد للتسلط أكثر من رفضها للسلطة الأمر الذي أدى إلى مراجعة الليبرالية لذاتها في نواحي عديدة، إلى درجة جعلها فكرة سياسية أي

خاضعة لاتفاق الأفراد، وليست فكرة ميتافيزيقية تحمل في مضمونها حقائق محددة تريد نشرها أو فرضها عليهم بقوة الفكر أو السلطة أو التخويف أو الإغراء أو غيرها، هكذا نفهم لماذا غير فوكو M. Foucault، مفهوم السلطة، بحيث جعلها مبثوثة داخل النسيج الاجتماعي، فالسلطة بالنسبة له - ليست علاقة متواطئة بين مسيطر ومسيطر عليه والتي يمكن حصرها في مكان معين هو الدولة. تناقض هذه الأطروحة عن حق نظرة للسلطة ماكيافيلية بشكل كبير ووحيدة الطرف والتي تحملها الماركسية، السلطة من منظور فوكو، غير دقيقة وغامضة. فهي تدل أحيانا على جهاز طبيعي من الإكراهات (السجن، الملجأ)وأحيانا على إطار من الفكر التطبيقي (التخصصات العلمية من أهدافها تحديد معايير الحقيقة)وأحيانا أخرى، تدل على ميكانيزم أخلاقي للرقابة الذاتية - (دوريتي، ج، 2009:147-155).

السلطة إذن موجودة في أماكن متعددة وليست محصورة في الدولة وحدها، ومع ذلك واجه هذا التحليل للسلطة نقدا قويا لاتهامه بالخلط بين السلطة والقوة، وبين النظم الشمولية ومؤسسات الإدماج الاجتماعي، وبين الدولة الشمولية والديمقراطية، وقد هاجم - الفيلسوفان لوك فيري Luc ferryوآلانرونو Alain Renault بلا تساهل النظرية التي تحيل السلطة إلى مجرد علاقة قوة، وتنفي حقيقة القانون المستقلة نسبيا وترفض من ثم وجود دولة القانون - (دورتيي، ج، 2009: 147-155). فالسلطة من المنظور الليبرالي هي سلطة القانون وهي محدودة به متى كان صادرا عن توافق الأفراد، محترما لإراداتهم ومعبرا عن مصالحهم.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

1 – التريكي، فتحي .(د.ت). الفلسفة الشريدة (دراسات في الفلسفة المعاصرة)، لبنان: مركز الإنماء القومي.

2 – الشيخ محمد و الطائري ياسر.(1996) مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر، ط1. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

3 – بليمان، نجود.(2008) الليبرالية الحديثة، تجديد نظرية العدل عند جون راولز، اتحاد الجمعيات الفلسفية العربية.

4 – كول ج، د، ه.(د.ت). رواد الفكر الاشتراكي. 1789 -1950، ترجمة منير البعلبكي، بيروت، بغداد :منشورات مكتبة النهضة.

5– ريكور، بول.(2003). العادل، ج2. قرطاج: وزارة الثقافة والشباب والترفيه، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» تعريب، عبد العزيز العيادي ومنير الكشو، تنسيق فتحي التريكي، بيت الحكمة.

6 –ساندل مايكل، ج.(2009). الليبرالية وحدود العدالة، ترجمة محمد هناد، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان: توزيع مركز دراسات الوحدة العربية.

7–شوفالييه، جان جاك.(1998).تاريخ الفكر السياسي من المدينة الدولة إلى الدولة القومية، ترجمة محمد عرب صاصيلا، ط4.لبنان:المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

8– غروتويزن، برنار.(1982).فلسفة الثورة الفرنسية، ترجمة عيسى عصفور،ط1. بيروت، باريس: منشورات بحر المتوسط ومنشورات عويدات.

9– فرانك مانفريد.(2003).حدود التواصل، الإجماع والتنازع بين هابرماس وليوتار، ترجمة وتقديم عز العرب الحكيم بناني، المغرب، بيروت، ط.1إفريقيا الشرق.

10- فروم ،إريك. الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران / مراجعة وتقديم لطفي فطيم، عالم المعرفة، العدد 140، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

11 – مناع، هيثم. الإمعان في حقوق الإنسان، موسوعة عالمية مختصرة، ط1، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.

المقالات:

1- بن تمسك،مصطفى وآخرون.(2007).إحراج الهوية في الفكر الأنجلوساكسوني المعاصر:مأزق الأسس الليبرالية. في مشارف الذات الكون، أسئلة المجتمع المدني، منهجيات في الفلسفة المعاصرة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 140 – 141، بيروت، باريس: مركز الإنماء القومي.

2- دورتيي، جان فرانسوا وآخرون.(2009).ميشال فوكو:تحت نظر النقد. فلسفات عصرنا، تياراتها، مذاهبها، أعلامها، وقضاياها، ترجمة إبراهيم صحراوي، ط1. بيروت،الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.ص.ص(147-155).

3- جورنيه،نيقولا وآخرون.(2009).النقاشات الأمريكية حول العدالة الاجتماعية عن وايل كيمليكا:نظريات العدالة، فلسفات عصرنا، تياراتها، مذاهبها، أعلامها، وقضاياها، ترجمة إبراهيم صحراوي، ط1. بيروت،الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.ص.ص(199-204).

باللغة الفرنسية:

1 – Birnbaum, Pierre. Et Leca, Jean. (1991). sur l'individualisme, Théories et méthodes, 2ème édition, Paris : presses de la Fondation nationale, Des Sciences politiques.

2– Durain, Charles. (1998). L'émergence de luminisme Démocratique, Paris : L'Harmattan.

3– Durozol, Gérard .et Roussel, André. (1990).(Dictionnaire De philosophie), l'édition, Paris : Nathan.
4 –Fabre, S. Goyard. (1990). éthique et droit à l'âge Démocratique – Cahiers de philosophie politique et juridique N18, Centre de publication de l'université de Caen.
5 - Gauthier, Florence. (1992). Triomphe et mort du droit naturel en Révolution. 1789, 1795, 1802,1ère édition, Paris : Presses universitaires de France.
6 – Garandeau, Mickaël.(1998). Le libéralisme, Paris, Flammarion
7– Haarscher, Guy.(1993). Philosophie Des droits de L'homme, Belgique, édition de l'université de Bruxelles.
8– Lyotard, Jean François. (1994). La condition post moderne édition Tunis.
9– Rawls,John. (1997). Théorie de la justice.Trad. de l'anglais (Etat- Unis) par Catherine Audard, Paris : édition du Seuil.
10- Strauss, Léo. La renaissance Du Rationalisme politique classique, trad. de L'anglais par, Pierre Guglielmina Paris : Gallimard.
11 – Weil, Eric. (1971). Philosophie politique, paris : Librairie Philosophique. J. Vrin, 3ème Edition.